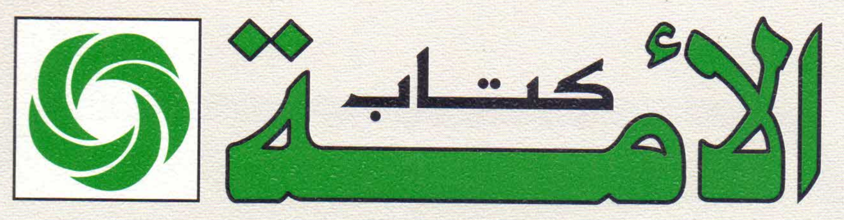


سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن إدارة البحوث والدراسات الإسلامية - قطر

العدد: ١٦٥ المحرم ١٤٣٦هـ السنة الخامسة والثلاثون

ضوابط التفاعل الحضاري

وسائله وآثاره التربوية

أ. عبد الولي محمد يوسف

عبد الولي محمد يوسف

* من مواليد (الصومال).

* إمام وخطيب مركز هلسنكي الإسلامي (فنلندا).

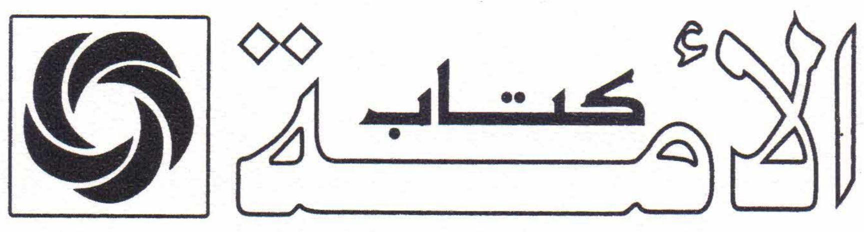
* حصل على درجة الماجستير من كلية الدعوة وأصول الدين، من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

* عضو الجمعية العلمية السعودية للعلوم التربوية والنفسية.

* عضو الجمعية العلمية الماليزية في الإدارة التربوية.

* عمل مع الهيئة العالمية للتعريف بالإسلام في المدينة المنورة.

* شارك في عدد في المؤتمرات والندوات والمحاضرات الدعوية في كل من الصومال، وماليزيا، وأوروبا.



سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن إدارة البحوث والدراسات الإسلامية - قطر

ص . ب : ٨٩٣ الدوحة – قطر

من شروط النشر في السلسلة

- أن يهتم البحث بمعالجة قضايا الحياة المعاصرة، ومشكلاتها، ويسهم بالتحصين الثقافي، وتحقيق الشهود الحضاري، وترشيد الأمة، في ضوء القيم الإسلامية.
- أن يتسم بالأصالة، والإحاطة، والموضوعية، والمنهجية.
- أن يشكل إضافة جديدة، وألا يكون سبق نشره.
- أن يُوثق علميًا، بذكر المصادر، والمراجع، التي اعتمدها الباحث مع ذكر رقم الآيات القرآنية، وأسماء السور، وتخريج الأحاديث.
- أن يبتعد عن إثارة مواطن الخلاف المذهبي، والسياسي، ويؤكد على عوامل الوحدة والاتفاق.
- يفضل إرسال صورة عن البحث، لأن المشروعات التي ترسل لا تعاد، ولا تسترد، سواء اعتمدت أم لم تعتمد.
- ترسل السيرة الذاتية لصاحب البحث.
- تقدم مكافأة مالية مناسبة.

هذا الكتاب.. محاولة لاستدعاء ملف التفاعل الحضاري، في حقبة يشتد فيها الصراع والهيمنة والتدافع الحضاري، والاجتهاد في بناء دليل عمل لكيفية التعامل مع الحضارات القائمة، وبيان الأسس والضوابط، التي تحكم عملية التفاعل، ذلك أن ميادين التفاعل متعددة ومتنوعة، لكنها جميعاً في نهاية المطاف تحمل التأثير والتأثر، وتُحدث التفاعل، الذي يتمحور حول سنة التدافع وضرب الحق والباطل: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ (الرعد:١٧).

ويجتهد الباحث في رسم طريق الانعتاق من واقع التخلف، وضبط معيار الانتفاع، ذلك أن التواصل والتفاعل أصبح واقعاً لا مفر منه، بعد هذا التقدم المتعاظم في وسائل الاتصال.

لقد أصبحت العوالم عالماً واحداً، فكيف نتعامل معه، بعد أن شكلت الوسائل الحضارية الجديدة فضاءً واسعاً، ونستثمر ذلك للوصول بمهمتنا الرسالية الإنسانية إلى العالم؟

وإشكالية التخلف تتركز في انطفاء الفاعلية المتولدة عن فقدان الحرية، وشيوع الاستبداد السياسي، والظلم الاجتماعي، وتوقف حركة الاجتهاد والإبداع، وشيوع التقليد والابتداع، وانصراف الجهود كلها للمغالبة على السلطة، والاقتصار على الانفعال، وليس الفعل والتفاعل، والافتخار بإنجازات السلف، دون القدرة على التفاعل مع عطاء (الذات) واستصحابه وتجريده من حدود الزمان والمكان، وتوليده في واقع الناس.

ويبقى أن المؤهَّل للتفاعل الإنسان الذكي المثقف، أما المتخلف فهو غير مؤهل أصلاً للإفادة من ميراثه؛ والعاجز عن استيعاب ذاته والارتقاء بها هو أكثر عجزاً عن الإفادة من (الآخر).



موقعنا على الإنترنت : www.sheikhali-waqfiah.org.qa

www.Islamweb.net

البريد الإلكتروني : E.Mail:M_Dirasat@Islam.gov.qa

ضوابط التفاعل الحضاري

وسائله وآثاره التربوية

أ. عبد الولي محمد يوسف

الطبعة الأولى

المحرم ١٤٣٦هـ

تشرين أول (أكتوبر)– تشرين ثاني (نوفمبر) ٢٠١٤م

عبد الولي محمد يوسف.

ضوابط التفاعل الحضاري.. وسائله وآثاره التربوية.

الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠١٤م.

٢٣٢ص، ٢٠سم - (كتاب الأمة، ١٦٥)

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية: ١٠٥ / ٢٠١٤

الرقم الدولي (ردمك): ٤ - ٨٩ - ٩٢ - ٩٩٢٧ - ٩٧٨

أ. العنوان   ب. السلسلة

موقعنا على الإنترنت : www. sheikhali-waqfiah.org.qa
www.Islamweb.net

البريد الإلكتروني: E. Mail: M_Dirasat@Islam.gov.qa

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول تعالى:

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾

(الحج: ٤٠)

تقديم

عمر عبيد حسنه

الحمد لله، الذي جعل التنوع والاختلاف سنة من سنن الحياة ولازمة من لوازم الخلق؛ ليكون ذلك سبيلاً للإثراء والعطاء والتكامل والتعاون والتنافع والتعارف والتفاعل وتبادل الخبرات، ومنطلقاً للتحريض والتحفيز الحضاري، ودافعاً للتسابق في الإنجاز، رغم التأكيد بأن مصدر الخلق واحد، ولا فضل بأصل الخلق، وإنما التفاضل منوط بالكسب والتقوى، وذلك حتى لا يتحول هذا التنوع والاختلاف إلى تصارع ومواجهة، فينحرف عن غايته ومقاصده، التي شرعها الله سبحانه وتعالى، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات:١٣).

فبدء الخلق والولادة والامتداد إنما يتحقق من اختلاف النوع أو من التنوع: ﴿مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾؛ وقوله تعالى: ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ بيانٌ لعلة الخلق ومقصده، يتضمن أبعاداً وآفاقاً وطبقات من المعاني تتجدد وتتطور، حسب

تطور الحياة وتجددها، كما يتضمن، حكماً وعقلاً وواقعاً، الاعتراف بـ(الآخر)، فقوله تعالى: ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ - يعني فيما يعني - التعاون والتكامل والتفاعل وتبادل المعارف الخبرات مع (الآخر) والتشارك والتنافع المشترك في إقامة الحضارة الإنسانية.

فاستقراء قصة الحضارة الإنسانية والكسب الإنساني بشكل عام يؤكد أنها إنما جاءت نتيجة لمساهمات وتراكمات وتنافعات وتبادل خبرات وتجارب ذات موارد وأصول متنوعة، وأن الله لم يخصّ بالإنجاز الحضاري أو بميدان السباق الحضاري شعباً أو جنساً أو قوماً أو جغرافيا وإنما جعل ذلك الإنجاز متاحاً للجميع، ومجالاً إنسانياً مشتركاً يتاح لكل أمة وشعب وفرد نصيب فيها، لذلك لم تكن الحضارة تاريخياً حكراً على أمة أو شعب وإنما كانت رايتها متنقلة بين الأمم والشعوب، وكانت أشبه ببناء ساهم بوضع لبناته التاريخية نبوات وأفراد وأقوام وشعوب حتى انتهى إلينا.

لذلك، فكلما حاد التنوع والاختلاف عن سننه ومقصده وانحرف عن هذا الجعل الإلهي: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾، وتحوَّل التعارف والحوار إلى مواجهة، وكان بأس الناس بينهم شديداً كلما انتكست الحضارة وشقي الخلق؛ ذلك أنه من المستحيل، عقلاً وشرعاً، أن يكون الخلق نسخة مكررة عن بعضهم، في فهمهم ومشاعرهم وقدراتهم ورغباتهم وحاجاتهم ومع ذلك تقوم بينهم شبكة العلاقات الاجتماعية ويتحقق التعاون والتكامل والتعارف وتمتد الحياة وتقوم الحضارات ويُقبل (الآخر)!!

فالجَعْل الإلهي هذا ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ سبيل قيام الحضارة، والحيدة عنه مبعث انقراضها وأفولها.

والصلاة والسلام على المبعوث بحضارة الرحمة الإنسانية، التي جاءت ثمرة تعاون وتكامل وتعارف وتشارك وتفاعل بين قيم النبوة وواقع الناس، فكانت حصيلة لحضارة إنسانية تاريخية، تضمنت إرشاد النبوة لبناء الحضارة، ودورها في تغيير حياة الناس، ووسائلها في تحقيق التفاعل والتكامل بين الوحي الإلهي والعقل الإنساني، وإزالة الحواجز بين الأجناس والألوان والأقوام والشعوب والقبائل، وتجسير التفاعل والتكامل والتعامل بين الناس، واستصحاب الخصائص والصفات الخيرة في الحضارات المتنوعة، لتنمو في مناخ الحرية وعدم الإكراه، الذي أصَّلته القيم الحضارية الإسلامية، المناخ المطلوب لتفاعلها وتجانسها، وصهرها في بوتقة الحضارة الإنسانية، التي هي ثمرة لفعل الجميع، وتشارك الجميع، وتفاعل الجميع، ولجم الغرائز والشرور والطاقة السلبية، التي تنزع إلى الفساد في الأرض وسفك الدماء، واستخراج عطاء الفطرة، وتحريك الفاعلية الإيجابية؛ فالإسلام فطرة الله، التي فطر الناس عليها، لذلك جاءت الحضارة الإسلامية لتكون حضارة الحضارات، لتكون حضارة إنسانية يصعب تصنيفها في خانة شعب أو أمة أو طبقة أو جغرافية أو عصر.

ذلك أن الأجناس والألوان والأقوام والشعوب والقبائل ليست قيماً بحد ذاتها ومجالاً للتفاخر والتعالي وإنما هي أوعية للقيم، ووسائل للفعل الحضاري الإنساني والكسب الأفضل في ميادين السباق الحضاري؛ لأنها في المحصلة

النهائية أمور قسرية لا يد للإنسان في إيجادها أو نفيها، وإنما تكتسب قيمتها من خلال تميز عطائها.

فرسول الرحمة الإنسانية كانت مهمته الأولى إحداث التفاعل بين وحي الله وعقل الإنسان، بين تعاليم النبوة وواقع الناس، إزالة جميع الحواجز اللونية والقومية، التي تحول دون التفاعل والتعاون والتكامل الحضاري، وتحرير معيار حضارة الرحمة ليصبح كسبياً، فالأكرم هو الأتقى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

وبعد:

فهذا **«كتاب الأمة»** الخامس والستون بعد المائة: «ضوابط التفاعل الحضاري.. وسائله وآثاره التربوية»، للأستاذ عبد الولي محمد يوسف ، في سلسلة **«كتاب الأمة»**، التي تصدرها إدارة البحوث والدراسات الإسلامية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، في سعيها المستمر لتأصيل الفقه الحضاري، وإعادة الفاعلية للفرد والمجتمع والأمة، وفتح أقنية الحوار والتواصل والتفاعل، والتأكيد على أهمية استشعار مسؤولية استئناف الدور الرسالي للمسلم المعاصر، وحمل عطاء حضارة النبوة، حضارة الرحمة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧) إلى العالم، أمة الدعوة، ومحل الخطاب، والاجتهاد في إبداع الوسائل المناسبة والمؤثرة لتحريك كوامن الإنسان الخيّرة، وإطلاق طاقاته الإيجابية، والامتداد بعطاء دين الفطرة، التي فُطر الإنسان عليها، ومعالجة أسباب التعصب، التي تتولد بسبب ثمرة

الجهل وتنمو بالنزوع صوب الغلو والتشدد والعنف، الذي يتموضع في الأمة بسببٍ من ذهاب العلم والفقه وتغييب الأنموذج المتبع، والعمل على تحرير الإنسان من كل صنوف الإكراه والعنت ومصادرة حريته على مستوى (الذات) و(الآخر)، وتحقيق كرامة الإنسان، التي لا تتحقق إلا بحرية الاختيار والارتقاء والتسامي فوق حواجز الجنس واللون والقوم والطبقة والقبيلة والعشيرة، تلك الكرامة، التي تمثل قوام الحياة وسبيل امتدادها ونموها وعطائها.

فالحرية والكرامة مرتكز مقومات بناء (الذات) ونموها وتحريضها على السباق والوقاية الحضارية والوصول إلى درجة الأكرم؛ لأنه الأتقى والأقرب إلى الله والأدق اتباعاً واقتداءً برسول الرحمة ﷺ والأكثر استيعاباً لعلة الجَعْل الإلهي وحكمته ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾، ومدى تكليف الإنسان بالمهمة الأساس لهذا الجعل ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾، وإدراك كل ما لهذا التعارف من أبعاد ودلالات لعل من أهمها أنه ثمرة من ثمار الجَعْل الإلهي وسبيل لتحريك ميكانيكية الفعل الحضاري.

لذلك نقول: إن السقوط الحضاري، أو الوهن الحضاري، الذي يعطل الدور الرسالي التفاعلي للحضارة، أو للأمة بشكل أدق، يبدأ عندما يغيب دورها الرسالي وتنكفئ الأمة على ذاتها دون امتلاك القدرة على المراجعة وكشف الخلل واستيعاب إصابات (الذات)، والاكتفاء بالفخر، والانتشاء بالتاريخ وإنجازات السلف، والتمحور حول الإعجاب بـ(الذات) الحضارية التاريخية، وما قدمت للعالم من العلوم والفنون والكسب المعرفي، الأمر الذي

يشكل أساس النهضة الحضارية الشاملة حتى لقد وصلت رسالتها وعطاؤها إلى أقاصي الأرض، وكيف أن التقدم العلمي والمعرفي والحضاري العالمي مدين للحضارة الإسلامية في إبداعه وتطويره ونقله، وينتهي الانفعال عند وقوف الأمة عند هذا الفخر، وتقتات به عندما تعجز عن الفعل الحضاري، لتعالج مركب النقص، الذي تعاني منه من العطالة والتقهقر والتراجع والتخلف، لدرجة يمكن القول عندها:

إن هذا السقوط والوهن الحضاري والانكفاء السلبي على (الذات) والاكتفاء باجترار الماضي سوف يحوّل الحضارة إلى أشبه ببضاعة الخردة المطروحة في السوق المفتوحة، التي يستفيد منها الناس، وينفعلون بها ويفعلون فيها ما يحلو لهم، وهي عاجزة عن إفادة نفسها والاستفادة من غيرها، لذلك تخسر الأمة أبناءها شيئاً فشيئاً، ويتحولون حضارياً ليصبحوا مجرد أدوات في آلة الحضارات الأخرى، وتصبح حضارتهم كالأرض القيعان، لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً، محرومة من عطاء النبوة الحضاري، مصداقاً لقول الرسول ﷺ:

«مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» (أخرجه البخاري).

وقد يكون من المفيد في هذا السياق أن نتوقف قليلاً لنلقي ضوءاً على ما يسمى: حضارة القوة والهيمنة والإكراه والبطش والظلم؛ مقارنة بحضارة القيم والأخلاق والإنسانية والحرية وكرامة الإنسان، لنبدد الوهم الحضاري للطغاة والظلمة والمستكبرين في الأرض؛ فقد تعيش حضارة القوة والهيمنة على بطشها وسواعدها وإكراهها وتوحشها، لكنها لا تلبث أن تسقط بسقوط أسلحتها وجبروتها، حيث يبدأ انفجارها من داخلها، بعدما أكلت منسأتها دابة الأرض، وتلحق بها سنة الانقراض الحضاري بسبب من غياب العدل وبروز الظلم والتحيز والغرور، يقول عليه الصلاة والسلام مبيناً علة السقوط والانقراض الحضاري: «**إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**» (أخرجه البخاري).

وبذلك السقوط تتحول تلك الإمبراطوريات لحضارة القوة لتصبح عبرة ودرساً للعقلاء، أما الحمقى فيكررون المأساة، ويكونون عبرة لغيرهم، وهكذا تمضي رحلة الحضارة وقصتها، سقوطاً ونهوضاً.

وبالإمكان القول هنا: إن تفاعل حضارة الرحمة وحضارة النبوة مع الإنسان، واستجابتها لفطرته، وإجابتها عن أسئلته الكبرى، تبقى الأكثر فعلاً بالإنسان، وانفعالاً بحاجاته، وتفاعلاً مع وسائل بنائه، والارتقاء به، مهما ساء الحال، حتى ولو فقدت قوة الساعد، فإنها تبقى تمتلك قوة الفكرة وفطرية القيم وإنسانية الخطاب.

ولعل امتداد القيم الإسلامية في الشرق والغرب والشمال والجنوب اليوم، وتفاعل الناس معها، وانفعالهم بقيمها، وإيمانهم بمبادئها، وحملهم لشعاراتها، وتضحيتهم في سبيلها، على الرغم من قساوة الظروف وشدة المحاصرة وفظاعة صور التشويه، وعلى الرغم من هوان أهلها على الناس، مؤشرٌ واضحٌ على أن المعايير الحضارية في الحكم على الأشياء مختلة، وأن ما أُنتج من فلسفات عن الدورات الحضارية، من حيث النشأة والنمو والامتداد حتى الانكفاء والتوقف والسقوط والانقراض، لمَّا ينطبق على الحضارة الإسلامية، لا تاريخياً ولا حاضراً، حيث كانت ولا تزال قيم المغلوب عسكرياً أقوى وأبلغ تأثيراً من سواعد وجبروت الغالب، فقد انقلب المغلوب في كثير من العصور والأماكن إلى استيعاب الغالب، وأخذ مكانه في العطاء والفعل، وإحداث التفاعل، وانقلب الغالب إلى موقع التلقي والانفعال؛ فكم من القوى، التي احتلت بعض بلاد المسلمين تحوّل أهلها للإيمان بهذا الدين وحمله ونصرته والامتداد به، وكم من الأفراد من جاء عدواً محارباً مقاتلاً فتحول مؤمناً مناصراً مجاهداً، والأمثلة التاريخية من صقلية والمغول وتاريخ الإسلام الطويل ما تزال شواهد قائمة على فاعلية حضارة الرحمة وامتدادها، وسقوط حضارة القوة والغلبة وانكفائها وانقراضها.

ولعل في قصة إسلام الفيلسوف الفرنسي «روجيه جارودي»، والنقلة الحضارية الجادة من سكرتير للحزب الشيوعي الفرنسي إلى رحاب الإسلام،

نافذة حضارية فيها الكثير من الدروس والعبر؛ فلقد عاش ويلات الحرب، وظروف الاعتقال، وحكم عليه بالإعدام، ورب ضارة نافعة كما يُقال.

ففي فرنسا، كان معظم المشتغلين بالكتابة والفنون وأساتذة الجامعات، وحائزي جائزة نوبل إما أعضاء في الحزب الشيوعي أو أصدقاء للشيوعيين، وذلك بسبب الحالة السيئة التي نشأت عن أزمة الرأسمالية وتيار المقاومة لنازية هتلر.

يقول، رحمه الله: «أدّى بي موقفي - في ذلك الوقت - إلى السجن لمدة ثلاث سنوات، حيث اعتقلت في سبتمبر (أيلول) ١٩٤٠م بواسطة مارشال بيتان وحكومة «فيشي». وبقيت رهن الاعتقال حتى نهاية الحرب العالمية الثانية في معسكر بمنطقة جلفا بالصحراء الجزائرية، وهناك وقع حادث عجيب فعلاً!

فقد تزعمتُ تمردًا في معسكر الاعتقال، وأجرى «الكوماندور» الفرنسي قائد المعسكر محاكمة سريعة، وأصدر حكمًا بإعدامي رميًا بالرصاص، وأصدر أوامره بتنفيذ ذلك إلى الجنود الجزائريين المسلمين، وكانت المفاجأة عندما رفض هؤلاء تنفيذ إطلاق النار، ولم أفهم السبب لأول وهلة؛ لأنني لا أعرف اللغة العربية، وبعد ذلك علمت من «مساعد» جزائري بالجيش الفرنسي كان يعمل في المعسكر أن شرف المحارب المسلم يمنعه من أن يطلق النار على إنسان أعزل، وكانت هذه أول مرة أتعرف فيها على الإسلام من خلال هذا الحدث المهم في حياتي، وقد علمني أكثر من دراسة عشر سنوات في السوربون».

وقد يكون المثال الأقرب أيضاً ما مارسه الحكم الماركسي من تعسفٍ واضطهاد وإقصاء وإلغاء وتهجير وهدم لمؤسسات المسلمين وإغلاقٍ لمساجدهم

ومدارسهم، وتحريم المعرفة والتعليم عليهم، ومحاولة طباعة الإنسان حسب النسخة الماركسية، بكل دعايته ودعاواه، الأمر الذي تجاوزت ممارسته السبعين سنة أو ما يقارب القرن، ومع ذلك سقطت الماركسية تلاحقها اللعنات، وعادت القيم الإسلامية إلى الإنسان لينفعل بها، ولترتقي من جديد، ويقوم بدوره الرسالي في مجتمع ما بعد الماركسية، التي سقطت رغم كل بطشها وجيشها وسلاحها ومذهبها وفلسفتها وشعاراتها بأن الدين أفيون الشعوب... ومثلها سوف يكون مصير كل الارتدادات السياسية والأنظمة الدكتاتورية المستبدة والمستعبدة للإنسان في كل أنحاء العالم.

وهنا قضية، قد يكون من المفيد التوقف عندها، ولعلها تعتبر ثمرة لما سبق وأشرنا إليه، وهي أهمية تحرير النظر في المعيار الحضاري، وعدم اقتصاره على بعد حضاري واحد وجانب واحد، ذلك أن المقياس الحضاري هو مقياس مركب شامل متعدد الجوانب لا يقتصر فقط على امتلاك السلطة والقوة.

إن معيار السقوط والنهوض والانقراض الحضاري والفقه الحضاري بحاجة إلى الكثير من الموضوعية والتجرد وتجنب التحيز، والتزام المنهجية العلمية، بعيداً عن المذهبية والطائفية، وامتلاك القدرة على تجاوز الصورة الظاهرة على السطح إلى الحقيقة الغائبة في العمق الممتد عبر القرون.

إن اقتصار المعيار الحضاري على النظر إلى السطح السياسي وامتلاك السلطة بكل وسائلها وأجهزتها ودعاياتها ودعاويها لا يمكن بحال أن يكون دليلاً على النهوض والتفاعل الحضاري، الأمر الذي أدى ويؤدي إلى الظن أن

طريق بناء الحضارة وعطائها ومفاعيلها هو المغالبة على السلطة وامتلاكها، على الرغم من الركود والتخلف والتراجع في جميع مناحي الحياة، وأن سقوط السلطة يعني توقف وسقوط الحضارة أو توقفها، على الأقل!!

وقد يكون من المناسب هنا أن نقول، في ضوء معطيات الحضارة الإسلامية وتفاعلاتها الممتدة مع (الذات) و(الآخر): إنه على الرغم من أن أول ما نُقض من عرى الإسلام عروة الحكم، وكان ذلك سبب الفتن والصراعات والإعاقة والتخلف والاستنزاف والتوقف والإنهاك والوهن، لكن مع ذلك نرى أن الحضارة الإسلامية امتدت بكل مفاعيلها، ولا يزال فعلها وتفاعلها مستمراً، سواء على مستوى (الذات) أو على مستوى (الآخر)، ولم تسقط رغم سقوط السلطان، وانتقاض عروة الحكم.

لقد انحاز الناس إلى القرآن، بعد انفصال السلطان عن القرآن، انحازوا إلى القيم، وامتد المجتمع الإسلامي مسلماً على معظم الأصعدة الحضارية، ولا تزال القيم الإسلامية، التي تصنع الحضارة الإنسانية فاعلة في (الذات)، ومتفاعلة مع (الآخر)، بأقدار ملحوظة، حتى اليوم، وإلى المستقبل؛ لأنها حضارة الإنسان، حضارة الفطرة، وليست حضارة السلطة والغريزة؛ وكانت تلك القيم الخالدة في إضاءة حياة الناس تاريخياً كالكواكب، التي إن غابت في مكان ظهرت في مكان آخر، فعلاً وتفاعلاً وانفعالاً.

ولعل السبب الرئيس في استمرار عطاء الحضارة وحيويتها وتفاعلها مع الإنسان، حيثما كان، أنها إلى جانب كونها حضارة الفطرة فهي منفتحة على

كل إنسان، أينما هو، وحيثما تكون سويته الحضارية، من أكثر الحضارات بدائية إلى أعلاها تقدماً وارتقاءً؛ وأنها جماع الحضارات السابقة، فقد اعترفت بها، وأفادت منها، وأفادتها، واستصحبت الصالح معها، يحدوها قول رسول الرحمة: «**الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا**» (أخرجه الترمذي)، وحالت دون تمدد الفساد فيها، لذلك أقبل الناس على قيمها المنفتحة على الجميع، وتفاعلها مع عطاء الجميع، وتحقيقها المساواة للجميع، بعيداً عن التحيزات بكل أشكالها، التي قد تفسد القيم الحضارية، وتحاصر عطاءها، وتحاول قتل روحها وتفاعلها، في ضوء معيار دقيقٍ يضبط ويحكم عملية التفاعل والتعاون والتعارف الحضاري.

ونستطيع أن نقول هنا: إن الدور الرسالي للحضارة الإسلامية وعالميتها يمنحها طاقة وحيوية، ويحتم عليها التفاعل مع سائر الحضارات، بحيث يصبح التفاعل وتوسيع دائرة المشترك الإنساني والتصاهر الحضاري وممارسة عملية العطاء والأخذ تكليفاً شرعياً؛ واستجابة لأمر الله وطاعته، وثواباً، ذلك أن من أخص خصائص الحضارة الإسلامية الاضطلاع بعملية البلاغ المبين، وإيصال قيمها (للآخر).

هذا التبليغ، أو هذا البلاغ والدعوة والحركة والهجرة صوب (الآخر) هي من لوازم الدور الرسالي والنزوع الحضاري الإنساني، فالناس، كل الناس، هم دائماً محل خطاب القيم الإسلامية؛ وإخراجهم من الظلمات إلى النور هو

الغاية، وإلحاق الرحمة بهم من مقاصد الدين: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ:٢٨)، ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ (المائدة:٦٧)، ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (الحجر:٩٤)، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ (البقرة:١٤٣)، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾ (آل عمران: ١١٠)، «**الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ، فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَى عِيَالِهِ**» (أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط)، «**خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ**» (أخرجه الطبراني في الأوسط).

هذه الركائز والمنطلقات والمرجعيات، التي يقوم عليها الدور الرسالي واستحقاقاته، هي الأساس في إحداث التفاعل والتعارف والتبادل المعرفي والتكامل وتبادل المنافع والتجارب، وهي سبيل النمو والتحضر؛ فالحضارة الإسلامية، في المحصلة النهائية، جهد عالمي، وبناء إنساني تاريخي مشترك ومتراكم، لكل حضارةٍ وأمة ومجتمع منه نصيب؛ والحضارة الإسلامية هي جماع الحضارات التاريخية، وحصيلة العطاء الحضاري العالمي، وخاتمة النبوات والوحي الإلهي، ولعل الخصيصة الأبرز في تفاعل الحضارة الإسلامية مع غيرها أنها تنطلق في هذا التفاعل من منهج واضح لكيفية التعامل، ومعيار دقيق لما يؤخذ وما يرد، ومواصفات لحسن الاختيار؛ ليكون هذا التفاعل سبيلاً

للارتقاء والمعرفة بـ(الآخر)، محل الدعوة والبلاغ المبين، ومن ثم مشاركة له في بناء الحضارة، والحيلولة دون السقوط الحضاري.

ولعل هذا المنهج، وهذا المعيار، هما المقوّمان الأساس في تأهيل الحضارة الإسلامية لتكون ذات بصيرة حضارية، وسطية، تمكنها من أن تكون شهيدة على الناس، فهي تمتلك قيم الوحي الهادية للعقل، وتمتلك العقل المنضبط بالوحي المجتهد، المُنزِّل لهذه القيم وتجلياتها حضارياً في واقع الناس، فهي في الخلاصة: عطاء من عقل الوحي واجتهاد من وحي العقل.

والحقيقة، التي لا مرية فيها، أن وسائل التفاعل الحضاري اليوم أصبحت تفوق الحصر، وفي كل يوم منها جديد، لقد أصبح فضاؤها واسعاً جداً، ومتعدد الجوانب والميادين والمجالات، الثقافية والإعلامية والاقتصادية والدبلوماسية والسياحية والمعلوماتية....؛ وديناميةالتدافع الحضاري مستمرة في الحياة وإن تفاوتت سرعتها من حين لآخر، فهي سنة كونية وقانون سار في الخلق، وهي سبيل النمو والامتداد والتصفية والتنقية على مستوى الأفراد والأسر والأمم والجماعات؛ والبقاء والاستمرار للأصلح وإن بدا لأصحاب النظرات السطحية أنه للأقوى، فالأمور بعواقبها وليس بنتائجها القريبة.

والحضارة الأملك لوسائل التفاعل تبدو هي الأقدر على إحداث الفعل والانفعال بمنجزاتها، ولو إلى حين، وهي التي تحكم وسائل التفاعل وتتحكم فيها.

وقد نقول: إن التخلف، الذي لحق بالمسلمين لسبب أو لآخر جعلهم في موضع الانفعال والتلقي الحضاري، وأفقدهم منهج التفاعل ومعياره في آن

واحد، وبذلك تعطل الدور الرسالي التفاعلي للحضارة الإسلامية، وحوَّل شأنها من قوة دافعة فاعلة إلى قوة مانعة منفصلة، تقتصر وظيفتها الأهم، في حالة وهن وهوان المسلمين، على حماية الأمة من الذوبان، وتحتفظ لها بالإمكان الحضاري عند محاولة النهوض واستئناف الدور الفاعل والمتفاعل مع (الآخر)، لذلك، فالحضارة الإسلامية بقيمها الفطرية والإنسانية تتقدم اليوم بقوة الدفع الذاتي.

ونتيجة لهذا التخلف والتراجع الحضاري فقد انبهر الكثير من المسلمين اليوم وارتحل إلى حضارة (الآخر)، ينفعلون بها؛ لأنهم قادمون من مجتمع متخلف يجعلهم يفتقدون القدرة على التفاعل معها والإفادة منها؛ لذلك يحاولون أن يكونوا نسخة مكررة مقلدة عن أهلها، كما أن بعضهم الآخر أصبح نصيبه من الميراث الحضاري الإسلامي مجرد الانفعال والانحياز العاطفي والافتخار به لمعالجة مركب النقص، دون القدرة على التوليد والامتداد في إطار (الذات)، بله التفاعل مع (الآخر).

وهنا قد يكون من المفيد الإشارة إلى قضية تتولد عن التفاعل الحضاري، أو يولدها التفاعل الحضاري، فقد يرتقي التواصل والتفاعل الحضاري إلى مستوى التفكير بـ(الذات) والعودة إليها والتعرف عليها من خلال (الآخر)، كنتيجة لاستشعار التحدي والاستفزاز، الذي يشحذ الذهنية، ويذكي الفاعلية، ويجمِّع الطاقة، ويُبصِّر بالإمكان الحضاري، ويفتح الكثير من الآفاق المسدودة، ويكشف عن جوانب من (الذات) كانت غائبة أو خفية؛ ولعل

ذلك ينطبق، إلى حدٍ بعيد، على كثير من المبتعثين إلى الحضارات الأخرى للدراسة والتدريب والذين كان المفترض أن يشكلوا بحق جسوراً للتفاعل الحضاري والتبادل المعرفي، فهم يذهبون بحال مجتمعاتهم، التي يسودها التخلف والرخاوة والوهن واللامبالاة وعدم استشعار المسؤولية وانطفاء الفاعلية وعدم التنبه للدور المنوط بهم؛ وقد تكون النيّة من ابتعاثهم للحضارات الأخرى غير سليمة، في محاولاتٍ ماكرة لإلغاء ذاتهم، والمساهمة بانحلالهم وتذويبهم في حضارة (الآخر)، وإذا بالسحر ينقلب على الساحر حضارياً، فيعرِفون ذاتهم وحضارتهم وقيمهم وتميزهم من خلال (الآخر).

لكنهم عندما يعودون بهذه المعطيات يُواجهون بمجتمعات متخلفة مغلقة مقفلة الأبواب، تحيطهم بالريبة، وتحاصرهم ولا تفسح المجال لتخصصاتهم، لذلك لا يبقى لهم خيار إلا الانخراط في مسيرة التخلف وتعطيل جميع مكاسبهم المعرفية، وقد يناط بهم الاشتغال بغير تخصصهم؛ هذا بالنسبة للمجتمع بشكل عام.

أما المؤسسات العاملة في مجال الدعوة والعمل الإسلامي والمنوط بها أن تشكل حاضنة لهم، فقد انتهى بعضها ليكون جزءًا من مجتمع التخلف، والعيش في كنف السلطان، والقيام بانتقاء الأحكام الشرعية، التي تدعم وتسوغ موقفه؛ وبعضها الآخر، في المقابل، اختزل القيم الإسلامية في المغالبة على السلطان، واستباح في سبيل ذلك الكثير من الممارسات، التي هي محل نظر، من الناحية الشرعية.

وفريق ثالث آثر السلامة، ففضل الانسحاب من المجتمع والتخفف من أعباء الاستخلاف الإنساني وتكاليفه، فلجأ إلى العزلة والانقطاع عن الحياة وتعطيل سننها الاجتماعية، فأصبح خارج نطاق الحضارة ومفاعليها، رغم أنه يحمل شعار التدين.

وهذا الكتاب، محاولة لاستدعاء ملف التفاعل الحضاري، في حقبة يشتد فيها الصراع والهيمنة والتدافع والتداول الحضاري، والاجتهاد في بناء رؤية ودليل عمل لكيفية التعامل مع الحضارات القائمة، وبيان الأسس التربوية الحضارية الإسلامية، وتحديد الضوابط، التي تحكم عملية التفاعل والتكامل والتعاون والتعارف والتدافع وحتى الصراع الحضاري، ذلك أن ميادين التفاعل متعددة ومتنوعة، ومنها الإيجابي والسلبي، لكنها جميعاً في نهاية المطاف تحمل التأثير والتأثر، وتُحدث التفاعل الذي يتمحور حول سنة التدافع وضرب الحق والباطل: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَـٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ (الرعد:١٧).

كما يقدم الباحث نماذج من وسائل التفاعل الحضاري، ويجتهد في رسم طريق الانعتاق من واقع التخلف، وتصويب منهج التفاعل، وضبط معيار الانتفاع والقبول والرفض، ذلك أن التفاعل والتواصل والتداخل أصبح واقعاً لا مفر منه، بعد هذا التقدم المتعاظم في وسائل التواصل والاتصال والإعلام، لقد أصبحت العوالم عالماً واحداً، فكيف نتعامل معه، كيف يمكن لنا، بعد أن شكلت المنتجات الحضارية الجديدة فضاءً واسعاً، أن نستثمر فيها للوصول

بمهمتنا الرسالية الإنسانية إلى العالم، وإحداث الانفعال والتفاعل والتغيير لواقع الناس، وفق قيم الوحي؟

فقد تكون الإشكالية اليوم في انطفاء الفاعلية والعطالة الفكرية المتولدة عن فقدان الحرية، وشيوع الاستبداد السياسي، والظلم الاجتماعي، وتوقف حركة العقل والاجتهاد والإبداع، وشيوع التقليد والمحاكاة والابتداع، وانصراف الجهود كلها للمغالبة، أو المكالبة على السلطة، أو لتبرير مسالك السلطة، والهروب إلى التاريخ، والاقتصار على الانفعال مع (الذات)، وليس التفاعل، والافتخار بإنجازات السلف وعطاء الموروث الثقافي، دون القدرة على التفاعل معها واستصحابها وتجريدها من حدود الزمان والمكان، وتوليدها في واقع الناس.

فمسلم حقبة التخلف لا استفاد من تراثه ولا استطاع أن يفيد من منتجات الحضارة الغالبة ويتجنب ويلاتها.

وكيف نكون في مستوى التفاعل الحضاري والتبادل المعرفي، ذلك أن المؤهَّل للتفاعل والتبادل المعرفي الإنسان الذكي الحاذق المثقف «العَدْل»، أما «الكَل» المتخلف فهو غير مؤهل أصلاً للتفاعل والتبادل الثقافي والإفادة من ميراث (الذات)؛ فالعاجز عن استيعاب ذاته والارتقاء بها أكثر عجزاً عن الإفادة من (الآخر).

والحمد لله على كل حال.

مقدمة[1]

الحمد لله، ربِّ العالمين، وبه نستعين؛ ونصلي ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين.

وبعد:

فهذه مجموعة من الأفكار والاجتهادات ووجهات النظر مستلةٌ بكثير من الاختصار من دراسة أكاديمية، بعنوان «ضوابط التفاعل الحضاري، ووسائله، وآثاره التربوية»، تقدم بها الباحث إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، في العام الجامعي ١٤٣٠-١٤٣١هـ، للحصول على درجة الماجستير، في التربية الإسلامية.

وتكتسب الدراسة أهميتها كونها تصدر في ظل حالة التخلف والتراجع الحضاري، التي تسود كثيراً من المجتمعات المسلمة، والانبهار بمعطيات الحضارة الغربية، وما تردد من دعوات للتفاعل والتحاور معها والأخذ والاستفادة منها، وما نشأ من تباين في الآراء واختلاف في المواقف إزاء ذلك، حيث انقسم الناس بعمومهم إلى أربعة أقسام[2]:

---

(١) اكتفينا بهذا المختصر من المقدمة العلمية الضافية، التي وضعها الباحث لرسالته، لعلها تعرِّف بالجهد العلمي المبذول في الرسالة، ويناسب مساحة «كتاب الأمة».. واقتصرنا في تخريج الأحاديث على ذكر الراوي دون التفاصيل الواردة في أصل الرسالة العلمية، كما اكتفينا بالعناوين الرئيسة دون الفصول والمباحث (الناشر).

(٢) علي عبد الحليم محمود، الحضارة الإسلامية والإنسان، بحث مقدم لندوة الإسلام والحضارة ودور الشباب المسلم المنعقدة في الرياض ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ط٢(الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م)ص٤٤١.

قسم آثر أن يغلق النوافذ والأبواب دون هذه الحضارة الوافدة، واعتبر أن كل ما جاء فيها أو جاء عنها شراً وفسادًا وإفسادًا.

وقسم كان على النقيض تماماً، فلم يكتف بفتح النوافذ والأبواب أمام حضارة الغرب، وإنما أغلق النوافذ والأبواب دون حضارته وتراثه ودينه.

وقسم أخذ يصوغ لنفسه من حضارته الإسلامية ومن حضارة الغرب شيئاً جديداً، يجمع بينهما، ويلفق بين معطيات الحضارتين، فجاء الترقيع مشوّهاً للأصل، ومسيئاً للدخيل.

وقسم كان وسطًا بين هذه المذاهب، فآثر الاستفادة من الغرب على حذر، حتى لا يقع فيما لا يتماشى مع ثوابته وقيمه الدينية، التي يتعبد ويتدين بها.

وكان لذلك كله انعكاساته، السلبية والإيجابية أيضاً، على الجانب التربوي، كما كان له تأثيراته في التربية العقدية والعلمية والخلقية وغير ذلك من جوانب التربية الإسلامية؛ مثلما كان للتربية الإسلامية، في المقابل، تأثيرها كذلك في تلك المذاهب، تصحيحاً وتنقيةً وتقويمًا.

ومنهج التربية الإسلامية، بشكل عام، لا يمنع المسلم من الاستفادة من غيره، فيما يتعلق بأمور معاشه ودنياه، بل جعل من الاتصال بالآخر والتفاعل معه والتغلغل في حضاراته وسيلة من وسائل التبليغ والتأثير والإقناع بالشرع الحنيف، تعمل جنباً إلى جنب مع الوسائل الأخرى.

فالإسلام عندما جاء، ديناً سماوياً، وجد مجتمعات قائمة، لها خصوصياتها الثقافية والفكرية، فأبقى ما كان صالحاً مما ليس فيه إفساد للعقيدة أو إخلال

بالقيم، وأقر ما كان متفقاً عليه من مكارم الأخلاق وحميد الصفات، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ**»(أخرجه مالك في الموطأ)، وفي رواية: «**صَالِحَ الأَخْلَاقِ**» (أخرجه الإمام أحمد).

وقد اهتم كثير من علماء المسلمين بالدعوة للتفاعل مع الحضارات الأخرى، ونقل العلوم المفيدة وترجمتها، وفق مجموعة من الضوابط والقيود الشرعية، التي تحصّن وتحكم وتسدد، وتكون في علاقتها مع عملية التفاعل الحضاري كالشرط مع المشروط والدليل مع المدلول، ويُعلم، بداهة وعقلاً، أن المشروط متوقف على شرطه، وأن المدلول مبني على دليله، لذلك فإن التفاعل الحضاري متوقف على ضوابطه الشرعية والتربوية، وجوداً وعدماً.

وتتأكد أهمية التفاعل الحضاري، في التربية الإسلامية، بالنظر إلى أنه يشكل الأداة الرئيسة للتواصل الإنساني والوسيلة الأساس لتبادل المنافع والمعارف بين الأمم، في سبيل بناء الفرد ونمائه وازدهاره، علميًا، وفكرياً، وخلقيًا، واجتماعيًا، ونفسياً، واقتصادياً، وعسكرياً، مع مراعاة القواعد والمبادئ المستمدة من الكتاب والسنة والتي تستلزم تطهير التفاعل الحضاري، وتنقيحه من الشوائب، وتنقيته من المخالفات والشطحات، وكل ما يعكر صفوه.

ومن ثمّ جاءت الدراسة للنظر والتفكير والتأمل في عملية التفاعل الحضاري بين العالمين، الإسلامي والغربي، والوقوف على الأساليب التربوية لتفعيلها، والبحث والتنقيب والتحديد لضوابطها، الشرعية والتربوية، وبيان

الآثار، الإيجابية والسلبية، التي تترتب عليها، في أكثر من مجال، خاصة المجال الاعتقادي، والعلمي، والاجتماعي.

وهي بذلك تعتبر محاولة للإسهام في عملية التأصيل للتربية الحضارية في الإسلام، ونافذة يمكن من خلالها الإطلالة على بعض أهم الوسائل لنقل المعارف والخبرات من أمة إلى أمة، ومن حضارة إلى أخرى.

وتتمحور الدراسة حول الإجابة عن مجموعة من التساؤلات، الرئيسة والفرعية، التي تدور حول: مفهوم التفاعل الحضاري، وآثاره التربوية، وضوابطه، الشرعية والتربوية، التي تحول دون فتح الباب على مصراعيه بالإفراط أو التفريط في توظيف مجالات التفاعل؛ ذلك أن أي إخلال أو تجاوز لهذه الضوابط يؤدي إلى نتائج وخيمة كفساد العقيدة والأخلاق، وتخلف الأمة عن ركب الحضارة، والتقوّل على الله بغير علم، إلى غير ذلك من الآثار المترتبة على عدم مراعاة هذه الضوابط.

ولما كانت طبيعة الموضوعات في الأساس هي التي تحدد منهج البحث، فقد اعتمد الباحث على المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتتبع لما يتعلق بهذا الموضوع من أجل الحصول على نتائج علمية.

نسأل الله التوفيق والسداد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التفاعل الحضاري

المفاهيم.. المشروعية.. الأهداف.. والمجالات

يتمحور هذا القسم من الكتاب حول أربعة مرتكزات رئيسة:

الأول: مفهوم التفاعل الحضاري وبعض المفاهيم المتصلة به، حيث يتم بيان المقصود بمفهوم التفاعل الحضاري، باعتبار مفرديه، وباعتباره مركباً، والمراد بمفهوم الضوابط.

الثاني: مشروعية التفاعل الحضاري، وفيه محاولة لبيان حكم التفاعل الحضاري، وموقف منهج التربية الإسلامية من الإيجابي منه، مع تقديم نماذج من التفاعل الحضاري في منهج التربية الإسلامية، خاصة في مجالي الاقتصاد وتعلم اللغات.

الثالث: أهداف التفاعل الحضاري: وفيه يتم التركيز على ثلاثة أهداف أساس هي: نشر رسالة الإسلام الخالدة، والاستفادة من تجارب الآخرين، والرد على الانحرافات الموجودة في الحضارات الأخرى.

الرابع: مجالات التفاعل الحضاري: وقد تم تقسيمها إلى مجالين رئيسين: المجالات المحظورة، والمجالات الجائزة، على مستوى العقائد والعبادات والمعاملات.

التفاعل الحضاري وضوابطه

المفهوم.. والدلالات

أولاً: تعريف التفاعل الحضاري:

التفاعل الحضاري مركب من كلمتين هما: التفاعل والحضارة، وعليه، فإن تعريف التفاعل الحضاري يكون باعتبار مفرديه، وباعتباره مركبًا.

١- تعريف التفاعل الحضاري باعتبار مفرديه:

التفاعل لغة: مصدر (تَفاعَلَ)، الذي يدلّ على المشاركة غالباً، مثل: تعاوَنَ فلان وفلان، وتشاركت أنا وصديقي.. وتقول: تَفاعَلَ الطلاب مع معلّمهم تَفاعُلاً مثمراً، من (فَعَل) الشيء فعلاً وفعالاً وتفاعلاً: أثّر كل منهما في الآخر[1].

وبالتالي، فإن التفاعل يقوم على المشاركة والتعاون، ويقتضي تبعاً لذلك التعاضد.

أما الحضارة لغة: من حضر يحضر حضورًا وحضارة، والحَضَرُ: خلاف البدو، والحاضر: خلاف البادي، والحضارة: الإقامة في الحضر، قال الشاعر:

---

(١) إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، ط١ (استنبول: المكتبة الإسلامية، ١٩٦٠م) ٢/٦٩٥.

وَمَن تكُنِ الحضارةُ أعجَبَتهُ   فأيَّ رجال باديةٍ تَرَانا

والحضر، والحضرة، والحاضرة: خلاف البادية، وهي المدن والقرى والريف، سميت بذلك؛ لأن أهلها حضروا الأمصار، ومساكن الديار، التي يكون لهم بها قرار[1].

ولم تعد كلمة الحضارة «في العرف المعاصر مقصورة على مدلولها القديم المقابل لمدلول كلمة (بداوة) وإنما جاوزته إلى مدلول آخر، هو التعبير عن ارتقاء المجتمع، وارتفاعه عن المستويات البدائية، ويقصدون عادة بالمجتمع المتحضر ذلك المجتمع، الذي له قيمه الروحية الرفيعة، وأساليبه المادية المتطورة في مواجهة الحياة»[2].

واصطلاحًا: عرّفت الحضارة بتعاريف متعددة، من أبرزها:

أن الحضارة: «كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه، عقلاً وخلقًا، مادة وروحًا، دنيا وديناً»[3].

وعُرّفت بأنها: «كل إنجاز فكري أو مادي للإنسان على وجه الأرض، وهي بذلك تشمل: الدراسات الأدبية، والنظرية، والعقلية، والفلسفية،

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، ط١ (بيروت: دار صادر) ٤/١٩٧.

(٢) عمر بن سليمان الأشقر، نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ط٣ (عمان: دار النفائس، د.ت.) ص ٢٥.

(٣) محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، ط٤ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م) ص٦.

والوسائل والمخترعات والابتكارات، التي وصل المجتمع الإنساني بها إلى آفاق بعيدة من الرقي، والتنظيم المادي، والرفاه الاجتماعي في الحياة، والنظم، التي يضعها المجتمع لدعم كيانه، وتحقيق أهدافه في الحياة بسهولة ويسر»[1].

فالحضارة: «نوع من الامتزاج والتفاعل بين العقائد، والتصورات، والأخلاق، والنظم الاجتماعية، وما توفر من معطيات ثقافية مع الخبرات الفنية والعملية؛ لينتج عن ذلك وفرة في عالم الأشياء، وسيطرة أكثر على الطبيعة، وخروج من حيز الضرورات إلى الشعور بالتأنق، وتعدد الخيارات»[2].

هذه التعريفات تمثل، إلى حدٍ بعيد، الاتجاه العام، الذي عَرّف الحضارة بأنها: جهد البشر في شتى الميادين، وجعلها شاملة ومحيطة بكثير من جوانب الحياة، إلا أن هناك اتجاهات أخرى منها: الاتجاه الروحي، والاتجاه المادي، والاتجاه الحيواني...

ويتبين مما سبق أن مفهوم الحضارة يتناول كل ما ينجزه الفرد أو المجتمع في جوانب الحياة المختلفة، المادية والمعنوية.

---

(١) حسن سليمان، الشباب المسلم والحضارة الغربية، ط١ (جدة: دار الشروق، ١٩٨٥م) ص١٥.

(٢) عبد الكريم بكار، من أجل انطلاقة حضارية شاملة: أسس وأفكار في التراث والفكر والثقافة والاجتماع (الرياض: دار المسلم، ١٤١٥هـ) ص١٠.

٢- تعريف التفاعل الحضاري باعتباره مركبًا:

يندرج التفاعل الحضاري ضمن مصطلح (التفاعل التربوي) والذي يُعرّف بأنه: «سلسلة متبادلة ومستمرة من الاتصالات بين كائنين إنسانيين أو أكثر»[١]، فهو يشمل: التفاعل الحضاري؛ والتفاعل الاجتماعي؛ والتفاعل الصفي، الذي يوصف بأنه: «أنماط الكلام أو الحديث المتبادل بين المعلم والتلميذ داخل حجرة الدراسة، وتعكس هذه الأنماط طبيعة الاتصال بين المعلم وتلاميذه، وأثره في المناخ الاجتماعي والانفعالي داخل حجرة الدراسة، وذلك على افتراض أن هذا المناخ يؤثر على النتائج النهائية للنظام التعليمي، وعلى اتجاهات المعلم نحو تلاميذه، واتجاهات التلاميذ نحو التعلم»[٢].

ويتسع مفهوم التفاعل الصفي ليشمل: «كل ما يحدث بين المعلم والطلاب، أو بين الطلاب والمواد التعليمية، أو بين الطلاب أنفسهم من حوار وتأثر وتأثير متبادل ينتج عنه إثراء لتعلم الطلاب وتشكيل أفضل لأنماط تفكيرهم وسلوكهم»[٣].

---

(١) علي أسعد وطفة، علم الاجتماع التربوي وقضايا الحياة التربوية المعاصرة، ط٢ (الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م) ص١٦٢.

(٢) إبراهيم مجدي عزيز، ومحمد عبد الحليم، التفاعل الصفي، ط١ (عالم الكتب، ٢٠٠٢م) ص٣٨.

(٣) عبد العزيز بن سعود العمر، لغة التربويين، د.ط. (الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ٢٠٠٧م) ص١٢٦.

أما التفاعل الاجتماعي فهو عبارة عن «العلاقات الاجتماعية بجميع أنواعها، التي تكون قائمة بوظيفتها، أي العلاقات الاجتماعية الديناميكية بجميع أنواعها، سواء أكانت هذه العلاقات بين فرد وفرد، أو جماعة وجماعة، أو بين جماعة وفرد»[1].

وقيل: هو «العملية، التي يرتبط بها أعضاء الجماعة بعضهم مع بعض، عقليًا ودافعياً وفي الحاجات والرغبات والوسائل والغايات والمعارف وما شابه ذلك»[2].

أما التفاعل الحضاري فهو من المصطلحات، التي ظهرت في الآونة الأخيرة، وقد «اختلف المفكرون والعلماء اختلافًا بيّناً حول فكرة هذا المصطلح وحقيقته، فمن قائل: إنه صراع الحضارات، ومن قائل: إنه حوار الحضارات، ومن قائل: إنه تداول حضاري. ثم هل هو تقارب الحضارات أم حرب الثقافات أم كلها مجتمعة، أم غير ذلك؟ على أية حال هو مصطلح يعني اتصال والتقاء الشعوب والأمم المختلفة ذات الأبعاد الثقافية والقيميّة المتباينة، وهذا الالتقاء، الذي يتم عبر وسائل ومصادر مختلفة له مساوئه ومحاسنه تبعًا للنظرة العقدية والمنفعة المتوقعة للمجتمع»[3].

---

(١) عبد الله الرشدان، علم اجتماع التربية، ط٢ (عمان: دار الشروق،٢٠٠٤م) ص١٦٩.
(٢) المصدر السابق.
(٣) هاشم بن علي الأهدل، أصول التربية الحضارية في الإسلام، ط١ (الرياض: مطبوعات عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود، ٢٠٠٧م) ص٣٧.

وبنـاء علـى مـا سبق، يمـكن أن نستنتـج تعريفـاً إجرائيـاً للتفـاعل الحضاري، هو:

التواصـل الإنسـاني وتبـادل المنـافع بـين الأمـم للاستفادة مـن المعطيـات والمعـارف النافعـة ليتحقـق بنـاء الفـرد ونمائـه وازدهـاره، ازدهـارًا صـالحاً، علميّـا، وفكريـاً، وخلقيـاً، واجتماعيـاً، ونفسـيًا، واقتصـاديًا، وعسـكريًا، عـبر وسـائل متعددة يقتضيها الموقف التربوي».

ولما كانـت هـذه الدراسـة مما يمكـن تصـنيفه في إطـار الدراسـات الخاصـة بمجـال التربيـة الإسـلامية، كـان لا بـد أن نضـيف قيـدًا مهمـاً يميـز التفاعـل الحضاري المنشود في التربية الإسلامية عن غيره في التربيات الأخرى، وعليه فإن المقصود من التفاعل الحضاري في التربية الإسلامية، هو:

«التواصـل الإنسـاني وتبـادل المنـافع بين الأمـم للاستفادة مـن المعطيـات والمعـارف النافعـة ليتحقـق بنـاء الفـرد ونمائـه وازدهـاره، ازدهـارًا صـالحاً، علميـاً، وفكريـاً، وخلقيـاً، واجتماعيـاً، ونفسيًا، واقتصـادياً، وعسـكريًا، عـبر وسـائل متعددة يقتضيها الموقـف التربـوي، مـع مراعـاة القواعـد والأسـس المسـتمدة مـن الكتـاب والسنة والتي تستلزم تطهير التفاعـل الحضـاري وتنقيحه من الشـوائب والمخالفات والشطحات، وكل ما يعكر صفوه .

ولا شـك أن التفاعـل الحضـاري أصـبح ذا أهميـة بالغـة في وقتنـا المعاصـر، لكونه الركيزة الأساسية لنقـل الـتراث الثقـافي، والخبرات المعرفيـة والمهنيـة والتقنيـة من أمة إلى أخرى ومن حضارة إلى غيرها من الحضارات.

وإذا كان المعلم، الذي لا يتقن مهارات التواصل والتفاعل الصفي يصعب عليه النجاح في مهماته التعليمية، فلا شك أن الإخفاق في مهارات التواصل والتفاعل التربوي بين الحضارات والأمم يجعل التفاعل أكثر صعوبة وأشد خطورة.

ثانياً: تعريف الضوابط:

الضوابط جمع ضابط، والضابط لغة اسم فاعل من الضبط، قال ابن فارس[1]: «الضاد والباء والطاء أصل صحيح، ضبط الشيء ضبطاً، والأضبط: الذي يعمل بيديه جميعاً»[2].

وفي لسان العرب: «الضَّبْطُ: لُزُومُ الشَّيْءِ وَحَبْسُهُ، وَضَبْطُ الشَّيْءِ حِفْظُهُ بِالْحَزْمِ؛ وَالرَّجُلُ ضَابِطٌ أَيْ حَازِمٌ؛ وَرَجُلٌ أَضْبَطُ: يَعْمَلُ بِيَدَيْهِ جَمِيعاً، وَأَسَدٌ أَضْبَطُ: يَعْمَلُ بِيَسَارِهِ كَعَمَلِهِ بِيَمِينِهِ»[3].

وجاء في تهذيب اللغة: «الضَّبْطُ: لُزُومُ شَيْءٍ لا يُفَارِقُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَرَجُلٌ ضَابِطٌ شَدِيدُ الْبَطْشِ وَالْقُوَّةِ وَالْجِسْمِ»[4]، ويقال: «فلان لا يضبط عمله، إذا عجز عن ولاية ما وليه، ورجل ضابط: قَوِيٌّ عَلَى عَمَلِهِ»[5].

---

(١) لترجمته انظر: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، د.ط. (لبنان: دار الثقافة، د.ت) ١/١١٨.

(٢) أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ٣/٣٨٦.

(٣) محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ٧/٣٤٠.

(٤) محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، ١١/٣٣٩.

(٥) المصدر السابق.

والضابطة: «الماسكة والقاعدة، وجمعه ضوابط»[1]؛ وَرَسَمُوا الضَّابِطَةَ بأنها: «أَمْرٌ كُلِّيٌّ يَنْطَبِقُ عَلَى جُزْئِيَّاتِهِ لِتُعْرَفَ أَحْكَامُهَا مِنْهُ»[2].

ومنه ضبط المعرفة وهو: «سماع الكلام كما يحق سماعه، ثم فهم معناه، الذي أريد به، ثم حفظه ببذل مجهوده، والثبات عليه بمذاكرته إلى حين أدائه وكمال الوقوف على معانيه الشرعية»[3].

والضابط اصطلاحًا: «قضية كلية، من حيث اشتمالها بالقوة على أحكام جزئيات موضوعها من باب واحد»[4]، أي أن الضابط حكم كلي ينطبق على جزئياته.

والضابط الفقهي هو: «حكم أغلبي يُتعرف منه أحكام الجزئيات الفقهية المتعلقة بباب واحد من أبواب الفقه مباشرة»[5].

وقد استعمل بعض العلماء القاعدة والأصل والقانون والضابط بمعنى واحد، حيث لم يفرق بينها، ومن ذلك قولهم: «وفي العرف القاعدة والأصل

---

(١) أحمد رضا، معجم متن اللغة، د.ط. (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٥٩م) ٣/٥٢٩.

(٢) أحمد الحموي، شرح الحموي على الأشباه والنظائر، اعتنى بإخراجه نعيم أشرف نور، ط٢ (كراتشي: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، ٢٠٠٤م) ١/٤٠٨.

(٣) الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ١/٥٧٩.

(٤) المصدر السابق، ١/٧٢٨.

(٥) عبد الرحمن العبد اللطيف، قواعد وضوابط التيسير في الشريعة، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤١٥هـ، ص٢١.

والضابط والقانون: أمر كلي ينطبق على جزئياته لتعرف أحكامها منه»[1]. غير أن بعض أهل العلم يُفرق بين القاعدة والضابطة، «بأن القاعدة تجمع فروعاً من أبواب شتى، بينما الضابطة تجمعها من باب واحد»[2].

والخلاصة: أن الضابط في اللغة يدور معناه حول الحزم واللزوم والشدة، وكلها ألفاظ متقاربة في المعنى. واصطلاحًا هو: حكم كلي ينطبق على جزئياته.

وقد اخترت للضوابط تعريفاً إجرائياً ليكون مناسبًا لمقصود هذه الدراسة، بأنه: القواعد والقيود، التي تمنع عملية التفاعل الحضاري من الشوائب والمخالفات والشطحات.

ولا شك أن معرفة الضوابط لها أهمية كبيرة في اتضاح الرؤية، وضبط الأمور، والتمييز بين الصواب والخطأ، ورد الجزئيات إلى كلياتها وأصولها.

وتأتي أهمية الضوابط من أنها بالنسبة للعلوم «بمنزلة الأساس للبنيان، والأصول للأشجار، لا ثبات لها إلا بها، والأصول تبنى عليها الفروع، والفروع تثبت وتتقوى بالأصول، وبالقواعد والأصول يثبت العلم ويقوى وينمى نماءً مطردًا... وبها يحصل الفرقان بين المسائل، التي تشتبه كثيرًا»[3].

---

(١) أحمد بن محمد الشمني، حاشية الشمني على مغني ابن هشام، د.ط. (مصر: المطبعة البهية، د.ت) ٦/١.

(٢) أحمد الحموي، شرح الحموي على الأشباه والنظائر، ٤٠٨/١.

(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول، ط١ (الرياض: دار الوطن، ١٤١٥هـ) ص٦.

مشروعية التفاعل الحضاري

اهتمت التربية الإسلامية بالعلم، تعلماً وتعليماً، وبيّنت فضل العلم وشرف أهله، فالعلم إما فرض عين أو فرض كفاية، وأهل العلم هم ورثة الأنبياء، وفضل العالم على العابد كما بين السماء والأرض، ولم يأمر الله نبيه بالاستزادة من شيء إلا العلم، فقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه:١١٤).

ودائرة العلم في المنهج الإسلامي تشمل العلوم النافعة جميعاً، وليس محصوراً بالعلم الشرعي، وإن كان العلم الشرعي يدخل فيه دخولاً أولياً لكونه يتعلق بالإلهيات والعبادات، وعلم معرفة الحلال والحرام، وإنما أيضاً ينطبق هذا الوصف «على كل العلم، مادام لا يخرج عن الحدود، التي رسمها الله، وإلا فانظر... كيف يُنَفّذ المسلمون هذا الأمر الرباني: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ (الأنفال:٦٠)، هل يستطيعون ذلك بغير علم يشمل اليوم الفيزياء والكيمياء والرياضيات والميكانيكا، وعشراتٍ غيرها من العلوم؟! وكيف ينفذون أمره تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ (الملك:١٥)، هل يمشون بغير علم؟ وهل يأكلون من رزقه بغير علم؟ وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ (الجاثية:١٣)، هل يتحقق التسخير بغير علم؟ هل يقول

الإنسان للشيء: كن، فيكون؟ أم يحتاج تحقيق التسخير إلى جهد علمي؟!
وعشرات من الأمور تقطع بأن العلم، الذي هو فريضة ليس هو العلم الشرعي وحده، إنما هو كل علم نافع، إنما يختلف الأمر بين علم وعلم، فيكون أحدهما فرض عين والآخر فرض كفاية»[1].

واهتم منهج التربية الإسلامية بطلب الحكمة وتحصيلها من أي مصدر كان، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا**»[2].

فالحكمة، كما في الحديث، ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها، ويغتنمها حيث ظفر بها، إذ ربما «تفوه بها من ليس لها بأهل، ثم وقعت إلى أهلها، فهو أحق بها من قائلها، من غير التفات إلى خساسة من وجدها عنده»[3]، ويروى عن الإمام علي ﷺ قوله: «العلم ضالة المؤمن فخذوه ولو من أيدي المشركين، ولا يأنف أحدكم أن يأخذ الحكمة ممن سمعها»، وعنه أيضاً أنه قال: «الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، يَطْلُبُهَا وَلَوْ فِي أَيْدِيَ الشُّرَطِ»[4].

---

(١) محمد قطب، واقعنا المعاصر، ط٢ (مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة، ١٩٨٧م) ص٩٤.

(٢) أخرجه الترمذي، حديث رقم: ٢٦٨٧؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي، رقم:٢٦٨٧.

(٣) محمد المباركفوري، تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، ٢٠٤٢/٢.

(٤) ابن عبد البر، يوسف، جامع بيان العلم وفضله (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٠/١.

وتؤخـذ الحكمـة ممـن تُسمَع منـه، ولا يضـر كونـه لـيس أهـلاً للحكمـة «فـالجوهرة النفيسـة لا يشـينها سـخافة غائصـها، ودنـاءة بائعهـا»[1]، وإن مـن أكـبر مـا يُفَـوِّت الفوائـد في الفنـون، تـرك التلمح للمعـاني الصـادرة عمـن لـيس بمحل للحكمة، أترى يمنعك من أخذ اللؤلؤة وجدانك لها في مزبلة[2].

والحق يُستفاد من أي أحد، كائنًا من كان، مادام ما قاله حقاً، ولهذا فقد استفاد أبو هريرة ﷺ آية الكرسي عن الشيطان ابتداءً ثم أقره النبي ﷺ بقوله: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ**»[3]، «وفي الحديث من الفوائد أن الشيطان قـد يُعَلِّم مـا ينتفـع بـه المؤمن، وأن الحكمـة قـد يتلقاهـا الفـاجر فـلا ينتفـع بهـا، وتؤخذ عنه فَيُنتَفَع بها»[4].

وفي حديث السيدة عائشة، رضي الله عنها: «أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا، فَذَكَرَتْ عَذَابَ الْقَبْرِ، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ؛ فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ؟ فَقَالَ: **نَعَمْ، عَذَابُ الْقَبْرِ**.. قَالَتْ عَائِشَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ صَلَّى صَلاةً إِلاَّ تَعَوَّذَ مِنْ

---

(١) المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير، ط١ (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ) ٦٥/٥.

(٢) ابن مفلح، محمد، الآداب الشرعية، ط٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م) ١١٢/٢.

(٣) أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط١ (الرياض: دار السلام، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

(٤) أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٦١٦/٤.

عَذَابِ الْقَبْرِ»[1]، ويؤخذ من الحديث إرشاد الخلق إلى قبول الحق من أي شخص كان، فإن الحكمة ضالة المؤمن[2].

وتستفاد الحكمة حتى من الحيوانات، فقد ورد في تاريخ بغداد عن «بزر جمهر» أنه قال: «أخذت من كل شيء أحسن ما فيه، حتى انتهيت إِلَى الكلب، وَالهرة، وَالخنزير، وَالغراب، فقيل له: وَما أخذت من الكلب؟ قَالَ: ألفه لأهله وَذبه عَنْ حريمه، قيل فمن الغراب؟ قَالَ: شدة حذره، قيل: فمن الخنزير؟ قَالَ: بكوره فِي إرادته، قيل: فمن الهرة؟ قَالَ: حُسنُ رفقها عند المسألة، ولين صياحها»[3].

أولاً: حكم التفاعل الحضاري:

الحكم على التفاعل الحضاري بالحظر أو بالإباحة بإطلاق تنقصه الدقة والموضوعية، لذا فالصواب التفصيل في هذه المسألة، وهو أن التفاعل الحضاري يمر بالأحكام التالية:[4]

١- يكون محظورًا إذا كان في أصول الدين وأسس العقيدة.

٢- يكون فسوقًا إذا كان في الأخلاق الفاسدة.

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) علي بن سلطان القاري، مرقاة المفاتيح، ٣١٧/١.

(٣) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، د.ط. (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.) ٢٥١/٨.

(٤) محمد أمين حسن محمد بني عامر، الاقتباس عن الغرب، ضوابطه وحدوده.. أسبابه وآثاره، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، العدد التاسع والعشرون، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ١٥١؛ ومحمد قطب، واقعنا المعاصر، ص٩٤.

٣- يكون حراماً إذا كان في التقاليد والعادات والشعائر العامة.

٤- يكون مكروهاً إذا كان في الأمور العامة، التي لا تمس العقيدة.

٥- يكون مباحاً - بشروط وقيود- في الإنتاج المادي، والعلوم الإنسانية والتجريبية البحتة، والتجارب العسكرية، وذلك بعد صياغتها صياغة إسلامية، وتنقيتها من شوائب الجاهلية، وتجريدها من مصالح الكفار، وألا تتعارض مع مصلحة من مصالح الإسلام.

٦- ويكون واجباً أو فرضاً كفائياً إذا كان الجهل بأسباب القوة، التي تدرأ كيد الأعداء، مفضياً إلى ضرر محقق تتعرض به الأمة الإسلامية إلى خطر تسلط عدوها.

إن ضبط العلاقة بين المسلم وغير المسلم تجعل كل طرف يؤثر ويتأثر بالطرف الآخر «فيتغير ويعدل ويكتسب عاداته واتجاهاته ومُثُلِه، كذلك يكون دائم التأمل لذاته، مستمراً في الموازنة بين شخصيته وشخصية الآخرين...»[١].

فالتفاعل الحضاري، منه ما هو جائز، ومنه ما هو محرم:

ثانياً: موقف منهج التربية الإسلامية من التفاعل الإيجابي:

لما كان التفاعل الحضاري يندرج في إطار المعاملات والعادات، وأن الأصل فيه الإباحة، لم يكن من شأن الوحي منعه ومحاربته، وإنما أباحه ووجهه الوجهة الصحيحة، التي تتوافق مع مبادئ الشرع الحنيف.. ولما كانت هناك

---

(١) منير المرسي سرحان، في اجتماعيات التربية، ط٢ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٢م).

أشياء كثيرة مشتركة بين الحضارات جميعاً -سببها اشتراك الناس في حاجات معينة: كالملبس، والمسكن، والمطعم، وأدوات التحسين والترفيه، وأدوات القتال، ووسائل المواصلات والاتصال، إلى غير ذلك من أشياء مشتركة بين بني آدم كلهم- فتح المنهج الإسلامي باب الاستفادة من الحضارات الأخرى، بشروط وضوابط، وقد انعكس ذلك على منهج التعامل مع هذه الحضارات، فحدد لذلك معايير وضوابط تضبط المسلك التعاملي مع الإنتاج الحضاري للأمم.

ويُعتبر العلم الدنيوي من هذا الصنف، الذي يشترك فيه جميع الناس ويتداولونه «في الأمصار تحصيلاً وتعليماً، وهو على صنفين: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره، وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه.

والأول هي العلوم الحكمية الفلسفية، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها حتى يَقِفَه نظره وبحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر. والثاني: هي العلوم النّقليّة»[1].

والعلوم العقلية، التي «هي طبيعية للإنسان، من حيث إنه ذو فكر، فهي غير مختصة بملة، بل يوجه النظر فيها إلى أهل الملل كلهم، ويستوون في مداركها ومباحثها، وهي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عمران الخليقة»[2].

---

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، تحقيق محمد الأسكندراني، د.ط. (بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤م) ص٤٠٣.

(٢) المصدر السابق، ص٤٤١.

والإسلام أفسح للناس مجالات الابتكار والتفاعل في أمور الدنيا، مراعاة لغرائزهم واستجابة لدوافعهم النفسية، فالإسلام ليس ديناً يكبت الغرائز، ويكبح جماح الدوافع، وإنما هو دين يقر دافع حب الاستطلاع، والاستفادة من (الغير)، وجميع الغرائز والدوافع البشرية، ما لم يكن في ذلك مخالفة للشرع الحنيف.

يقول الرسول ﷺ: **«لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنْ الْغِيلَةِ، حَتَّى ذَكَرْتُ أَنَّ الرُّومَ وَفَارِسَ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ فَلَا يَضُرُّ أَوْلَادَهُمْ»**[١].

قال النووي[٢]: «قال العلماء: سبب همه ﷺ بالنهي عنها أنه يخاف منه ضرر الولد الرضيع، قالوا: والأطباء يقولون: إن ذلك اللبن داء، والعرب تكرهه وتتقيه، وفي الحديث جواز الغيلة، فإنه لم ينه عنها، وبين سبب ترك النهي»[٣].

وقال الشنقيطي: «وقد همّ ﷺ بأن يمنع وطء النساء المراضع خوفاً على أولادهن؛ لأن العرب كانوا يظنون أن الغيلة- وهي وطء المرضع- تضعف ولدها وتضره.. فأخبرته ﷺ فارس والروم بأنهم يفعلون ذلك ولا يضر أولادهم، فأخذ ﷺ منهم تلك الخطة الطبية، ولم يمنعه من ذلك أن أصلها من الكفار»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) لترجمته انظر: ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية، د.ط. (بيروت: مكتبة المعارف، د.ت) ٢٧٨/١٣.

(٣) محي الدين النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ٢٥٨/١٠.

(٤) محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م) ٤٧٩/٤.

وفي قصة الهجرة، تروي السيدة عائشة، رضي الله عنها: «اسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلا مِنْ بَنِي الدِّيلِ هَادِيًا خِرِّيتًا وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ»[1].

يقول ابن القيم[2] في تعليقه على هذا الحديث: «فاستئجار النبي ﷺ عبد الله بن أريقط الديلي هادياً في وقت الهجرة وهو كافر، دليل على جواز الرجوع إلى الكافر في الطب والكحل والأدوية والكتابة والحساب والعيوب ونحوها، ما لم يكن ولاية تتضمن عدالة، ولا يلزم من كونه كافرًا ألا يوثق به في شيء أصلاً، فإنه لا شيء أخطر من الدلالة في الطريق لاسيما في مثل طريق الهجرة» [3].

ويؤكد الشنقيطي أن النبي ﷺ «انتفع بدلالة أبي الأريقط الدؤلي في سفر الهجرة على الطريق مع أنه كافر، فاتضح من هذا الدليل أن الموقف الطبيعي للإسلام والمسلمين من الحضارة الغربية هو: أن يجتهدوا في تحصيل ما أنتجته من النواحي المادية، ويحذروا مما جنته من التمرد على خالق الكون جل وعلا، فتصلح لهم الدنيا والآخرة» [4].

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٢٢٦٣.

(٢) لترجمته انظر: إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، ٢٣٤/١٤.

(٣) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، تحقيق: هشام عطا وعادل العدوي، ط١ (مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م) ٧٢٥/٣.

(٤) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٤٧٩/٤.

وقد جعل رسول الله ﷺ فداء الأسرى من المشركين أن يُعَلِّموا فريقاً من أبناء المسلمين القراءة والكتابة، فقد روى ابن عباس، رضي الله عنهما، أن ناساً «مِنَ الأَسْرَى يَوْمَ بَدْرٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِدَاءٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِدَاءَهُمْ أَنْ يُعَلِّمُوا أَوْلادَ الأَنْصَارِ الْكِتَابَةَ»[1].

فالرسول ﷺ لم ير حرجاً في أن يتعلم أبناء المسلمين هذا النوع من العلم على أيدي المشركين، ولم ير ﷺ غضاضة في ذلك، ما دام ليس في الأمر مخالفة شرعية؛ إذ الكفر ليس مانعاً من استفادة المسلم من الكافر فيما يتعلق بأمور الدنيا، وقد أشار القرآن الكريم إلى أن الكفار عندهم علم ودراية بأمور الدنيا، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ (الروم:٧)، «أي أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشؤونها وما فيها، فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها، وهم غافلون عما ينفعهم في الدار الآخرة، كأن أحدهم مغفل لا ذهن له ولا فكرة... والله لبلغ من أحدهم بدنياه أن يقلب الدرهم على ظفره، فيخبرك بوزنه، وما يُحسن أن يصلي. وقال ابن عباس: يعرفون عمران الدنيا، وهم في أمر الدين جهال»[2].

---

(١) أحمد بن حنبل، المسند مع بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني (بيروت: بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٧م)؛ وكذا الطبعة التي حققها شعيب الأرنؤوط وزملاؤه، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، رقم: ٢٢١٦، ٤/٩٢.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم (بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ) ٣/٤٢٨.

قال ابن تيمية[1]: «... أخذ علم الطب من كتبهم مثل الاستدلال بالكافر على الطريق واستطبابه، بل هذا أحسن، لأن كتبهم لم يكتبوها لمعين من المسلمين حتى تدخل فيها الخيانة، وليس هناك حاجة إلى أحد منهم بالخيانة، بل هي مجرد انتفاع بآثارهم كالملابس والمساكن والمزارع والسلاح ونحو ذلك»[2].

بل إن السلف، رحمهم الله، بينوا خطأ من يرد كل العلوم والأخبار، التي تأتي من قبل الفلاسفة والملاحدة، فهذا ابن القيم، بعدما نقد موقف، الذين تقبلوا النظريات الفلسفية، عاد إلى الذين أنكروا هذه العلوم ورفضوها رفضاً باتاً دون تمييز الصحيح من السقيم، فبين خطأهم، ونقدهم بقوله: «والطائفة الثانية رأت مقابلة هؤلاء برد كل ما قالوه من حق وباطل، وظنوا أن ضرورة تصديق الرسل رد ما علمه هؤلاء بالعقل الضروري وعلموا مقدماته بالحس، فنازعوهم فيه، وتعرضوا لإبطاله بمقدمات جدلية لا تغني من الحق شيئاً...... وضرر الدين وما جاءت به الرسل بهؤلاء من أعظم الضرر، وهو كضرره بأولئك الملاحدة، فهما ضرران على الدين، ضرر من يطعن فيه، وضرر من ينصره بغير طريقه»[3].

---

(١) لترجمته انظر: محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ط٩ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ) ٢٣/٢٩١.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن ابن قاسم، د.ط. (المدينة المنورة: مجمع ملك فهد لطباعة المصحف، ٢٠٠٣م)٤/١١٥.

(٣) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (بيروت: دار الكتب العلمية) ٢/٢١٢.

وعدَّ شيخُ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله، رفض ما صح من الفلسفة في علم الفلك والحساب ونحوه، من البدع المستحدثة، فقال، رحمه الله: «ومن بدع المتكلمين ردّهم ما صح من الفلسفة، وكذلك ما يُعلم بالمشاهدة والحساب الصحيح من أحوال الفلك، علم صحيح لا يُدفع؛ والأفلاك مستديرة ليست مضلعة، ومن قال: إنها مضلعة أو جوز ذلك من أهل الكلام، فهو وأمثاله ممن يرد على الفلاسفة وغيرهم ما قالوه من علم صحيح معقول، مع كونه موافقًا للمشروع، وهذا من بدع أهل الكلام الذي ذمه السلف وعابوه»[1].

والخلاصة، أن العلم الصحيح لا يخالف الدين، وليس في حقائق الدين ما يعارض العلم الصحيح، ولهذا فليس الاستفادة من غير المسلمين، وتفاعل المسلم مع ما عندهم من العلم الصحيح، المبني على التجريب والمشاهدة، محظورًا في منهج التربية الإسلامية، وإنما هو جائز من حيث العموم، لكنه مقيد بضوابطه وشروطه، التي تمنع إدخال التفاعل الحضاري الجائز ما ليس منه مما هو مخالف لروح الإسلام وتعاليمه.

وبالتالي، فإن الموقف السلوكي لمنهج التربية الإسلامية تجاه التفاعل الحضاري يكون بما يأتي:

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، الرد على المنطقيين، د.ط. (بيروت: دار المعرفة، د.ت.) ١/٢٦٠.

١- جواز الاقتباس من الحضارات الأخرى فيما هو نافع وجائز شرعاً.

٢- غرس حدود وضوابط التفاعل الحضاري في نفوس الأجيال.

٣- العناية بالتفكير الموضوعي عند الأخذ من الحضارات الأخرى، وتنمية الوعي بذلك، حتى تتكون لدى الناشئة القدرة على الموازنة بين الصالح والطالح، والنافع والضار.

٤- تفعيل دور التربية الوقائية في تحصين الناشئة من الفساد الاعتقادي والخلقي القادم من الحضارات الأخرى.

ثالثاً: نماذج من التفاعل الحضاري في منهج التربية الإسلامية:

يوصي منهج التربية الإسلامية بتبادل الخير، والتفاعل فيما بين البشر، ويسمح للمسلم أن يتبادل المنافع المادية والمعنوية مع البشر جميعاً، مُحَكِّماً فيما يأخذه ميزان الإسلام، فكما يعطي المسلمون يمكن أن يأخذوا من غيرهم مادام ما يأخذونه موافقاً لتعاليم دينهم.

ومن أهم أسباب البحث عما وصلت إليه الأمم الأخرى من العلوم والمعارف، هو وجود الحاجة إلى الاطلاع على ما عندهم، وذلك أنه «لما لم يكن عند العرب رصيد علمي سابق، فقد أحس المسلمون بالحاجة إلى الاطلاع على ما كان عند غيرهم من الأمم من العلوم، وهو إحساس لم يشعروا به من قبل، أيام جاهليتهم ولم يتوجهوا إليه»[1] ويتجدد هذا

---

(١) محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص٨٩.

الإحساس، والبحث عما عند الأمم الأخرى، كلما وُجدت الحاجة لذلك في أي عصر من العصور.

ومنهج التربية الإسلامية غني بنماذج حيّة تدل على استفادة المسلمين من غيرهم في شتى ميادين الحياة الدنيوية، مثل: المجال الاقتصادي، الإداري، الطبي، وفي مجال اللغات، والآلات والمعدات...، غير منسلخين عن عقيدتهم وهويتهم الإسلامية وقيمهم السامية، بل كانوا متمسكين بدينهم، معتزين به، فالأصالة عندهم لا تمنع الاستفادة من ثمار الحضارة المادية، وإنما تمنع الذوبان في بوتقة الأمم الأخرى، وفقدان الشخصية بتأثير النقل عن تلك الأمم.

فعلى سبيل المثال:

١- التفاعل في المجال الاقتصادي:

الأدلة على ذلك كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

حديث عبد الرحمن بن أبي بكر، رضي الله عنهما، قال: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ مُشْعَانٌّ[1]، طَوِيلٌ بِغَنَمٍ يَسُوقُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **بَيْعًا أَمْ عَطِيَّةً؟ أَوْ قَالَ: أَمْ هِبَةً؟** قَالَ: لا، بَلْ بَيْعٌ.. فَاشْتَرَى مِنْهُ شَاةً»[2].

---

(١) مشعان: يريد أنه منتفش الشعر، يقال: رجل مشعان الرأس وشعر مشعان إذا كان ذلك منتفشاً، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، غريب الحديث، ١/٣٤٣.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

وعن السيدة عائشة، رضي الله عنها: أن النبي ﷺ «اشْتَرَى مِنْ يَهُودِيٍّ طَعَامًا وَرَهَنَهُ دِرْعَهُ»[1].

فهذان الحديثان يدلان دلالة واضحة، على جواز معاملة غير المسلمين بالبيع والشراء، وأنه لا حرج في ذلك «إلا بيع ما يستعين به أهل الحرب على المسلمين»[2].

٢- التفاعل في مجال اللغات:

لما كانت رسالة الإسلام عالمية، احتاج المسلمون إلى تَعَلُّم لغات المراسلة والتفاهم وقتئذ، وقد وكل النبي ﷺ لهذه المهمة زيد بن ثابت رضي الله عنه لما كان يتمتع به من حافظة قوية، فعنه رضي الله عنه قال: «ذُهِبَ بِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأُعْجِبَ بِي، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا غُلامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِضْعَ عَشْرَةَ سُورَةً، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ وَقَالَ: يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي.. قَالَ زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ كِتَابَهُمْ»[3].. وتعلم زيد أيضاً: «الْفَارِسِيَّةَ مِنْ رَسُولِ كِسْرَى فِي ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَتَعَلَّمَ الْحَبَشِيَّةَ وَالرُّومِيَّةَ وَالْقِبْطِيَّةَ مِنْ خُدَّامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»[4].

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٥١٨/٤.

(٣) أخرجه الإمام أحمد؛ قال الأرنؤوط وزملاؤه: إسناده حسن، انظر: المسند، رقم: ٢١٦١٨، ٤٩٠/٣٥.

(٤) إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، ٢٥/٨.

ولما كانت لغة العلم يومئذ هي «الإغريقية واللاتينية، فقد اتجه المسلمون إلى تعلم هاتين اللغتين، حتى يستطيعوا نقل العلم إلى اللسان العربي، ومن هذه النقطة بدأوا حركتهم العلمية، فترجموا كل ما كان معروفاً يومئذ، وعكفوا على دراسته متلمذين عليه كما هو الأمر الطبيعي في مثل هذه الأحوال، وإن كان سرعان ما اكتسبوا الحاسة العلمية لأنفسهم، وأخذوا يصححون الأخطاء، التي كان العلم الإغريقي يحتوي عليها»[1].

والخلاصة، أن النماذج، التي تدل على استفادة المسلمين من غيرهم في شتى ميادين الحياة الدنيوية، لا حصر لها، وكلها ترجع في جوازها إلى قاعدة نبوية، وهي قوله ﷺ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ»[2]، إلا أن المطلوب هو أن يكون التفاعل الحضاري بعقلية إسلامية، منطلقة من ثوابتها العقائدية، أهدافاً ومنهجاً ومبادئاً، منفتحةً على الفكر الآخر، نقداً واقتباساً ومنافسة.

---

(١) محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص٨٩.

(٢) تقدم تخريجه.

أهداف التفاعل الحضاري

تعتبر الأهداف في أي تربية «من الأصول المهمة، التي ينبغي الاهتمام بها للسير على نهجها، والعمل بمقتضاها، فالأهداف ذات أثر بالغ في حياة الأفراد والأمم والمجتمعات، فهي التي تحدد سلوكياتهم وتصرفاتهم الحياتية، كما تحدد تعاملهم مع الآخرين، وغياب الأهداف يسبب الفوضى في اتخاذ القرارات، والتخبط في اختيار البدائل، والعشوائية في تحديد المسارات»[١].

وأهداف التفاعل الحضاري، في ضوء التربية الإسلامية، هي التي تفرق بين التفاعل، الذي ينشده منهج التربية الإسلامية وبين التفاعل، الذي ينادي به أصحاب المذاهب الوضعية، والأفكار الضالة، والنظريات الغربية المعاصرة، بمختلف أشكالهم وألوانهم وألسنتهم.

ولذا، فإن التفاعل الحضاري أمر مطلوب لأهداف عديدة، في ضوء التربية الإسلامية، التي تختلف في أهدافها عن التربيات الأخرى المخالفة للمنهج الإسلامي، ومن أهم هذه الأهداف ثلاثة:

الهدف الأول: نشر رسالة الإسلام الخالدة:

يعتبر هدف نشر رسالة الإسلام الخالدة، الهدف الرئيس للمنهج التربوي في الإسلام من جراء عملية التفاعل الحضاري، فهو جزء من تحقيق العبودية

---

(١) هاشم بن علي الأهدل، أصول التربية الحضارية في الإسلام، ص١٠٣.

لله، الذي هو هدف إيجاد الخليقة، كما قال المولى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

والإسلام لا تحده حدود مكانية، ولا حدود زمانية، فكل مكان من الأرض هدف لنشر الإسلام، وكل زمان من الدهر هدف لتحقيق عبودية الله.

وعليه، فإن رسالة الإسلام ليست إقليمية ولا محلية وإنما هي عالمية، وكان من مقتضى ذلك أن يبلغ هذا الدين الناس جميعاً دون تمييز ولا تخصيص، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ:٢٨)، أي «إلا إِلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ مِنَ الْمُكَلَّفِينَ»[١].

ومما يؤكد عالمية الإسلام: «ما قام به الرسول ﷺ، من إرسال الكتب، وبعث الرسل إلى من عاصره من ملوك وحكام، غير مستند في ذلك إلى قوته المادية أو منعة جيشه، إذ لم يكن يملك من ذلك – إلا القليل- ولكنه كان يشير بدعوة الخير، منطلقاً من يقينه بضرورة أن يشعّ نورها في أرجاء المعمورة فيمحو ظلام النفوس...»[٢].

ولما تفرق أصحاب رسول الله ﷺ بعده في الأمصار جعلوها مراكز علمية وحلقات واسعة من الدرس والتلقي، وقد وجدت تلك المراكز في الشام والكوفة والبصرة ومصر ومكة والمدينة، ولم تبق حاضرة من الحواضر في بلاد الإسلام

---

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٧٠٦/٣.

(٢) محمد عقلة، الإسلام دعوة عالمية ونظام متكامل للحياة، مجلة المنهل، العدد ٤٥٢، رجب ١٤٠٧هـ، ص٨.

إلا وجعلها أئمة الإسلام من الصحابة والتابعين ومن بعدهم قاعدة للمعرفة ومنارة للعلم(١).

ولذا، فإن الهدف من التفاعل الحضاري ليس أن نأخذ من الأمم الأخرى ونستفيد من تجاربهم ثم نقف عند هذا الحد «بل يجب علينا أن نفكر ونبحث وننتج كما أمرنا الله تعالى، وعلينا في الوقت ذاته أن نحمل دعوة الله تعالى إلى الناس كافة؛ لأنها هي الحق المطلق، الذي به وحده ينجو الإنسان من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة»(٢).

وقد وضع منهج التربية الإسلامية العديد من الضوابط التي تحكم اختلاط المسلمين بغيرهم أثناء دعوتهم إلى الله(٣).

إن أسمى هدف وأنبل غاية من التفاعل الحضاري هو حمل رسالة الإسلام ونشرها في جميع الأقطار والأمصار، مما يتطلب تربية الأجيال على مهارات الدعوة إلى الله، وتبليغ رسالة الإسلام؛ ولتحقيق ذلك ينبغي أن توجد طائفة تتفقه في الدين وتتدرب على المهارات الدعوية؛ لتحمل هذه الرسالة بعد التفرغ من الطلب.

---

(١) فاروق حمادة، أسس العلم وضوابطه في السنة النبوية، ط١ (الرياض: دار طيبة، الرياض، ١٤١٧هـ) ص٢٩.

(٢) عدنان علي رضا النحوي، التربية في الإسلام، النظرية والمنهج (الرياض: دار النحوي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م) ص١٠٦.

(٣) انظر: عبد الله بن إبراهيم الطريقي، التعامل مع غير المسلمين، أصول معاملتهم واستعمالهم، دراسة فقهية، ط١ (الرياض: دار الفضيلة، ١٤١٨هـ/٢٠٠٧م) ص٣٢؛ عبيدات، عبد الكريم نوفان عبيدات، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وأثره في تعميق الإيمان، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، العدد ٣٥، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م

الهدف الثاني: الاستفادة من تجارب الآخرين:

إن المسلمين اليوم في أمس الحاجة إلى مشروع لنهضتهم واستعادة ريادتهم، ويتوقف تحقيق ذلك وتحصيله على العودة الصادقة إلى الإسلام، والرجوع إلى تعاليمه، وأخذ أسباب القوة، ومراعاة سنن الله في الكون، وامتلاك الشروط الضرورية للنهضة والتنمية والتحضر، وتسخير جميع الأسباب الذاتية والموضوعية، مما يحقق الرفعة والسيادة في جميع مجالات الحياة.

ومن أسباب القوة: الاستفادة من تجارب الآخرين، إذ ليس كل ما لدى غير المسلمين مخالف للإسلام، فهناك من الخبرات الجيدة الشيء الكثير والتي يمكن للمسلمين الاستفادة منها في بعض شؤون حياتهم.

ويمكن القول: إن «الاستفادة من الخبرات الأجنبية في إطارها العام سنة من سنن الله تعالى في الوجود، لتنمو العلوم وتزدهر المعارف والفنون الإنسانية، فيتحقق للإنسان وسائل العيش المتنوعة المعينة له على تنظيم حياته وسبر أغوار ما يحتاجه من شؤونها المتعددة»[1].

والاستفادة من الخبرات الأجنبية، التي تتفق مع القواعد الإسلامية تساعد على: «التعرف على مكامن الخير وأصوله في المجتمعات لتنميته والاستفادة من ذلك»[2].

---

(١) خالد بن حامد الحازمي، أصول الأخلاق الإسلامية، ط١ (المدينة المنورة: دار الزمان، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م) ص١٦٢.

(٢) ماجد عرسان الكيلاني، مفهوم النظرية التربوية الإسلامية (دمشق: دار ابن كثير، ١٩٨٥م) ص٦٣.

والبصيرُ، من يعمل على «امتصاص المعارف والعلوم الحقة، التي سبقه إليها الكادحون في قرنه أو في القرون الأولى، ويعمل على تقليدهم فيما توصّلوا إليه من فضائل وخيرات حسان، وذلك بعد تمحيصها والتبصر فيها، ونقدها نقداً فكرياً وتجريبياً. ومثلهم في ذلك كمثل تجّار الجواهر، الذين تتجمّع لديهم أكوام من كنوز البر والبحر، وهذه الأكوام قد عَمِل في جمعها واكتشافها ألوف مؤلفة من الغواصين والمنقبين الكادحين، فيضعون هذه الأكوام ويمتحنونها حبّة فحبّة، فما وجدوه منها جوهراً شريفاً حرصوا عليه واشتروه، وما وجدوه منها خسيساً وضيعاً نفوه ورفضوه وتركوه لصاحبه»[1].

ويعتبر امتلاك شروط التقنية العلمية والاكتفاء الاقتصادي الغذائي، وتقدّم المسلمين في جميع المجالات الحياتية، وغير ذلك، من قبيل المقاصد المقررة والمأمولة في واقع الحياة المعاصرة، وهو لن يحصل بمجرد التمني والتحلي - فالسماء لا تمطر ذهباً ولا فضة - ولكن يصير واقعًا ملموساً إذا تهيأت النفوس، وعزمت الإرادات، وكدحت الأجيال في الاقتباس من غيرهم، انتقاء واختيارًا وتمحيصاً ونقداً، وتمييزاً بين الغث والسمين، والصالح والطالح، والنافع والضار.

---

(١) عبد الرحمن حبنكة الميداني، الحضارة الإسلامية، ص٢٨٧.

الهدف الثالث: الرد على الانحرافات الموجودة في الحضارات الأخرى:

إن من أهداف التفاعل الحضاري والثقافي «كشف زيف السلبيات الضارة في الحضارات الأخرى؛ لوقاية الإنسان من آثارها السيئة على سعادته الدنيوية والأخروية»[1].

ولذا فإن التفاعل الحضاري المنشود لا يقبل أن يتفاعل مع أي تصور آخر - سابق له أو لاحق عليه - مخالف لما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، فهما -أي الكتاب والسنة- مقدمان على كل نظرية وتصور وفكر، أيًا كان مصدره ومنبعه، ذلك أن الوحيين لا يأتيهما الباطل، يقول تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت:٤٢).

وإذا كانت النظريات الغربية ليست مسلَّمة لا تقبل النقاش، بل تحتاج إلى تأكد وإعادة نظر عند أصحابها، فلا شك أن غيرهم ممن يخالفهم في الديانة والعقيدة أحوج إلى مزيد من التثبت وعدم القبول، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ (الحجرات:٦).

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال لزيد بن ثابت رضي الله عنه: «**تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي**»[2] فالنبي ﷺ - وهو الذي يأتيه

---

(١) عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، السلفية وقضايا العصر، ط١ (الرياض: دار اشبيليا، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م) ص١٠٨.

(٢) تقدم تخريجه، ص٢٨.

الوحي من السماء - لم يأمنهم أن يقرأوا أو يكتبوا له كتبه، التي كان يرسلها إلى الملوك أو تأتي منهم.

وهكذا أصحابه من بعده «عملوا على صيانة الأمة والحفاظ على روحها المعرفية سليمة من أن توضع في أيد مشبوهة أو لها تأثير سيء في عزتها وكرامتها»[1].

ولم يزل السلف الصالح في القرون الثلاثة الأولى فما بعدها يجاهدون الكفار والمنافقين والزنادقة بألسنتهم، يهتكون أسرارهم، ويكشفون كفرهم ونفاقهم وتلونهم، ويحذّرون الأمة من سموم أفكارهم وخبث طويتهم، وسوء مكرهم، فهذا ابن عبد البر[2] يستغرب كيف يؤتمن غير المسلم ويُعتمد على أقواله، فيقول: «كيف يؤتمن على سرّ، أو يوثق به في أمرٍ من دفع القرآن وكذّب النبي ﷺ؟»[3].

لذلك لا يجوز الاعتماد على أقوال غير المسلمين إلا بعد التأكد والتثبت من صحتها، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران:١١٨).

---

(١) فاروق حمادة، أسس العلم وضوابطه في السنة النبوية، ص٤٧.

(٢) لترجمته انظر: أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٦٦/٧.

(٣) محمد بن مفلح، الآداب الشرعية والمنح المرعية، ٤٣٧/٢.

يقول ابن رشد[1] في فصل المقال: «يجب علينا أن نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك، وسواء كان ذلك الغير مشاركاً لنا أو غير مشارك في الملة، فإن الآلة، التي تصح بها التذكية ليس يُعتبر في صحة التذكية بها كونها آلة لمشارك لنا في الملة أو غير مشارك إذا كانت فيها شروط الصحة، وأعني بغير المشارك من نظر في هذه الأشياء من القدماء قبل ملة الإسلام، وإذا كان الأمر هكذا، وكل ما يحتاج إليه من النظر في أمر المقاييس العقلية قد فحص عنه القدماء أتم الفحص، فقد ينبغي أن نضرب بأيدينا إلى كتبهم، فننظر فيما قالوه من ذلك: فإن كان كله صواباً قبلناه منهم، وإن كان فيه ما ليس بصواب نبّهنا عليه»[2].

ويؤكد ابن تيمية: «إن كان ما يذكرونه مجملاً فيه الحق-وهو الغالب على الصابئة المبدلين مثل أرسطو وأتباعه، وعلى من اتبعهم من الآخرين- قُبل الحق ورد الباطل»[3].

إن بيان ما في الحضارات الأخرى من عوار، وكشف ما فيها من زيف ومن مخالفات شرعية، لهو أسلوب تربوي مشى عليه علماء الأمة، ومنهم الإمام ابن القيم، رحمه الله، فقد كان كثيراً ما ينقل عن بقراط وسقراط وجالينوس، وغيرهم من فلاسفة اليونان، وفي نفس الوقت كان يبين ما في أقوالهم من مخالفات شرعية[4].

---

(١) لترجمته انظر: محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء.

(٢) محمد بن أحمد بن رشد، فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، تحقيق: ألبيري نصري نادر، ط٣ (بيروت: دار الشروق، ١٩٧٣م) ص٣١-٣٢.

(٣) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، ١١٥/٤.

(٤) لمزيد من الإطلاع انظر مثلاً: ابن القيم، محمد بن أبي بكر، تحفة المودود بأحكام المولود، تحقيق بشر محمد عيون، ط٢ (دمشق: مكتبة دار البيان، ١٤٠٧هـ) ص١٥٧-١٥٨.

مجالات التفاعل الحضاري

الإنسان في منهج التربية الإسلامية ليس حرًا طليقاً من كل وجه، يتصرف كما يشاء ويفعل ما يشاء ويترك ما يشاء، وليس أيضًا مسلوب الحرية والإرادة، ممنوعاً عن ممارسة حقوقه وتحقيق رغباته وطموحاته، وإنما هو بين هذا وذاك، فهو حرّ في ممارسة أي نشاط، شريطة أن لا يكون مخالفًا للكتاب والسنة، ولا يؤدي إلى الشر والفساد أو انتهاك حقوق الآخرين.

لذا فإن تلبية رغبات الإنسان في مجال التفاعل الحضاري، يكون منها ما يتضمن شرًا أو ضررًا أو أذى أو يفضي إلى شيء من ذلك، وهذه المجالات وضع لها الإسلام حدوداً وحمى، أعلن بالمنع من اقترابها، أو اختراقها أو تجاوزها، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ (البقرة:١٨٧)، وقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (البقرة:٢٢٩)، ووعد سبحانه بالدخول في الجنان والظفر بالفوز العظيم لمن امتثل لهذه الحدود ولم ينتهكها، وفي المقابل توعد سبحانه من تعدّى هذه الحدود بالعذاب المهين، فقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (النساء:١٣-١٤).

ولم يكن المنع لكبت ميول الإنسان، ولا لتجاهل رغباته وتلبية حاجاته، وإنما كان من أجل مصلحة الإنسان وإسعاده؛ لذلك فتح منهج التربية الإسلامية مجالات كثيرة خالية من الشر والضرر والأذى.

وعليه، فإن منهج التربية الإسلامية في التفاعل الحضاري هو فتح ممارسة «كل ألوان النشاط البشري، التي تؤدي إلى عمارة الأرض من تجارة وصناعة وعلم، وتسعى إلى الإنتاج الوفير في كل أبواب الإنتاج، ولكنها في سعيها كله تلتزم بالحلال والحرام، وبالقيم الأخلاقية، وبما يقتضيه الإيمان بالله واليوم الآخر من تشكيل للسلوك»[1].

ولبيان مجالات التفاعل الحضاري في هذا البحث يحسن تقسيمها إلى قسمين هما:

الأول: مجالات التفاعل الحضاري المحظورة:

ليس للعقل البشري القاصر أن يحدد للبشرية مجالات التفاعل الحضاري، المحظورة منها والجائزة؛ لأن العقل البشري قاصر عن إدراك الأشياء الغيبية، وإدراك المصالح العامة في جميع الأزمنة والأمكنة، وإن كان يدرك المصالح الجزئية في بعض الأشياء في زمن معين وفي مكان محدد.

وعند التأمل في منهج التربية الإسلامية يتضح أن مجالات التفاعل الحضاري المحظورة تتمحور حول ثلاثة مرتكزات رئيسة هي: العقائد؛ العبادات؛ والعادات والشعائر العامة.

---

(١) محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص١٠٩.

أولاً: التفاعل الحضاري في مجال العقائد:

لما عرض كفار قريش على النبي ﷺ أن يعبدوا إلهه سنة ويعبد آلهتهم سنة، لم يقبل النبي ﷺ هذه المساومة؛ لأنها بعيدة عن روح الإسلام وتعاليمه، بل هي هدم للإسلام، وانسلاخ من عقيدة التوحيد، ولهذا أنزل الله في هذا الأمر سورة كاملة تتلى إلى يوم القيامة، كان فحواها المفاصلة التامة بين ملة أهل الإسلام وملة أهل الكفر، وأمر الله فيها نبيه أن يقول لهم: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون:٦)، وهذا يدل دلالة واضحة على أنه لا مجال للاقتباس من عقائد الحضارات الأخرى.

لذا فإن الواجب على الأمة الحفاظ على عقيدتها، وصونها من كل شائبة تفسد نقاءها، ولا ضير بعد ذلك أن تأخذ من الأمم ما فيه نفع دنيوي، فقد «أخذ المسلمون عن غيرهم في الجانب المادي والتنظيمي دون أن يأخذوا ما كان مشتبكًا به عند أصحابه من شرك وخرافة ووثنية وانحراف في الأفكار، أو انحراف في السلوك، ثم إن الذي أخذوه - وكله في مجال الأدوات لا في مجال الأسس والمناهج - طوعوه سريعًا لمنهجهم الخاص في الحياة فأصبحوا أصلاء فيه لا مقلدين»[1].

والعلة في المنع من اقتباس العقائد من الحضارات الأخرى أن أمر العقيدة لا يُدرك بالأفهام والعقول، ولا بالحس والتجربة، وإنما بالوحي المنزّل من عند الله سبحانه؛ يقول شيخ الإسلام مؤكدًا ذلك: «وأما ما يذكرونه - أي

---

(١) محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص١٠٥.

الفلاسفة - من العلوم النظرية، فالصواب منها منفعته في الدنيا، وأما العلم الإلهي، فليس عندهم منه ما تحصل به النجاة والسعادة، بل وغالب ما عندهم منه ليس بمتيقن معلوم، بل قد صرح أساطين الفلسفة: أن العلوم الإلهية لا سبيل فيها إلى اليقين، وإنما يتكلم فيها بالأحرى والأخلاق، فليس معهم فيها إلا الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً»[1].

ويمكن القول بشكل عام: إن النهي عن التفاعل الحضاري في مجال العقيدة، يغطي مسائل ومساحات متعددة، يأتي في مقدمتها: النهي عن الكلام في القدر؛ النهي عن الشرك؛ النهي عن الاقتباس من كتب الكفار؛ النهي عن التشبه بهم في اتخاذ القبور مساجد.

ثانيًا: التفاعل الحضاري في مجال العبادات:

يعتبر التفاعل الحضاري والتأثر بالكفار في مجال العبادات غير جائز شرعاً، سواء كان ذلك بالاختراع الكامل لأنواع وأشكال من العبادات والأذكار ونحو ذلك، أو كان بإضافات تحديدية للعبادات المشروعة تحديدًا زمنياً أو مكانياً؛ ذلك أن مصدر العبادة، في الإسلام، هو معرفة الوحي، في الكتاب والسنة.

١- مخالفة الكفار في مسائل الطهارة:

تعتبر الطهارة من أول أبواب العبادات، وشرط أساس لكثير منها مثل: الصلاة، والطواف، وقراءة القرآن للحائض والجنب، وغير ذلك، وقد ورد الأمر بمخالفة الكفار في الطهارة من فعل النبي ﷺ إيذاناً بالمفاصلة التامة بين

---

(١) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣٦/٩.

الإسلام وغيره من الأديان في مجال العبادات، وقطعاً لأي تأثر بالكفار في العبادات الأخرى: كالصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، فعن أنس ﷺ أنَّ «الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتْ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا، وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ، فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ...﴾ (البقرة:٢٢٢)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلا النِّكَاحَ**، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ، فَقَالُوا: مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلا خَالَفَنَا فِيهِ»[1].

قال ابن تيمية: «فهذا الحديث يدل على كثرة ما شرعه الله لنبيه من مخالفة اليهود، بل على أنه خالفهم في عامّة أمورهم حتى قالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه»[2].

٢- النهي عن التشبه بالكفار في عبادة الصلاة:

أمر النبي ﷺ بمخالفة فارس والروم وعدم التشبه بهم في أفعال الصلاة، فقال: «**إِذَا صَلَّى الإِمَامُ جَالِسًا فَصَلُّوا جُلُوسًا، وَإِذَا صَلَّى الإِمَامُ قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا، وَلا تَفْعَلُوا كَمَا يَفْعَلُ أَهْلُ فَارِسَ بِعُظَمَائِهَا**»[3].

---

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم ٦٩٢.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق محمد حامد الفقهي، ط٣ (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٦٩م) ٦٢/١.

(٣) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٦٠٢؛ وابن ماجه، حديث رقم: ١٢٤٠؛ وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود، رقم: ٦٠١، ١٧٩/١.

قال ابن تيمية: «ففي هذا الحديث: أنه أمرهم بترك القيام الذي هو فرض في الصلاة، وعلل ذلك بأن قيام المأمومين مع قعود الإمام يشبه فعل فارس والروم بعظمائهم في قيامهم وهم قعود، ومعلوم أن المأموم إنما نوى أن يقوم لله لا لإمامه، وهذا تشديد في النهي عن القيام للرجل القاعد، ونهي أيضاً عما يشبه ذلك وإن لم يقصد به ذلك، ولهذا نهى عن السجود لله بين يدي الرجل، وعن الصلاة إلى ما عبد من دون الله كالنار ونحوها، وفي هذا الحديث أيضاً نهي عما يشبه فعل فارس والروم وإن كانت نيتنا غير نيتهم لقوله: **وَلا تَفْعَلُوا**»[1].

وجاء في الحديث أيضاً: «**خَالِفُوا الْيَهُودَ فَإِنَّهُمْ لا يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهِمْ**»[2].

٣- النهي عن التشبه بالكفار في عبادة الصوم:

الصوم أحد أركان الإسلام الخمسة، وقد حرصت الشريعة الإسلامية أن يكون له وجوده المستقل، وسمته البارزة، وعلامته المميزة، التي تميزه عن غيره من صيام أهل الكتاب، ولذا حرص الإسلام على مخالفة أهل الكتاب في بعض ممارساتهم، كما في: السحور، والفطر، وغير ذلك، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لا يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا عَجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ؛ لأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يُؤَخِّرُونَ** »[3].

---

(١) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ٦٦/١.

(٢) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٦٥٢؛ وصححه الألباني، انظر صحيح سنن أبي داود، رقم: ٦٥٢.

(٣) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٢٣٥٣؛ وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٣٥٣.

وحتى في صيام النفل استحب مخالفة أهل الكتاب في صيامهم، فحين صام النبي ﷺ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فقال رسول الله ﷺ: «...إِذَا كَانَ عَامُ الْمُقْبِلِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ»[1].

٤- تعمد مخالفة المشركين في فريضة الحج:

تعمد النبي ﷺ في حجته مخالفة المشركين في هديهم وعباداتهم وحججهم، وكان ذلك من أبرز المظاهر والشعائر في حجة الوداع، ووقع ذلك منه ﷺ فعلاً في مواطن عدة؛ وصدع به قولاً في خطبة عرفة، فقال ﷺ: «أَلا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ ... وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ...»[2].

لقد أبطل الرسول ﷺ ما كان عليه أهل الجاهلية من شعائر، وقصد مخالفتهم في كثير من المناسك، من مثل:

أ- إبطال التلبية الشركية: حيث كان المشركون يقولون في تلبيتهم: «لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ... إِلاَّ شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ»[3].

ب- إباحة متعة الحج: فقد كان المشركون يحرّمون العمرة في أشهر الحج.

---

(١) أخرج مسلم، حديث رقم: ٢٦٦١.
(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٢٩٤١.
(٣) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٢٨٠٧.

ج- اشتراط ستر العورة في الطواف: فقد كانت العرب تطوف بالبيت عرياناً إلا قريش.

د- مخالفة المشركين في النفرة من عرفة: فقد كان المشركون ينفرون من عرفة قبل الغروب، ويدفعون من مزدلفة بعد الشروق.

هـ- مخالفة المشركين في الوقوف بعرفة: فقد كانت قريش لا يخرجون من المزدلفة، وكان الناس كلهم يبلغون عرفات.

وذلك كله يدل دلالة واضحة على حرص منهج التربية الإسلامية على مخالفة أهل الكتاب، والمحافظة على تميزه الإسلامي في الجانب التعبدي، وعليه فإنه ينبغي تربية الناشئة على هذه التعاليم؛ ليكون لهم في حاضرهم ومستقبلهم طابعهم الإسلامي المتميّز.

ثالثاً: التفاعل الحضاري في مجال العادات والشعائر العامة:

إن التدافع والتنازع والاختلاف في هذه الدنيا قائم بلا انقطاع، وهو سِرٌّ من أسرار هذه الحياة، ولقد كان من مقتضى ذلك أن تتعدد المجتمعات في صفاتها، وتتنوع في سماتها، وتتميز في أفكارها وعقيدتها، وتتباين في عاداتها وتقاليدها، فتلتقي كل جماعة على صفات عامة تؤلف بينها، وتشد بنيانها، وتوثق تماسكها، وفي ذات الوقت تتميز كل جماعة عن غيرها بخصائص وعوامل تجعلها ذات استقلال وانفراد، وبهذا يكون تشابه أفراد المجموعة وتوافقها وانسجامها حافظاً لها من التشتت والتفكك، ومخالفة المجموعة لغيرها وتميزها عمن لا يشاكلها حامياً لها من الذوبان والاضمحلال.

والمنهج التربوي في الإسلام يقرر هذه السنة الإلهية، والفطرة البشرية، ويؤكد مبدأ تميز كل أمة عن غيرها.

ولما بدأ انتشار الإسلام في جزيرة العرب اتخذ منهج التربية الإسلامية في علاقته بالعادات والتقاليد صورتين هما:

الأولى: إقرار العادات، التي تحث على مبادئ فاضلة وقيم سامية، مع تهذيبها وفق مبادئ الشريعة الخالدة، ومن ذلك: حق الجار، وإكرام الضيف، ومساعدة الفقراء، ونجدة المحتاج، ومساعدة الغريب، وغير ذلك من الأخلاق والصفات الحميدة.

الثانية: محاربة العادات والتقاليد، التي تتعارض مع ما جاء به الإسلام من قيم ومبادئ والتي قد تؤدي إلى الخلل الاجتماعي واضطراب القيم وانتشار الفساد والرذيلة، وضياع الأمن والسكينة، ومن ذلك عادة وأد البنات؛ وغيرها من العادات.

إن تميز عادات الأمة وتقاليدها عن غيرها من العادات والتقاليد لهي ضرورة شرعية «تزداد كلما تقارب الزمان، وتقدمت وسائل الاتصال، واختلطت أمم الأرض بمناهجها وثقافاتها، وسارت البشرية نحو العالمية في نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها؛ لئلا تذوب الأمة الإسلامية في ثقافة أخرى أو تتراجع عن رسالتها في الحياة أمام حضارة غير حضارتها تنطلق من أسس أخرى، وتهدف إلى مقاصد وغايات تغاير مقاصد الأمة الإسلامية وغاياتها»[1].

---

(١) إسحاق بن عبد الله السعدي، تميز الأمة الإسلامية مع دراسة نقدية لموقف المستشرقين منه، ط١ (الرياض: مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ٢١٩/١.

لقد نهى منهج التربية الإسلامية عن التأثر والتفاعل مع غير المسلمين في مجال العادات والشعائر العامة، مثل: اللباس والزي، الأعياد، المظهر العام، والآداب العامة، وغيرها.

وفي ضوء ذلك كله، يمكن القول: إن المسلمين كانوا يتفاعلون مع تراث الأقدمين، ويستفيدون منه، ويصيغونه صياغة إسلامية، تتماشى مع روح الإسلام وتعاليمه السامية، وكان تفاعلهم بعيدًا كل البعد «عن العقائد والعبادات وعلوم الشريعة»[1].

والخلاصة، أن مجالات التفاعل الحضاري المحظورة، هي التي تخالف الأدلة الثابتة القطعية، التي تفيد العلم اليقيني أو الظن الراجح، وهذه الأدلة هي أدلة الكتاب و السنة والتي لا يجوز لمسلم أن يتخير فيها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب:٣٦).

الثاني: مجالات التفاعل الحضاري الجائزة:

لقد أرشد المنهج الإسلامي إلى الأخذ بجميع أسباب القوة والتفوق؛ ليكون المسلمون أقوياء أعزاء، غير أذلاء في ذيل الأمم وهامش الحضارات، ولهذا فقد تحدث القرآن الكريم عن جميع أسباب القوة والتفوق وأرشد المسلمين إلى الأخذ بها؛ في كل المجالات مثل مجال الأمن الغذائي والاهتمام بالزراعة،

---

(١) إسحاق بن عبد الله السعدي، تميز الأمة الإسلامية، ١/٧٩٧.

وفي مجـــال العمـــران، والمجـــال العســـكري، ومجـــال تنميـــة التجـــارة، ومجـــال الصناعة[1].

وقد أشار القرآن الكريم إلى صناعات قام بها بعض الأنبياء كنوح، عليه السلام: ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ﴾ (هـود:٣٨)، وداود، عليه السلام: ﴿۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾ (سبأ:١٠).

تلك هي الإرشادات التربوية في القرآن الكريم إلى الأخذ بجميع أسباب القوة والتفوق، ولقد امتثل الرعيل الأول من هذه الأمة هذه الإرشادات القرآنية نحو الأخذ بأسباب القوة، وطبقوا ذلك في الواقع العملي، فالأنبياء مثلاً مارسوا أنواعاً من الصناعات والحرف « فآدم كان حراثًا، ونوح كان نجارًا، وإدريس كان خياطاً، وداود كان زراداً، وموسى كان راعياً، وإبراهيم كان زراعاً، وصالح كان تاجراً»[2].

والصحابة، رضوان الله عليهم، باشروا أيضاً أنواعاً من الحرف «فخباب كان حدادًا، وسعد بن أبي وقاص كان صانع نبال، والزبير بن العوام كان خياطاً، وسلمان الفارسي كان حلاقًا»[3].

---

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ٨٤٢/١.

(٢) عبد الرحمن السيوطي، الدر المنثور، د.ط. (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٣م) ١٣٩/١.

(٣) إسحاق بن عبد الله السعدي، تميز الأمة الإسلامية، ٣٤٨/١.

ولما تخلى المسلمون عن تربيتهم الإسلامية أصابهم الضعف والذل، وصاروا الآن في ذيل القافلة، منقادين لتربيات وأفكار ونظريات غربية، فلا هم احتفظوا بإسلامهم كاملاً، ولا هم حققوا الإنجاز والتفوق، الذي وصل إليه الغرب، بل أصابهم الانبهار والولع بالحضارة الغربية، فاقتبسوا القشور دون اللباب، ناهيك عن عدم التمييز في الاقتباس بين المباح وغير المباح، وبين الجائز وغير الجائز.

- من أهم مجالات التفاعل الحضاري الجائز:

تدور مجالات التفاعل الحضاري الجائز حول الوسائل المباحة في الحضارات الأخرى، وليس جوهر تلك الحضارات، ويمكن أن نجمل هذه الوسائل في وسيلتين، هما:

الوسيلة الأولى: اقتباس أسرار العلوم الكونية:

العلوم الكونية هي: «العلوم البحتة الخالية من التعليلات والتفسيرات الفلسفية الاستنتاجية، مثل: علوم الصناعات والزراعة، والآلات والتجارة، والطب والكيمياء والفيزياء، والعلوم الوصفية الخالية من التعليل والتفسير الفلسفي، وهي التي تصف الأشياء كما تثبتها المشاهدة الحسية»[1].

وأسرار العلوم هي المجال الأهم، الذي ينبغي أن تصرف فيه الهمم والعزائم.. ولكثير من الباحثين آراء مفيدة حول ما يجوز أخذه واقتباسه من الحضارات الأخرى في هذا المجال، نذكر منها:

---

(١) محمد أمين حسن بني عامر، الاقتباس من الغرب، ضوابطه وحدوده، أسبابه وآثاره،مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، العدد التاسع والعشرون، ١٤١٧هـ، ص١٤٩.

- «المعلومة المفيدة المثمرة ملك للإنسانية جمعاء؛ لأنها عبارة عن تراكم الخبرات المعرفية للبشرية، والتقدم التقني، الذي أحرزته الدول المتقدمة، وعمت آثاره أرجاء المعمورة هو أصلاً ضمن نتائج المشترك، الذي يمكن استيعابه ونقله إلى العالم الإسلامي.. ومجالات التقدم التقني، تشمل التعامل مع المنتجات والمخترعات الحديثة، وتشمل السيطرة على صناعة الأسلحة باعتبارها مصدر قوة للمجتمعات المتقدمة، وتشمل أيضاً الهيمنة على وسائل الإعلام والتحكم في وسائل المواصلات والاتصالات وغيرها»[1].

- الإسلام «لا يمنع من طلب علوم الكيمياء والتكنولوجيا والفيزياء والذرة والفضاء والجيولوجيا وغيرها من علوم عصرية.. والإسلام لا يمنعنا أبدًا من العلم، الذي يستفيد منه المسلمون؛ والمسلمون في حاجة إلى العلوم العملية كحاجتهم إلى العلوم النظرية، لنبني المجتمعات الإسلامية، ونصنع الحديد والصلب، والأسلحة المختلفة، ونستفيد بثروات البلاد الإسلامية»[2].

- «لا حرج على المسلمين أن يقتبسوا من غيرهم أيّ نظام جزئي متى ما رأى أهل الحل والعقد أن في ذلك نفعاً للمجتمع المسلم وملائماً لطبيعتهم وحضارتهم، كنظام المرور، أو توزيع البريد، أو تخطيط المدن، أو تنظيم الجيوش وتدريبهم، إلى غير ذلك، شريطة أن لا يخالف نصاً ثابتاً ولا قاعدة

---

(١) إسحاق بن عبد الله السعدي، تميز الأمة الإسلامية، ١/٤٠٠.

(٢) أحمد عبد الرحيم السايح، أضواء على الحضارة الإسلامية، ط١(الرياض: دار اللواء للنشر، ١٩٨١م) ص٤٠.

شـرعية، مـع مراعـاة تحـوير مـا يـتم اقتباسـه حـتى يكـون مـلائماً للوضـع الإسلامي الصحيح»[1].

- مـن مجـالات الاقتبـاس: «... الأسـلوب العلمـي في البحـث وتحـري الحقائق بصورة موضوعية، واستخدام أحدث الآلات والمخترعات في الصناعة وفي الزراعة وفي الطب، وكحب المغامرة والعمل الدؤوب، وضبط الأوقات، والدقة في الحساب والتنظيم والتخطيط في حياتنا الاجتماعية والاقتصادية» [2].

لقد شجع الإسلام على «الترقي في سلّم الكمال الإبداعي، ولم يمنع منه إلا ما غلبت فيه دواعي الفتنة في الدين، عقيدة أو سلوكاً، أو كان في معظم أحواله ذريعة لنشر الفساد في الأرض.... أما اختراع وابتكار وتحسين الوسائل، التي تيسر أعمال الناس في حياتهم، وكذلك اختراع وابتكار وتحسين الأشكال والألوان وسائر أنواع الفنون الجميلة، التي تُمَتِّع النفس والحسَّ مما لا تأثير له على عقيدة أو سلوك تأثيراً يفضي إلى الشر ومعصية الله، فكل ذلك مجالات واسعات مُنفَتِحات أمام الإنسان المسلم، يسابق فيها على مقدار استطاعته الإنسانية، وعلى مقدار ما لديه من خيال خصيب، واختبار وتجربة وملاحظة وتقويم[3].

---

(١) يوسف القرضاوي، الحل الإسلامي فريضة وضرورة (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٣م) ص٨٧.

(٢) الجمالي، محمد فاضل، نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٧٢م) ص٢٥.

(٣) عبد الرحمن حبنكة الميداني، الحضارة الإسلامية، ص٨٥-٨٦.

وفرق بين اقتباس القشور واقتباس أسرار العلوم الكونية، ذلك أن اقتباس القشور يؤدي إلى التبعية والذوبان واستمرارية ضعف المسلمين وتخلفهم، بينما يؤدي اقتباس أسرار العلوم الكونية إلى التقدم وتفوق المسلمين على الدول المتقدمة، كما كانوا في عصورهم الأولى، وحين تدرك الأجيال المسلمة أسرار هذه العلوم عندها تستغني عمّا عند الآخرين.

فمنهج التربية الإسلامية يسمح باقتباس مجالات التفاعل الحضاري الجائز؛ لأنها لا تخالف الشرع، ولأنها تستند إلى الطرق اليقينية، والمسالك العقلية القاطعة أو الظنية، كتتبع الظواهر الحسية بالملاحظة الدقيقة، وبالاختبار والتجربة الكافية لإثبات الحقائق القطعية.

وليس معنى هذا أن معارف الأمم والشعوب القديمة والحديثة كلها ثابتة عن طريق المسالك القطعية، بل كثير منها يستند «إلى خرافات كثيرة وأوهام لا حصر لها... وأكثر الخرافات والأوهام انتشارًا في الشعوب تلك التي تدعمها نزعات سياسية معينة، سواء ظهرت بثوب معتقدات دينية، أم روايات تاريخية، أم أفكار واتجاهات إلحادية، أم مذاهب اجتماعية أم اقتصادية»[1].

الوسيلة الثانية: استيراد منتجات الحضارات الأخرى:

إن الإسلام لا يقر- بأي حال من الأحوال- تخلف المسلمين وتركهم لمواقع السيادة والريادة، ومن ذلك التخلف: التبعية الاقتصادية للدول الأخرى في جميع المجالات، وللأسف فإن كثيراً من الدول الإسلامية اليوم أصيبت

---

(١) عبد الرحمن حبنكة الميداني، الحضارة الإسلامية، ص٢٩٨.

بالتبعية الاقتصادية حتى في المواد الغذائية، رغم غنى بعضها والإمكانات الزراعية الضخمة لدى بعضها الآخر.

والإسلام يعلو ولا يُعلى عليه، قال تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (النساء:١٤١)، هذا هو المفترض أن يكون عليه المسلمون، ولكن إذا احتاجت الدولة المسلمة إلى توفير الطعام وغيره إلى رعاياها، وعجزت عن استغلال مواردها، بسبب قصور الإمكانات المادية والبشرية، عندئذ يجوز لها أن تستورد من الدول الأخرى، غير المسلمة، شريطة أن يكون هذا الاستيراد خالياً من المخالفات الشرعية.

فعملية الاستيراد تحكمها قاعدة الحلال والحرام، وهي القاعدة، التي تسد منافذ الشهوات وأنواع غير السوي، أو الضار، التي تبدد جانباً مهماً من الموارد[1].

فلا يجوز استيراد سلع وخدمات لا يجوز استخدامها في مجال الاستهلاك، أو في مجال الإنتاج، كما لا يجوز تصدير ذلك إلى الآخرين، بل إن الإسلام قد شدد في ذلك إلى درجة أنه يمنع تصدير الطيبات طالما أنها تستخدم في إنتاج الخبائث، مثل منع تصدير العنب لمن يتخذه خمراً[2].

---

(١) عبد الهادي النجار، الإسلام والاقتصاد، ص٦٩.

(٢) شوقي دنيا، القواعد المنظمة للعلاقات الاقتصادية بين الدول الإسلامية وغير الإسلامية، ص١٦.

ولما كانت الدولة الإسلامية في عهد النبوة غير قادرة على الاكتفاء الذاتي، لم تمنع رعاياها من استيراد البضائع من الدول الكافرة، «بل كانت الثياب تُجلب إليهم من اليمن ومصر والشام وأهلها كفار، وكانوا يلبسون ما نسجه الكفار ولا يغسلونه»[1] ولكن سرعان ما وصلوا إلى الاكتفاء الذاتي لما ملكوا البلدان وفتحوا الأمصار، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه المسلمون اليوم، فيأخذوا ويستوردوا عند الحاجة مع السعي إلى الاكتفاء الذاتي.

ويجب منع استيراد كل ما فيه ضرر على المسلمين، سواء كان الضرر دينياً، كالتماثيل والخمر والحشيش والصحف والكتب المنحرفة ونحو ذلك، أم دنيوياً، كاستيراد المواد التي تنافس الصناعة الوطنية وتعيقها، أو المواد التي تتلف بسرعة، ونحو ذلك[2].

إن استيراد أشياء الحضارة المادية ومفرزاتها الثقافية، وتكديس هذه الأشياء في بيوتنا وكأنها من صنعنا -كما ظن ذلك بعض المسلمين- ليس ذلك سبيل التقدم والتطور، بل هو سبيل إلى التبعية، ولهذا فإن المسؤولية على المربين كبيرة بأن يبينوا للناشئة أن تكديس منتجات الحضارة الغربية لا تأتي بالحضارة، فالحضارة هي التي تكوّن المنتجات، وليست المنتجات هي التي تكوّن الحضارة.

---

(١) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، ٧٩/٢٨.

(٢) عبد الله بن إبراهيم الطريقي، التعامل مع غير المسلمين، ص٣٩٢.

الوسائل التربوية للتفاعل الحضاري

يمكن تعريف وسائل التفاعل الحضاري بأنها: مجموعة الطرق والأساليب المعينة لأخذ وإعطاء ما يُراد اقتباسه أو تبليغه من حقائق وأفكار ومعانٍ وعلوم ومعارف بين الأمم(١).

وتتعدد الوسائل التربوية للتفاعل الحضاري، ولعل من أهمها: التعليم، والأبحاث العلمية، والحوار الترجمة، والإعلام، والدعوة، والصراعات والحروب.

وسوف اقتصر في هذا القسم من الكتاب على خمس منها:

---

(١) لمزيد من معرفة المعنى اللغوي والاصطلاحي للوسائل، انظر: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٢ (بيروت: دار الجيل، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ٦/١١٠؛ حسن سعيد الكرمي، الهادي إلى لغة العرب، ط١ (بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ٤/٤٨٧؛ الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي (بيروت: المكتبة العلمية) ٢/٦٦٠؛ ميرغني دفع الله، المعجم الموجز في المصطلحات التربوية، د.ط. (الكويت: دار البحوث العلمية، ١٤٠٣هـ) ص٨١؛ عبد الرحمن بن محمد بلعوص، التوجيه الإسلامي لتقنية التعليم، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد الثالث عشر، ١٤١٥هـ، ص٤٥٩

١- التعليم، حيث أعرض لمفهومي التعليم والتعلم والفرق بينهما، وأهمية المعرفة وحكمها في مصادر التربية الإسلامية، ودور التعليم في تحقيق التفاعل الحضاري، من خلال المؤسسات التعليمية المحلية، والابتعاث أو الدراسة في الخارج.

٢- الأبحاث العلمية، وبيان أهميتها، ودورها في تحقيق التفاعل الحضاري.

٣- الحوار، بين الحضارات، وأهميته، وأشكاله، وضوابطه.

٤- الإعلام، وأهدافه، وأهميته وخطورته، ودوره في تحقيق التفاعل الحضاري.

٥- الدعوة، إلى الله، وأهميتها وحاجة الناس إليها، وأهدافها، ودورها في تحقيق التفاعل الحضاري.

التعليم

أولاً: مفهوم التعليم والتعلم والفرق بينهما:

التعليم هو: «مجهود شخص لمعونة آخر على التعلم، أو نقل المعلومات من المعلم إلى المتعلم بقصد إكسابه المعرفة»[1].

والتعلم هو: «عملية يغير بها الإنسان مجرى حياته بصورة مستمرة نتيجة لتفاعله مع بيئته، وهذا التغير يجري في نفس المتعلم من نواحي ثلاث:

١- الناحية الفكرية: وهي ما يتعلق بتحصيل العلوم والمعارف.

٢- الناحية العلمية: وهي ما يتعلق بتكوين العادات والمهارات.

٣- الناحية العاطفية: وهي ما يتعلق بتهذيب الحس الخلقي والنفسي والروحي»[2].

وقيل: إن «التعلم ما هو إلا تغيير في السلوك ناتج عن استثارة، هذا التغير في السلوك قد يكون نتيجة لأثر منبهات بطيئة، وقد يكون نتيجة لمواقف معقدة»[3].

---

(١) محمد الطيطي، وآخرون، مدخل إلى التربية، ط١ (الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) ص٢٣٨.

(٢) خليف يوسف الطراونة، أساسيات في التربية، ط١ (الأردن: دار الشروق، ٢٠٠٤م) ص١٠١.

(٣) محمد الطيطي، وآخرون، مدخل إلى التربية، ص ٢٣٧.

والفرق بين التَعَلُم والتعليم: «أن التَعَلم مجهود شخصي، ونشاط ذاتي، يصدر عن المتعلم نفسه، بمعونة المعلم وإرشاده، بينما التعليم توجيه لعملية التعلم وحفز المتعلم، واستثارة قواه العقلية، ونشاطه الذاتي، وتهيئة الظروف المناسبة، التي تمكن المتعلم من التعلم»[1].

ومما سبق ندرك أن كلاً من التعليم والتعلم يُساهم في عملية نقل المعلومات من طرف إلى طرف آخر، ويُغير مجرى حياة الإنسان نتيجة تفاعله وتأثره بمعلومات الطرف الآخر.

ثانياً: أهمية المعرفة وحكمها في مصادر التربية الإسلامية:

لقد حظيت تنمية المؤهلات الفكرية للإنسان بمكانة متميزة في الإسلام؛ ذلك أن «المعرفة هي المفتاح لعبادة الله، وإدراك القدرة والحكمة الإلهية، وسر النظام، الذي يحكم الأشياء، والخلق، ومجموع الكون، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الدخان:٣٨-٣٩).

وبالمعرفة أيضًا يستطيع الإنسان أن يستغل خيرات الأرض لما فيه صالح البشرية وسعادتها»[2].

وتعتبر الحواس من أهم المداخل الأساسية للمعرفة، و«تفعيلها في الحياة يساعد الإنسان على تكوين المفاهيم والاتجاهات والمهارات، وإدراك ما يحيط

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، نحو استراتيجية لتطوير التربية في البلاد الإسلامية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٣٦.

به من ظواهر طبيعية، ويعتبر العقل أيضًا من المداخل الأساسية للمعرفة، لأنه يجمع الإحساسات السابقة واللاحقة، ويعطي لها تفسيرًا معينًا هو ما يعبر عنه بالفكر»[1]، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل:٧٨).

ومن هذا المنطلق نجد القرآن الكريم ينوه بالعلم والعلماء، فمرة يبين عدم تسويتهم بغيرهم بقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (الزمر:٩)، ومرة يبين مكانتهم العالية فيقول: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة:١١)، ومرة ثالثة يقدر علمهم وشهادتهم، فيقول: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (آل عمران:١٨).

ويأتي تركيز الرسول الكريم ﷺ في تربيته للمسلمين «على حفز الجهد العلمي والمعرفي منطلقاً من فضل العلم، دون تحديد لنوعية العلم، فالإنسان في حياته الدنيا بحاجة إلى كل أنواع العلوم والتي تنمو وتتطور –كماً ونوعاً– مع استمرار الحياة»[2].

---

(١) محمد سعيد عبده، علم التربية وأسسه، ص١٠١.

(٢) أحمد رجب الأسمر، النبي المربي، ط١ (عمان: دار الفرقان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ص٣٢٦.

ولقد اتفق علماء الإسلام على أن من العلم ما هو فرض عين على كل فرد في المجتمع المسلم «كتعلمه أحكام دينه، وفهم عقيدته، وعباداته، وما هو فرض كفاية، كتعلم العلوم والمهن، التي تلبي حاجات الناس في المجتمع والتي بها قوام الدين والدنيا للجماعة المسلمة... فإذا نهض عدد كاف من العلماء والخبراء والمختصين في كل مجال، وسدّوا حاجات الأمة، فقد أدت الأمة واجبها، وسقط عنها الإثم والحرج، وإذا قصّرت الأمة في إعداد هؤلاء لسد الحاجات في كل الجوانب، وغدت عالة على غيرها، فهي آثمة»[1].

وبهذه الإرشادات التربوية من القرآن والسنة وكلام علماء الأمة ينبغي اقتباس «كل ما جدّ في الحياة من علوم ومنجزات حضارية نافعة للمجتمع إن لم تكن موجودة، أو العمل على تحضيرها وإنشائها وإتقانها في المجتمع المسلم...»[2].

ثالثاً: دور التعليم في تحقيق التفاعل الحضاري:

العلم هو الوسيلة الأولى لبناء الحضارات بناءً واقعيًا في كل مجال من مجالاتها، لذلك اشتغل به المسلمون، تعلمًا وتعليماً، فتعلموا كل صالح مفيد، ونقلوا ما عندهم من دين وعلوم ومعارف ومنجزات إلى الحضارات الأخرى.

كما أن غير المسلمين أدركوا أن وسيلة التعليم هي أنفع وأجدى وسيلة لتحقيق التفاعل الحضاري والتأثير في المسلمين وإقناعهم بالثقافة الغربية

---

(١) محمد علي الهاشمي، المجتمع المسلم كما بينه الإسلام في الكتاب والسنة، ط١ (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) ص٣٠٨.

(٢) المصدر السابق، ص٣٢٤.

المادية[1]، وكان هو السلاح، الذي «تتوقف نتيجته على من يمسكه بيده، وعلى من يضرب به»[2].

ومن هنا حرص الكل على الاستفادة من هذه الوسيلة، والبحث عن أفضل آلية للتعلم والتعليم، فوجدوا أنها تَتِمُ إما عن طريق المؤسسات التعليمية المحلية، من مدارس ومعاهد وجامعات، أو عن طريق الابتعاث إلى المدارس والمعاهد والجامعات الخارجية، وفيما يلي بيان لهاتين الآليتين:

الطريق الأول: المؤسسات التعليمية المحلية:

تضطلع المؤسسات التربوية والتعليمية المحلية بدور كبير في تحقيق التفاعل الحضاري، سلباً أو إيجاباً، ذلك أن هذه المؤسسات تسعى إلى تقديم برامج وأفكار ومعتقدات مؤسسيها وواضعيها، لذا فإن الأنظمة التعليمية في العالم موجهة وفق عقائد ومفاهيم واضعي سياساتها، ولهذا فقد اختلفت الأسس، التي يقوم عليها التعليم عند المسلمين، والأسس التي يقوم عليها التعليم عند غير المسلمين، تبعاً لاختلاف عقائد ومفاهيم أصحابها.

وعليه، فإن التعليم عند المسلمين يقوم بالأصل على الأسس الآتية[3]:

١- إيجاد جيل يؤمن بالله ورسله واليوم الآخر، لأنه تعليم يأتي عن طريق دين رباني صحيح.

---

(١) انظر عبد الودود شلبي، الزحف إلى مكة: حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير في العالم الإسلامي (القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ص٨٣.

(٢) عبد الرحمن حبنكة الميداني، غزو في الصميم، د.ط. (دمشق: دار القلم، ١٩٨٢م) ص١٦.

(٣) محمد أمين حسن بني عامر، الاقتباس من الغرب ضوابطه وحدوده، أسبابه وآثاره، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد التاسع والعشرون، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص١٣٩.

٢- الاستقامة على دين الحق، المثل العليا، التي جاء بها الإسلام لقيام حضارته.

٣- الالتزام بأخلاق الإسلام وقيمه ومبادئه على أساس الكتاب والسنة.

٤- مراعاة الفطرة الإنسانية والغرائز البشرية المودعة في الإنسان.

وحيث أصبح من المحتم تقديم تلك الأفكار والمفاهيم للتنشئة بطريقة أو بأخرى، لم يكن من سبيل أمام المجتمع المسلم، وأي مجتمع وأصحاب حضارة، إلا أن يتخذوا من المؤسسات التربوية وسيلة لتحقيق ذلك، ومن هنا «بدأت التنشئة الرسمية تحتل مكانها من خلال مؤسسات تربوية عديدة، وإن كانت المدرسة واحدة من أهمها»[1].

وكان كثير من المدارس والمعاهد والجامعات الإسلامية والعربية تضطلع بدور كبير في تحقيق التفاعل الحضاري والثقافي، مع الأمم والحضارات الأخرى، حيث إنها تستقطب أعداداً هائلة من أبناء العالم، وتقدم لهم المنح الدراسية، ولا شك أن هؤلاء الطلاب ينقلون إلى بلدانهم بعد تخرجهم شيئاً من التعاليم والثقافة الإسلامية، كما ينقلون أيضاً بعض العادات والتقاليد الإسلامية والعربية[2].

فالتعليم الإسلامي يقوم بتعريف الآخرين بالدين الإسلامي الحنيف، وتعاليمه وحضارته، وتصحيح النظرة السلبية لدى بعضهم عن الإسلام

---

(١) أحمد فاروق، وآخر، في أصول التربية، ص: ٧٦.

(٢) لمزيد من التفصيل انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة، التنصير، مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، ط٣ (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ص٨١.

والمسلمين، وذلك عن طريق المراكز والمساجد والجمعيات والأندية الطلابية الإسلامية في الجامعات ومؤسسات التعليم المختلفة والتي انتشرت في الآونة الأخيرة ولله الحمد، فإن ذلك كله يمكن أن يحقق شيئًا كثيراً من التفاعل الحضاري لصالح الإسلام والمسلمين.

وفي المقابل نرى أنه كان من الطبيعي للقوى، التي وقفت موقفًا عدائيًا من الأمة الإسلامية أن تتوسل بالتعليم طريقاً للغارة على المقومات الأساسية المكونة للذات الحضارية للأمة الإسلامية، فبدأت تُؤسسُ المدارس، والمعاهد، والجامعات، داخل العالم الإسلامي، وقد عُرف هذا النوع من التعليم بالتعليم الأجنبي(1).

وقد ألغى التعليم الأجنبي اللغة العربية إلغاءً تاماً، وحلّ محلها اللغات اللاتينية، وحرص على تسييد اللغة الإنجليزية، أو الفرنسية، أو الإيطالية، أو غير ذلك من اللغات اللاتينية.

الطريق الثاني: الابتعاث أو الدراسة في الخارج:

يعود تاريخ الدراسة في الخارج إلى عصور قديمة، فمنذ «أن عرف الإنسان الحضارة، والرحلة في طلب العلم -بأشكالها المختلفة- تقليد من تقاليده العريقة، يَتَجَشّم من أجلها الصعاب، ويترك بسببها الأهل والأصحاب، ويُقدّم في سبيلها التضحيات المادية والشخصية والاجتماعية»(2).

(1) لمزيد من التفصيل انظر: سعيد إسماعيل علي، التطور الحضاري للتربية، ط1 (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) ص٦٢٩.

(2) عبد الله عمر خياط، الدراسة في الخارج، صحيفة عكاظ، العدد ١٤٧٧٢، ١٤٢٨/١/١٧هـ.

ولقد أكد المنهج الإسلامي أهمية الرحلة في طلب العلم، ويمكن «أن تعد الآيات، التي وردت بالأمر بالسير في الأرض مما يدخل في استخدام الرحلة وسيلة تعليمية، فقد أمر الله عباده بالسير في الأرض، وهو أمر يقتضي الارتحال من مكان إلى آخر، أما الهدف من هذا السير، فهو التأمل، والتدبر، واستنتاج الموعظة، والاعتبار، فليس السير في الأرض مقصوداً لذاته، وإنما هو وسيلة يتعلم منها كل من حاول التكذيب والكفر، ويتعظ بما آل إليه مصير المكذبين على الرغم من عظم قوتهم، ويكفي المرء أن يفتح المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم تحت مادة (سار) ومشتقاتها: (يسيروا) و(سيروا) ليجد أمثلة كثيرة من الآيات الواردة في هذا الصدد»[1].

وهكذا، فقد تزامنت الرحلة في طلب العلم مع بداية التشريع الإسلامي، ومنذ الصدر الأول من الإسلام، وتفرق «علماء الصحابة في الأقطار المفتوحة عقب فتحها؛ ليعلّموا الناس شؤون الدين؛ وليقرئوهم القرآن، ويرووا لهم الأحاديث، وأقام كل واحد من هؤلاء مركزاً علمياً بالبلد الذي نزل فيه..»[2].

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بلعوص، الوسائل التعليمية في القرآن والسنة والآثار عن الصحابة، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (العدد الثالث عشر: ذي القعدة ١٤١٥هـ أبريل ١٩٩٥م) ص٤٤٢.

(٢) أحمد شلبي، التربية الإسلامية: أنظمتها.. فلسفتها.. تاريخها، ط٦ (القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٧٨م) ص٣١٨.

لقد ضرب الصحابة، رضوان الله عليهم، أكباد الإبل في فجاج الأرض شرقاً وغرباً بهمم عالية، ونفوس سخية راضية، بحثاً عن العلم، وتحصيلاً للمعرفة.. ومن أشهر رحلات الصحابة العلمية: رحلة جابر بن عبد الله ﷺ من المدينة إلى عبد الله بن أنيس ﷺ في الشام لطلب حديث المظالم[1]؛ ورحلة أبي أيوب الأنصاري ﷺ من المدينة إلى عقبة بن عامر الجهني ﷺ في مصر، لطلب حديث الستر على المسلم[2] وقد بوب البخاري باب: «الرحلة في المسألة النازلة» كما بوب أيضاً لرحلة موسى، عليه السلام، مع الخضر باب: «الخروج في طلب العلم».

ولم يزل السلف والخلف من الأئمة يعتنون بالرحلة، قال سعيد ابن المسيب، رحمه الله[3]: «إن كنت لأغيب الليالي والأيام في طلب الحديث الحديث الواحد»[4].

فالرحلة أسلوب من الأساليب التربوية المهمة في التربية الإسلامية، إلا أنها «لم تكن تحت إشراف الحكومات، كما أنها لم تكن منظمة وجماعية ولأغراض

---

(١) أخرجه الحاكم، محمد بن عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عطا، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م)، تفسير سورة حم المؤمن، حديث رقم: ٣٦٣٨، ٢/٤٧٥.

(٢) أخرجه الإمام أحمد، حديث رقم: ٢٤٧. قال الأرنؤوط وزملاؤه: هذا الإسناد ضعيف، والمرفوع منه صحيح، انظر: المسند، رقم: ١٧٤٥٤.

(٣) لترجمته انظر: محمد بن خلكان،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٢/٣٧٥.

(٤) طاهر الجزائري الدمشقي، توجيه النظر إلى أصول الأثر، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط١ (حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية، ١٤١٦ه/١٩٩٥م) ٢/٧١٩-٧٢١.

مستقبلية تنموية، بل كانت رحلات اختيارية يقوم بها الأفراد بدافع من رغبتهم الشديدة في مزيد من التحصيل العلمي، أو المعرفي، الذي لا يتوفر عادة في بلدانهم»[1].

والابتعاث ما هو إلا مظهر من مظاهر الرحلة العلمية، فقد عُرّف بأنه: «انتقال الطالب من بلدة إلى أخرى؛ لتلقي العلم مباشرة عن أستاذ كبير في مادة من المواد»[2].

ويتضح أثر الابتعاث في تحقيق التفاعل الحضاري جلياً في تأثر الغرب بالحضارة الإسلامية إبان تألقها وازدهارها، حيث كانت الأندلس «مجمعًا للعلماء الأوروبيين، الذين جاءوا من كل صوب من بلاد أوروبا؛ لينهلوا من علوم المسلمين وآدابهم، وترجموا إلى لغاتهم كتب المسلمين في الفلك، والرياضة، والطب، بل إن أحدهم أكد في محاورة مع ابن أخيه - وكان تعليمه في جامعة إنجليزية محلية- كيف أن التعليم على أيدي الأساتذة العرب أكثر فائدة وأكبر جدوى من التعلم في جامعات إنجلترا، فقال: «إنني وقائدي العقل، قد تعلمت من أساتذتي العرب، غير الذي تَعلمتَه أنت»[3]، بل كان الأمراء والوجهاء من

---

(١) عبد الرحمن الحازمي، التوجيه الإسلامي لأصول التربية، ص٦٦.

(٢) محمد عطية الأبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، ط٣ (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت.) ص١٩٩.

(٣) السيد أحمد فرج، تعريب التعليم الجامعي ضرورة علمية وإسلامية، ط١ (القاهرة: دار الصحوة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ص١٩.

الغرب يذهبون إلى الأندلس «بحثاً عن العلاج، أو رغبة في الوقوف على الفنون ومظاهر الحضارة الإسلامية»[1].

وتميزت الفتوحات الإسلامية بنقل الحضارة والعلوم إلى أوروبا، وتم فتح الجامعات الإسلامية أمام كل طالب علم، بغض النظر عن جنسه، أو دينه، أو عِرقه، تَشهد بذلك جامعات الأندلس، وبغداد، وصقلية، ومصر، وغيرها، تلك الجامعات، التي قامت بتدريس العلوم المختلفة[2].

وقد «سجل الشعر العربي بأن البابا سلفستر، الذي زار القرويين نهل من علومها، وقد أشار إلى ذلك الشيخ المدني بن الحسين في قصيدة... قصيدة قديمة جداً، كان المسلمون يعلمون أن الراهب قد جاء ليتعلم في جامعاتهم»[3].

وقد توجه علماء الإسلام وبتشجيع من تعاليم الإسلام لنهل العلوم من مصادرها المختلفة، اليونانية والشرقية، ثم قاموا بتطوير تلك العلوم وابتكار علوم جديدة أخرى في مجالات متعددة، وقد تم ذلك كله دون أن يتأثر المسلمون بعقائد وعادات الحضارات الأخرى.

---

(١) إبراهيم بيومي، أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية (الهيئة المصرية العامة، ١٩٧٠م) ص١٦٨.

(٢) محمد علي الهاشمي، المجتمع المسلم كما بينه الإسلام في الكتاب والسنة، ص٣١٨.

(٣) عز الدين إبراهيم، معالم رئيسية في مسيرة الجامعات الإسلامية في العهد الحديث (الرياض: إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ص٢٥.

وفي العصر الحديث، الذي تراجع فيه المسلمون وأصبح التقدم العلمي والتقني بيد الغرب «قام طلاب العلم من شتى أصقاع المعمورة، بتنظيم الرحلات إلى مصادر هذا العلم؛ ليتعلموا لغته، وينهلوا من معينه، ويتخصصوا في علومه، باحثين عن التقدم والتطور لهم ولمجتمعاتهم، وقد عُرفت ظاهرة الرحلة في العصر الحديث بالدراسة إلى الخارج أو الابتعاث»[1]، وقد اقتضت تلك الرغبة في مواكبة السير الحضاري وجود مجموعات من أبناء المسلمين في أوروبا وأمريكا لتلقي التعليم والخبرات، مبعوثين من حكوماتهم ومؤسساتهم داخل بلادهم[2].

ولقد شجّع الغرب وسيلة الابتعاث؛ ليكون منفذًا قوياً للتأثير في الأمم الأخرى، وذلك لعلمه أن الابتعاث من أفتك الأسلحة، التي تسهل عملية التجانس والتطابق في التفكير[3].

ومما يبين خطورة الابتعاث وأثره في التفاعل الحضاري أن العائدين من البعثات الخارجية إلى البلاد الإسلامية يكون لهم «زمام المبادرة في شغل المناصب العليا، ذات التأثير الإداري، والثقافي، والأدبي، والسياسي، بل والديني أحياناً، وتُلمّع هذه المجموعات المتخرِّجة من الجامعات الأجنبية، وتُعطى الهالة

---

(١) عبد العزيز بن عبد الله بن طالب، الدراسة في الخارج، ط٢ (الرياض: ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) ص١٧.
(٢) علي بن إبراهيم النملة، التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، ص٨٨.
(٣) لمزيد من التفصيل انظر: آمال قرامي، قضية الردة في الفكر الإسلامي الحديث (تونس: دار الجنوب للنشر، ١٩٩٦م) ص٤٩.

الإعلامية، وتساند بعضها في المناسبات العلمية والثقافية والأدبية وغيرها»[1]، وبعد تولي هؤلاء زمام الأمور في بلادهم، واكتسابهم ثقة الناس لما يُتوقع منهم من الإسهام في تنمية البلاد بجهودهم العلمية، التي اكتسبوها من البعثات، عندها يبدأ بعضهم في تنفيذ أهداف ومخططات، بل ومعتقدات وأفكار المدارس والمعاهد والجامعات، التي ينتسبون إليها، اشتراكية كانت، أم رأسمالية، أم علمانية، وبهذا أصبحت الدول الإسلامية متأثرة بالغرب في معتقداته وعاداته وأفكاره، عن طريق أمثال هؤلاء.

- ضوابط الابتعاث:

ومع أن الابتعاث جائز ومباح في أصله، إلا أنه نظراً لآثاره المدمرة، وسلبياته المهلِكة، فقد وضع منهج التربية الإسلامية شروطاً وضوابط للابتعاث، ومن أهم هذه الضوابط:

١- أن يكون الابتعاث لضرورة أو لحاجة ماسة، كطلب علم أو تخصص لا يوجد أو هو نادر في بلاد المسلمين، ولهذا يجب أن يتخصص الطلاب المبتَعثون بالعلوم البحتة التطبيقية، التي تحتاج إليها أمة الإسلام، دون غيرها من العلوم والتخصصات[2].

٢- أن تتحقق في الطالب المبتَعَث الحصانة القوية: من التقوى، والصلاح، والذكاء، والعلم، فمن عُرف عنه التهاون بأحكام الدين،

---

(١) علي بن إبراهيم الحمد النملة، التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، ص٧٩.

(٢) لمزيد من التفصيل انظر محمد الصباغ، الابتعاث ومخاطره، ص١٦-١٨.

أو الانحراف في فكره أو خلقه، فلا يجوز بعثه، وينبغي أن يكون الطالب متزوجاً ليصطحب أهله في سفره[1].

فالتعليم وسيلة من أهم وسائل التفاعل الحضاري، فمن خلاله، يتم:

١- احتكاك الطلاب مع أفراد المجتمع، الذي يتعلمون منه، حيث يؤدي الاحتكاك إلى تبادل الثقافات بين الأمم، مما يؤثر، سلباً أو إيجابًا، على عادات ومعتقدات وثقافات الشعوب.

٢- التعرف على تاريخ وحضارات الأمم، وعاداتهم وأديانهم.

٣- توطيد عرى الصداقة، وزيادة فرص التعاون مع المجتمعات الأخرى.

ويتمثل دور التربية ورجال التعليم، في تحقيق التفاعل الحضاري الإيجابي واجتناب السلبي منه، في:

١- تبصير الأفراد والمجتمع بأهمية التعليم وخطورته، حيث يكون التعليم مهمًا لنقل التكنولوجيا، وزيادة المخترعات، وتطوير جميع مناحي الحياة، كما أن له خطورته في نقل أفكار ومعتقدات واتجاهات مناقضة للإسلام.

٢- تطوير أهداف وبرامج المراحل الدراسية، والإفادة من الجوانب المادية والعلمية، التي عند الأمم الأخرى[2].

٣- ضبط الابتعاث إلى الغرب بالضوابط الشرعية، ليكون العائد منه لصالح الأمة.

---

(١) عبد الله الطريقي، التعامل مع غير المسلمين، ص٣٩٩.

(٢) انظر منير مرسي سرحان، في اجتماعيات التربية، ص٢٣٣.

٤- تعزيز التربية الإسلامية الحقة بإدراجها في كل مراحل المنهاج الدراسي، وينبغي عند تدريسها اعتماد الطرق والتقنيات الحديثة، التي تضفي عليها نوعاً من الجاذبية وتضمن لها الفعالية[١].

٥- إضفاء الطابع الإسلامي على التعليم، وذلك بتدريس كل المواد المقررة من وجهة نظر إسلامية، مع التركيز على التاريخ الإسلامي وجغرافية العالم الإسلامي والثقافة والحضارة الإسلاميتين ودورهما في إغناء التراث الإنساني[٢]. ويجب أن تتعامل الاستراتيجية التربوية الإسلامية مع العلوم والتكنولوجيا باعتبارها إحدى المكونات الأساسية للحضارة المعاصرة...[٣].

٦- التمسك بالعربية لغةً للعلم في كل مراحل التعليم، وفي كل فنونه المختلفة، لمواجهة الغزو الثقافي الوافد من الغرب، الذي يسعى للتقليل من قدرتها على مواكبة التقدم والتقنية والحضارة في عصر العلم والمدنية، علماً بأن «الأمم لا تحيا إلا بإحياء لغتها والاعتزاز بها، وجعلها لغة التربية والتعليم، ولغة العلم والتقنية...»[٤].

---

(١) المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، نحو استراتيجية لتطوير التربية في البلاد الإسلامية، ص٤٩.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق، ص٤٩.
(٤) السيد أحمد فرج، تعريب التعليم الجامعي ضرورة علمية وإسلامية، ص٢٣.

الأبحاث العلمية

البحث لغة مصدر الفعل الماضي (بَحَثَ).. «الْبَاءُ وَالْحَاءُ وَالثَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى إِثَارَةِ الشَّيْءِ... والْبَحْثُ طَلَبُكَ شَيْئًا فِي التُّرَابِ، وَالْبَحْثُ أَنْ تَسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ وَتَسْتَخْبِرَ، تَقُولُ اسْتَبْحِثْ عَنْ هَذَا الأَمْرِ... وَالْعَرَبُ تَقُولُ: كَالْبَاحِثِ عَنْ مُدْيَةٍ، يُضْرَبُ لِمَنْ يَكُونُ حَتْفُهُ بِيَدِهِ، وَأَصْلُهُ فِي الثَّوْرِ تُدْفَنُ لَهُ الْمُدْيَةُ فِي التُّرَابِ فَيَسْتَثِيرُهَا وَهُوَ لا يَعْلَمُ فَتَذْبَحُهُ، قَالَ: «وَلا تَكُ كَالثَّوْرِ الَّذِي دُفِنَتْ لَهُ حَدِيدَةُ حَتْفٍ ثُمَّ ظَلَّ يُثِيرُهَا»[1]. فالبحث «تتبع، فتش، سأل، تحرى، تقصى، حاول، طلب»[2]، و«بذل الجهد في موضوع ما، وجمع المسائل التي تتصل به، والجمع بحوث وأبحاث»[3]، وبهذا يكون معنى البحث هو: طلب وتقصي حقيقة الشيء، وسورة براءة يقال لها «البحوث»، سميت بذلك؛ لأنها بحثت عن المنافقين وأسرارهم، أي استثارتها، وفتشت عنها[4].

و(العلمي) كلمة منسوبة إلى العلم.

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ٢٠٥/١.

(٢) الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني (لبنان: دار المعرفة) ٣٧/١؛ أحمد الفيومي، المصباح المنير، ٣٦/١.

(٣) إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، ٤٠/١.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ١١٤/٢-١١٥.

وقد عرّف «البحث العلمي»، كلفظة مركبة، بتعاريف متعددة منها: «محاولة لاكتشاف جزء من المعرفة، لإذاعته بين الناس، والاستفادة منه»[1]؛ وأنه: «عملية استقصاء موضوعي منظم يصل به الباحث إلى حلول ناجعة، أو لفهم أعمق للمشكلة»[2].

والخلاصة، أن البحث العلمي هو: عملية استقصاء واكتشاف معلومات يقوم بها باحث ما.

إلا أن المقصود من الأبحاث العلمية في هذه الدراسة، ليس ما سبق، وإن كان يدخل فيه دخولاً أوليًا، وإنما المقصود، المعلومات السطرية والمكتوبة، سواء كانت أبحاثاً أو غيرها، وقد جاءت التسمية من باب التغليب.

أولاً: أهمية الأبحاث العلمية:

الاهتمام بالبحث العلمي كان سمة بارزة لدى علماء المسلمين الأوائل، بل كانوا هم الرّواد في هذا المجال، فقد عرفوا البحث العلمي قبل أن تعرفه الأمم الأخرى، ذلك «أن القرآن الكريم أنشأ لدى علماء المسلمين العقلية العلمية الجادة، التي تنبذ اللهو والخرافة والإسفاف، وتحض على البحث العلمي

---

(١) صلاح الدين الهواري، كيف تكتب بحثا أو رسالة، د.ط. (مكتبة الهلال، ٢٠٠٣م) ص١٣.

(٢) محمد زياد حمدان، كيف تنجز بحثًا (الأردن: دار التربية الحديثة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م) ص٤.

والتثبت في المرويات والمنقولات، والجري وراء الحقيقة العلمية بعيدًا عن الظنون والأهواء والتقليد»[1].

كما كان الاهتمام بالبحث العلمي ثمرة إدراك لأهميته في الحياة الإنسانية، لكونه العامل الأساس في الارتقاء بمستوى الإنسان، فكرياً وثقافياً ومدنياً، ولم يعد رفاهية أكاديمية تمارسه مجموعة من الباحثين، وإنما أصبح مفتاح التقدم التطور للأمم، وهو طريق لفتح مجالات الإبداع لدى الأفراد والمجتمعات.

فالبحث العلمي يضطلع بدور أساس في قيام الحضارات، ولا أدل على ذلك من أن الدول المتقدمة، التي حققت تقدماً ملموساً في مجال العلم والتكنولوجيا إنما هي تلك الدول، التي اعتمدت اعتماداً كبيراً في تقدمها على البحث العلمي.

ولأهمية البحث العلمي نادى المؤتمر الأول للدعوة والدعاة، الجامعات والهيئات والمؤسسات المتخصصة في جميع الأقطار الإسلامية، «إلى التعاون في مجالات البحوث، والدراسات العلمية، والتقنية المتطورة في كل فروع المعرفة الإنسانية ونواحي الحياة، والارتقاء بها إلى ما يحقق للأمة الإسلامية التقدم العلمي المنشود في هذا المضمار، الذي تتسابق فيه الأمم بكل طاقاتها...»[2].

---

(١) محمد بن علي الهاشمي، المجتمع المسلم كما بينه الإسلام في الكتاب والسنة، ص٣١٦.

(٢) علي بن صالح المرشد، مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، ط١ (مكتبة لينة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ص٢٨٣-٢٨٥.

ثانياً: دور الأبحاث العلمية في تحقيق التفاعل الحضاري:

الأبحاث العلمية وسيلة من وسائل التفاعل الحضاري؛ ذلك أن كثيراً من الناس يميلون إلى المطالعة الهادفة للأشياء المكتوبة والتي من بينها الأبحاث العلمية[1].

وبسبب هذه المطالعة والقراءة لتلك الكتب والأبحاث؛ تتغير الأفكار والمعتقدات عند بعض الناس، نحو: الخالق، والكون، والدين، والعادات، وهذا يؤكد أن الكتب والأبحاث العلمية تضطلع بدور أساس في تفاعل الحضارات، وتأثر الأمم وتأثيرها في بعضها بعضاً.

وقد استغل المبشّرون المؤسسات العلمية، التي تقدم دراسات عن العالم الإسلامي؛ لصالح التنصير، فجاءت دراساتهم وأبحاثهم مشوّهة للإسلام، ومشككة في عقيدة المسلمين، واستخدموا لتحقيق ذلك طباعة الكتب، والأبحاث، والمطويات، والنشرات، وتوزيعها على العالم الإسلامي.

وللأسف، فإن كثيراً من دور النشر، التي تهتم بالأبحاث والكتابات العلمية والنشرات المطبوعة في بلاد المسلمين، تُصدر كتاباتها مشوبة بتوجيه تغريبي، أو بتوجيه علمي غير غائي، كما أن «كثيراً من المسؤولين فيها والمستشارين لها من غلاة التغريبيين، وهذا ما يجعلها عبئاً على الأمة – مادياً وفكرياً– فهي تهدم أكثر مما تبني، ويصدر عنها شر كثير وخير قليل»[2].

---

(١) انظر في ذلك: عبد العزيز محمد النغيمشي، المراهقون، د.ط. (الرياض: دار المسلم، ١٤١٥هـ) ص١٢٠-١٢١.

(٢) عبد الحليم عويس، المسلمون من التبعية والفتنة إلى القيادة والتمكين، ط١ (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) ص١٩٦.

ولكي يحقق البحث العلمي التفاعل الحضاري المنشود فإن المطلوب القيام بما يلي:

١- إنشاء عدد من دور النشر الكبرى باللغات الإسلامية والعالمية، تتولى طبع الكتب والمجلات الدورية، التي تعرض الإسلام الشامل، وتساهم بحل مشكلات الحضارة الغربية بطريقة إسلامية حضارية.

٢- تقديم أطروحات وبحوث تسهم في توحيد الأمة، فكرياً وثقافياً، وتحول دون الذوبان في بوتقة الأفكار الغربية الزائفة.

٣- عدم توجيه البحوث إلى مجالات جزئية وهامشية ومجهولة وقليلة الفائدة، أو أهميتها المعاشية والعملية قليلة جدًا.

٤- إعطاء اهتمام أكبر للعلوم البحتة، وتوفير أكبر عدد ممكن من الباحثين والباحثات في هذا المجال.

٥- الارتقاء بدور الجامعات والمعاهد ومراكز الأبحاث في عملية البحث العلمي.

٦- تخصيص نسب أعلى في موازنات الحكومات للإنفاق على البحوث والدراسات العلمية.

٧- مشاركة مؤسسات القطاع الخاص في الإنفاق على البحوث والدراسات العلمية، وتبنّي بعضها.

الحوار

تتنوع أساليب التفاهم ووسائل الاتصال بين البشر منذ القدم، وتعتبر اللغة من أهم وأرقى تلك الأساليب والوسائل، فمن خلالها كان التواصل وتبادل الأفكار وحل المشكلات.. وشهد العصر الحديث تطوراً هائلاً في التكنولوجيا والتقنية، وازدادت وسائل الاتصال والتواصل تنوعاً وتطوراً، فتيسرت أساليب التفاهم بين بني البشر، حتى صار العالم كقرية صغيرة يشاهد المرء فيها ما يقع بين جهاتها، ويتواصل ويتفاهم مع الآخرين في مشارق الأرض ومغاربها.

ومن أهم أساليب التواصل والتفاهم، التي عُرفت في المدنيات القديمة: «أسلوب الحوار، الذي يعد من أرقى أساليب التواصل والتفاهم من أجل التعايش الإنساني، التي عرفها الناس، وفي العصر الحاضر زاد الاهتمام بالحوار، وأصبحت له مراكز ومنتديات في الدول المتقدمة؛ إدراكاً منها لأهمية الحوار في تحقيق التفاهم والتواصل بين الناس، والتعايش الإنساني بين البشر، واعتمدوه وسيلة لحل المشاكل، وتقريب وجهات النظر المتباينة، وتوثيق الصلات بين مختلف الأطراف»[1].

---

(١) مطيع الله بن دخيل الله الحربي، الحوار والتعايش الإنساني في ضوء الخطاب الإسلامي، ص٤٥٥.

وقد بُذلت جهود كثيرة، عالمياً وإقليمياً، تنادي بتغليب لغة الحوار والتعايش بين الحضارات والثقافات، سواء على مستوى الأمم المتحدة أو على مستوى منظمة المؤتمر الإسلامي، أو غيرهما، وصدرت قرارات في ذلك[1].

وبهذه القرارات العالمية وغيرها، ترددت كلمة الحوار في الصحف، وسائر وسائل الإعلام، وعلى ألسنة الناس.. وعند النظر والتأمل نجد أن هذه الكلمة تدور في السياقات التالية[2]:

١- حوار الحضارات في مقابل صراع الحضارات، الذي قال به «صامويل هنتجتون»، ومن هنا كانت الدعوة (للحوار) بدلاً من (الصراع).

٢-الحوار بين المذاهب والأديان.

٣-الحوار بين الحكام والمحكومين بُغية تحقيق المصالح العامة، ومشاركة الرعية في اتخاذ القرارات، التي تمس حياتها، سواء كان هذا الحوار من خلال إبداء الرأي في وسائل الإعلام، أو من خلال مؤسسات المجتمع المدني، أو المؤسسات الرسمية أو شبه الرسمية، كمجالس الشورى والبرلمانات وما إلى ذلك، كبديل للتمرد أو الشغب أو الثورة.

وبالنظر في كثير من أدبيات الحوار، يمكن القول: إن إطلاقات الناس لكلمة (الحوار) يُقصد بها إحدى معان ثلاثة وهي:

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) عبد الرحمن عبد الله الشيخ، فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية (الرياض: دار المريخ للنشر، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) ص١١.

الأول: الجدال بالتي هي أحسن، أو الحوار الدعوي، وهذا المعنى صحيح إذ هو وسيلة من وسائل الدعوة، جاء بها القرآن الكريم والسنة المطهرة.

الثاني: ما يجري بين الناس من حوارات، يكون القصد منها تبادل المصالح والتفاهم بين البشر، وهذا المعنى صحيح، إذ هو داخل في باب السياسة الشرعية، أو على أقل درجاته يكون من باب المباحات.

الثالث: وحدة الأديان وتقاربها.

والخلاصة، أن الحوار الشرعي نوعان: حوار الدعوة، وحوار السياسة الشرعية[1].

أولاً: أهمية الحوار بين الحضارات:

للحوار أهمية كبيرة في التربية الإسلامية، فهو:

١-أسلوب من أساليب التربية الإسلامية، ومنهج تربوي ورد ذكره واستخدامه في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة، وأداة من أدوات الإقناع الذاتي[2].

وقد حفل القرآن الكريم بالعديد من المواقف الحوارية، «بلغت قرابة مائة وعشرين موقفاً حواريًا، شغلت نحو ألف آية من كتاب الله، أي ما يعادل

---

(١) انظر تفصيل ذلك في: أحمد بن عبد الرحمن القاضي، الحوار في القرآن والسنة وأهدافه، ضمن بحوث مؤتمر مكة المكرمة الخامس، تحت عنوان: الحوار الحضاري والثقافي أهدافه ومجالاته، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ص١٥٥-١٥٦.

(٢) سالم بن سعيد بن مسفر جبار، الإقناع في التربية الإسلامية، ص٩١.

سدس آي القرآن، كما أن السنة النبوية عامرة بالمواقف الحوارية الثرّة، والمناظرات المؤثرة»[1].

٢- ضرورة بشرية، إذ أن الناس بحاجة إلى فهم بعضهم بعضاً، والحوار «إحدى الوسائل المهمة لتلبية هذه الحاجة، والإنسان لا يستطيع العيش دون اتصال بالآخرين فترة طويلة، لأن الاتصال يحقق له وجوده بصفته كائناً اجتماعيًا، ويسمح بتبادل الأفكار ونقلها بين جميع الأطراف، إما بالعطاء أو بالأخذ والتلقي»[2]؛ لهذا كان الحوار ضرورة ملحة «أملتها ظروف التقدم الحضاري والعلمي بين شعوب العالم المختلفة من أجل تزاوج الأفكار»[3] وتحقيق التفاهم والتعايش بين البشر.

٣-وسيلة من وسائل نشر الإسلام: وبمقدار ما يكون الداعية متمكناً من فن الحوار، محيطاً بآدابه وأساليبه، يكون أقدر على النجاح في دعوته[4].

ثانياً: من أشكال الحوار بين الحضارات:

وللحوار صور وأشكال وأنواع، منها:[5]

١-الحوار التعليمي: ويهدف إلى التعليم والتثقيف حول أمور تهم المتعلمين، ويكون بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ويتضمن بعض صور الحوار

---

(١) أحمد بن عبد الرحمن القاضي، الحوار في القرآن والسنة: أسسه وأهدافه، ص١٥٦.

(٢) محمد شمس الدين خوجة، الحوار آدابه ومنطلقاته، ص٣٨.

(٣) عبد الستار الهيتي، الحوار: الذات والآخر، ص٤٦.

(٤) يحي بن محمد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ص٣٢.

(٥) محمد شمس الدين خوجة، الحوار آدابه ومنطلقاته، ص٢٩-٣٠.

الأخرى، كحوار الرواية والتوجيه والأحكام، وتختلف طريقة هذا النوع من الحوار وتتنوع فتكون بأسلوب قصصي، أو استجوابي، أو وصفي.

٢-**الحوار العقدي**: ويكون في أمور الدين المختلف فيها أو المتفق عليها والتي هي من الثوابت أو من مظان الاجتهاد.

٣-**الحوار الأسري**: وهو حوار يتم داخل الأسرة بين الآباء والأبناء، لغرس القيم والأخلاق، أو لحل المشكلات، أو لمناقشة الأمور والمسائل الطارئة في الأسرة، أو للإجابة عن تساؤلات.

ومن الباحثين من قسم الحوار إلى تسعة أشكال، هي: «حوار تذكيري، وحوار تعبدي، وحوار إيماني، وحوار إنساني، وحوار نبوي، وحوار برهاني، وحوار تعليمي»[1].

وهناك من ذهب إلى القول: إن أشكال الحوار في العصر الحاضر قد تنوعت «من حوار سياسي، إلى حوار اقتصادي واجتماعي، إلى حوار ثقافي وديني، إلى غير ذلك من أشكال الحوار»[2].

وهذه الأشكال من الحوارات تهدف، بعمومها، إلى تهذيب المشاعر، وإيقاظ الوجدان، وتربية العواطف، والإجابة عن التساؤلات[3].

---

(١) عبد الرحمن النحلاوي، التربية بالحوار، ص١٠.

(٢) مطيع الله بن دخيل الله الحربي، الحوار والتعايش الإنساني في ضوء الخطاب الإسلامي، ص٤٥٦.

(٣) المصدر السابق، ص٤٨٦.

ثالثاً: ضوابط الحوار بين الحضارات:

تتعدد ضوابط الحوار بين الحضارات، إلاّ أن من أهمها بالنسبة للمسلم:

١ – عدم التنازل عن الحق، ولو كثر المخالفون:

ويُستنبط هذا الضابط من محاورة نبي الله إبراهيم، عليه السلام، قومه، فقد قص الله علينا أنه حاور قومه في عبادة الكواكب[١]، وأعلن، بعد هذه المحاورة، الحكم على عبادتهم بأنها شرك: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ (الأنعام:٧٨-٧٩)، وهكذا ينبغي لكل محاور أن يدور مع الحق حيث دار، ولا يلتفت إلى كثرة المخالفين.

والتنازل عن الحق ولو كان يسيراً «يؤدي إلى إقرار الأخطاء أو انتقاص الحقائق، أو محاولة الوصول مع الخصم إلى أنصاف الحلول فيما لا يقبل التجزئة؛ لأن ذلك خداع وكذب من جانب، وإضرار بالخصم نفسه حينما تقدم له الحقيقة ناقصة مبتورة، لرغبة أو رهبة...»[٢].

وعندما قال كفار قريش للنبي ﷺ: يَا مُحَمَّدُ، هَلُمَّ فَلْنَعْبُدْ مَا تَعْبُدُ، وَتَعْبُدْ مَا نَعْبُدُ، وَنَشْرَكْكَ فِي أَمْرِنَا كُلِّهِ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي جِئْتَ بِهِ خَيْرًا مِمَّا بِأَيْدِينَا كُنَّا قَدْ شَرَكْنَاكَ فِيهِ، وَأَخَذْنَا بِحَظِّنَا مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي بِأَيْدِينَا خَيْرًا مِمَّا فِي يَدَيْكَ، كُنْتَ قَدْ شَرَكْتَنَا فِي أَمْرِنَا، وَأَخَذْتَ مِنْهُ بِحَظِّكَ، أنزل الله عز وجل: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝

---

(١) انظر تفصيل ذلك في سورة الأنعام، الآيات: (٧٤-٧٩).

(٢) عبد الستار فتح الله سعيد، آفاق الحوار بين الحضارات والثقافات، ص٩١.

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون:١-٦)، وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن مداهنة الكفار، فقال: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ﴾ (القلم:٨-١٠).

و الإدهان: اللين والمصانعة والمقاربة في الكلام، يقال: داهن الرجل في دينه، وداهن في أمره، إذا خان فيه وأظهر خلاف ما يضمر، والمعنى تترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض مالا ترضى فتلين لهم ويلينون لك[1].

وبشكل عام، فإن التربية الإسلامية في منهجها التحاوري مع الحضارات الأخرى تركز على تبيين الحق وإظهاره وعدم التنازل عنه، ولو كثر المخالفون.

٢- عدم المناداة بالحوار في حال رفض (الآخر) لكل أشكال الحوار:

وفي حال رفض الطرف (الآخر) لكل أشكال الحوار، وظهور عدم رغبته في التعايش السلمي، وفي حال اندفاعه إلى محاربة الإسلام والوقوف بوجه الدعوة إليه، والعمل على الحد من انتشارها، والسعي إلى تدميرها، قتالاً أو إخراجاً من الديار، أو معاونة للمعتدين، في مثل هذه الحالة يصعب على المسلمين أن ينادوا بالحوار والتعايش السلمي[2].

---

(١) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، التفسير الكبير، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ٧٣/٣٠؛ وانظر أيضاً: البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد، تفسير البيضاوي، (بيروت: دار الفكر، د.ت.) ٣٦٩/٥؛ ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، د.ط. (بيروت: دار الفكر، د.ت.) ٣٠٥/٤.

(٢) انظر: بسام داود عجك، الحوار في الكتاب والسنة مبادئه وأهدافه، ص٢٠٢.

ويخطئ بعض الناس في فهم الحوار، عندما يحصرون أهدافه في التفاهم والتعايش السلمي فقط، إذ ليست هذه سنة الله في خلقه، فلا يزال الناس مختلفين إلا من رحم ربك، ولا يزال الصراع بين الحق والباطل مستمرًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

صحيح أن من أهداف الحوار في الإسلام التفاهم والوصول إلى الحق، ولكن هذا الهدف لا يتحقق في كل مرة وفي كل قضية، إذ أن أغلب الناس لا ينصاعون للحق ولا يستجيبون له، بل يتبعون الهوى وما تشتهيه الأنفس، وفي مثل هذه الحالة ينبغي أن تتحقق أهداف أخرى، من أهمها:

أ- إبلاغ الحق إلى الخصم، إعذارًا إلى الله عز وجل، وذلك بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

ب- بيان الباطل، الذي عليه الخصم، والرد على الشبهات والطعون الموجهة ضد الحق، وكشف حقيقة ما عليه الخصم من الزيف والزور والبهتان، ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة[1]، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام:٥٥).

---

(١) والأهداف الأخرى، التي يمكن أن تتحقق من الحوار كثيرة، انظر مثلاً: عبد الستار فتح الله سعيد، آفاق الحوار بين الحضارات والثقافات؛ الزمخشري، محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي (بيروت: دار إحياء التراث العربي) ٤٦١/٣؛ الألوسي، شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (بيروت: دار إحياء التراث العربي) ٢١/٢؛ محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٤٦٥/٢؛ يحي بن محمد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ص٧٤

إن أشكال الحوار، التي يقررها منهج التربية الإسلامية، تؤكد أنه منهج وسط لا مغالاة ولا مجافاة فيه، فهو منهج متوازن، يوازن بين متطلبات العلاقات العامة في السلم وفي الحرب، فوضع للسلم أحكامًا تخصه، ومنها: التعاون على البر والتقوى من غير إثم ولا قطيعة رحم: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (المائدة:٢)، ومعنى الآية: «لا تحملنكم عداوة قوم على أن تعتدوا عليهم من أجل أن صدوكم عن المسجد الحرام، ونزلت عام الفتح حين ظفر المسلمون بأهل مكة فأرادوا أن يستأصلوهم بالقتل؛ لأنهم كانوا قد صدوهم عن المسجد الحرام عام الحديبية، فنهاهم الله عن قتلهم»[1].

وفي الحديث الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر، رضي الله عنهما، قالت: «قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ إِذْ عَاهَدَهُمْ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ»[2].

---

(١) محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، ط٤ (لبنان: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ١/١٦٧.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم واللفظ له.

ومنها: حسن الجوار؛ يقول النبي ﷺ: «الْجِيرَانُ ثَلاثَةٌ، فَجَارٌ لَهُ حَقٌّ، وَهُوَ أَدْنَى الْجِيرَانِ، وَجَارٌ لَهُ حَقَّانِ، وَجَارٌ لَهُ ثَلاثَةُ حُقُوقٍ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ فَجَارٌ مُشْرِكٌ، لَهُ حَقُّ الْجِوَارِ، وَأَمَّا الَّذِي لَهُ حَقَّانِ فَجَارٌ مُسْلِمٌ، لَهُ حَقُّ الإِسْلامِ وَحَقُّ الْجِوَارِ، وَأَمَّا الَّذِي لَهُ ثَلاثُ حُقُوقٍ فَالْجَارُ ذُو الرَّحِمِ، لَهُ حَقُّ الرَّحِمِ وَحَقُّ الإِسْلامِ وَحَقُّ الْجِوَارِ، وَأَدْنَى حَقِّ الْجِوَارِ أَنْ لا تُؤْذِ جَارَكَ بِقِتَارِ قِدْرِكَ إِلا أَنْ تَغْرِفَ لَهُ مِنْهَا»[1].

كما وضع منهج التربية الإسلامية للحرب ضوابط وشروطاً تحكمها، وسلك بذلك، في صراعه وتدافعه مع أعدائه مسلكاً حضارياً، فهناك احترام العهود، والمواثيق، واحترام المقدسات ودور العبادة، والمعاملة الحسنة لأسرى الحرب، إلى غير ذلك مما هو مبثوث في كتب التراث الإسلامي[2].

٣- أن لا يؤدي الحوار إلى الاعتراف بالأديان المحرّفة:

من الضوابط المهمة في الحوار الحضاري، أن لا يؤدي إلى الاعتراف بالأديان السماوية بصورتها المحرّفة على أنها حق من عند الله؛ أو الإقرار بصحة اعتناق الآخرين الكتب السماوية وأنها توصل إلى الجنة وإلى مرضاة الله، فهذا يؤدي إلى الاعتراف بالباطل وإطفاء الصبغة الشرعية عليه؛ ولأن هذا يخالف ما وُصف به القرآن الكريم من أنه مهيمن على الكتب السماوية، قال تعالى:

---

(١) أخرجه الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مسند الشاميين، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) ٣/٣٥٩.

(٢) لمعرفة مستويات السلام المنشود في منهج التربية الإسلامية، على مستوى الفرد و(الآخر)، انظر: محمود عكام، الحوار الثقافي في خدمة السلام، رؤية إسلامية، ص٣١٩.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة:٤٨)، «فالقرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله، فما وافقه منها فهو حق وما خالفه منها فهو باطل» [١]، ومعنى ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾: «أي مشتملاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة، وزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفسية...» [٢].

والدين عند الله هو الإسلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ (آل عمران:١٩)، ولا يقبل الله من الأديان غير الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (آل عمران:٨٥).

وقال ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، يَهُودِيٌّ، وَلا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إلا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»** [٣].

٤- عدم حصر الحوار في المجال السياسي، وإهمال الحوار الدعوي:

إن الحوار، الذي يدعو إليه الإسلام يكون بالدرجة الأولى: الحوار الدعوي، وهو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:٦٤).

---

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/٦٦.

(٢) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١/٢٣٤.

(٣) أخرجه مسلم.

غير أن بعض المنخرطين في ملتقيات الحوار، يؤخذ عليهم: «تسليمهم لمحاوريهم من غير المسلمين بأن الحوار النزيه يقتضي الفصل بين الحوار والدعوة! كما صرح بعضهم قائلاً: «إن الحوار، الذي نفهم ليس دعوة مبطنة؛ فمن التزم الحوار وقَبِله نهجاً، يكف عن الدعوة والتبشير في الوقت الذي فيه يحاور»؛ وأعجب من ذلك أن يشترط بعض المحاورين المسلمين عدم الحوار في قضايا الاعتقاد! ففيم الحوار إذاً؟ وعلام اللقاء؟ إننا معشر المسلمين أسعد الناس بالحوار في مسائل الاعتقاد، فكيف نهدر مَكمَن قوتنا، وأساس تفوقنا، وسر خيريتنا؟»[1].

٥- أن يكون الحوار بالتي هي أحسن:

هناك طريقتان للحوار الفكري في جميع مجالاته: «طريقة العنف، التي تعتمد مواجهة المحاوِر بأشد الكلمات، وأقسى العبارات، بحيث يتم التركيز على كل ما يساهم في إيلامه وإهانته، دون مراعاة لمشاعره وأحاسيسه، ولا شك أن هذه الطريقة إنما تنتج المزيد من الحقد والعداوة والبغضاء، وتبعد عن الأجواء، التي تساهم في الوصول إلى النتائج الطيبة.

وهناك طريقة أخرى تعتمد اللين والرفق، وتعتبر الحوار وسيلة للوصول إلى الهدف، وقد ركز الإسلام على الطريقة الثانية في جميع أساليب الحوار من أجل الوصول إلى المعرفة، وأطلق على هذا الأسلوب مصطلح ﴿ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾؛ ليكون طابع الحوارات الإسلامية في كل المجالات»[2].

---

(١) أحمد بن عبد الرحمن القاضي، الحوار في القرآن والسنة: أسسه وأهدافه، ص١٦٨.
(٢) عبد الستار الهيتي، الحوار الذات والآخر، ص٧١-٧٢.

٦- توفير المناخ الطبيعي للمتحاورين:

لا بد أن يتمتع كلاً من طرفي الحوار بالحرية الفكرية، بحيث يستطيع كل منهما أن يعبر عن آرائه وأفكاره، دون أن يكون فريسة لهيمنة الإرهاب الفكري والنفسي؛ ومنهج التربية الإسلامية يقر هذا المبدأ، بل يَجد المتتبع للحوارات، التي أجراها النبي ﷺ «أنه حاول في أكثر من مناسبة توفير المناخ الطبيعي للأطراف، الذين أدار عملية الحوار معهم، من خلال تأكيده على جانب البشرية فيه، فهو بشر مثلهم لا يملك أية قوة غير عادية في تكوينه الذاتي»[1]، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ (الأعراف:١٨٨)، ويقول تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾ (يونس:١٠٨).

غير أن «الإشكالية الحقيقية في نموذج الحوار الحضاري هي أن العالم يعيش في هذه الآونة الأخيرة، حقيقة لا مفر منها في هذا السياق، وهي أن الحضارة الغربية الأقوى على كافة الأصعدة، العلمية والتقنية والعسكرية والاقتصادية، وبالتالي فهي القادرة على تفعيل العوامل الخاصة بالتفاعل

---

(١) المصدر السابق، ص٥٠.

الحضاري، ووفقًا لهذا الخلل، يسوق منظرو ومخططو فكرة النظام العالمي الجديد معطياتهم، التي يمكن أن تهدد الجهود المخلصة للحوار الحضاري...»[1].

ولأجل إبراز محاسن الإسلام وتعريف الناس بفضائل الحضارة الإسلامية ورد شبه المسيئين للإسلام من خلال قناة الحوار الحضاري ينبغي مراعاة ما يلي:

أ- أن يكون الهدف والغاية من الحوار واضحاً ومحدداً، فحوار بلا هدف لا يمكن أن تتمخض عنه نتيجة ملموسة.

ب- أن يكون المحاور ذا دراية تامة بدين (الآخر)، أو بأفكاره ومبادئه، مدركاً لمراميه، وقد مهّد النبي ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ حين بعثه إلى اليمن بقوله: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**»[2] ليكون على استعداد تام لمحاورتهم.

ج-مخاطبة الطرف الآخر (المحاور) حسب مستواه العلمي والفكري، فإن ذلك أدعى إلى نجاح الحوار.

د- البدء بما هو مشترك، ومن ذلك التوحيد، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:٦٤).

---

(١) أحمد مصطفى العتيق، الإسلام والتفاعل الحضاري (القاهرة: مركز الدراسات الحضارية) العدد الثاني، ص١٧٨.

(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم: ١٢١.

هـ- اختيار الأسلوب الأمثل للحوار، ولا شك أن أسلوب اللين والرفق هو الأمثل، وهو الأسلوب الذي أمر الله تعالى به نبيه موسى وأخاه هارون، عليهما السلام، فقال تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (طه:٤٣-٤٤)، وقال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ (عمران:١٥٩).

و- اختيار المؤهلين للحوار، وهم من اتصف بالعلم والحكمة، وحسن البيان، ودماثة الخُلق، والعدل والإنصاف، والأمانة والموضوعية، إلى غير ذلك من الصفات.

الإعلام

لم يعـد الإعـلام اليوم مجرد خبر ينقل، أو تسلية تبث أو غير ذلك، وإنما أصبح نشاطاً هادفاً، يسعى إلى إحداث تغيير وتحويل نحو أهداف ومبادئ وقيم يؤمن بها صاحب الرسالة ومرسلها؛ وأصبحت عملية توظيف وسائله لتحقيق أهداف المجتمع ومصالحه من المسلّمات، التي لا اختلاف حولها، وإن اختلفت الأهداف والغايات تبعاً لاختلاف المناهج والعقائد والرؤى.

أولاً: أهمية الإعلام وخطورته:

الإعلام سلاح ذو حدين، تُستعمل وسائله في الشر كما تستعمل في الخير، وطريقة استخدامها هي التي تُحدد لنا الحكم عليها، من حيث الإباحة أو التحريم[1].

فوسائل الإعلام ذات تأثير فعاّل ومهم وخطير، فهي تُؤثر في الجمهور، وتعمل على إقناعهم بالمادة المعروضة، وذلك بطريقتين رئيستين:

«أولاً: ... بما تبثه من برامج إقناعية: سياسية، وتجارية، وفكرية.

ثانياً: ... بطريقة غير مقصودة أو غير مباشرة بما تبثه من أخبار شبه محايدة أو معلومات ومعارف، وهذا التأثير أكثر خطورة؛ لأنها تجعل الناس يصدقون بعض الأساطير بصفتها حقائق»[2].

---

(١) انظر مثلاً: عبد الله ناصح علوان، حكم الإسلام في وسائل الإعلام، ط٣ (دار السلام للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ) ص٥.

(٢) سعيد إسماعيل صيني، أثر الإعلام في الحوار بين الحضارات، ضمن بحوث مؤتمر مكة المكرمة الخامس حول الحوار الحضاري والثقافي، ١٤٢٥هـ، ص٥٢٣.

لذلك يرى كثير من المربين وعلماء النفس أن تأثير التربية المدرسية على الأطفال بدأ يأخذ في الانحسار يوماً بعد يوم أمام التربية الموازية، التي يتلقاها الطفل عن طريق وسائل الإعلام، التي يزداد تأثيرها يوماً بعد يوم(١).

وعلى الرغم من ذلك، يرتبط الإعلام والتربية بعلاقة وطيدة، على أكثر من مستوى، ذلك أن التربية «عملية توجيه الأفراد نحو النمو بشكل يتمشى والخط، الذي ارتضته الأمة لنفسها، والإعلام أيضاً عملية توجيه الأفراد بتزويدهم بالمعلومات والأخبار والحقائق لمساعدتهم على تكوين رأي صائب، في واقعة محددة، أو مشكلة معينة، وهذا يعني أن بين التربية والإعلام وشائج قوية، وأرضاً مشتركة، فالتربية في جوهرها عملية اتصال، والإعلام بجوهره ومظهره عملية اتصال»(٢).

لذلك، لابد أن ينشأ بين الإعلام والتربية نوع من التقارب والتجانس والتفاعل «لا أن يعيش كل منهما في عزلة عن الآخر، ويكيل التهم للآخر ويهدم ما بناه»(٣).

ووسائل الإعلام، في «تعددها وتنوعها، وما تقدمه للإنسان في شتى مجالات الحياة، مختلطاً فيه الغث بالسمين، وملتبساً فيه الحق بالباطل، وممزوجة

---

(١) مروان كجك، الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفاز، ط٢ (الرياض: دار طيبة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ص٢٠٩.

(٢) حمود عبد العزيز البدر، الحاجة إلى تنسيق وتكامل إعلامي تربوي بين دول الخليج، بحث مقدم للاجتماع المشترك بين التربويين والإعلاميين (الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، شوال١٤٠٩هـ/مايو ١٩٨٩م) ص٢.

(٣) محمد منير سعد الدين، دراسات في التربية الإعلامية، ط١ (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م) ص٢٢.

فيه الحقيقة بالخيال، من أخطر الوسائل في صياغة فكر الإنسان، وتغيير تصوراته واتجاهاته الفكرية والسلوكية»[1].

ويزداد الأمر تعقيداً حين يصبح معظم الناس اليوم «عالة على وسائل الإعلام في إشباع احتياجاتهم العديدة، ومنها: الحاجة إلى التعرف على البيئة المحلية والعالمية، والحاجة إلى التوجيه، والحاجة إلى التعليم للقيام بدورهم في البيئة المحيطة بهم»[2].

وعلى الرغم من ذلك كله، إلا أنه من المؤسف جدًا أن تصبح كثير من المؤسسات الإعلامية في البلاد الإسلامية، عالة على إنتاج مؤسسات الإعلام في العالم الغربي، وأن تعتمد على محاكاة وتقليد البرامج الأجنبية، التي يتململ منها عقلاء أهلها، حذو النعل بالنعل، مما ينتج عنه إصابتنا بعدوى الأمراض الاجتماعية والأخلاقية السائدة في مجتمعات الحضارة الغربية[3].

ففي ظل «انبهار العالم الإسلامي بالحضارة الغربية ووسائل التقنية المتقدمة، التي مكنت لنظريات ومفاهيم الإعلام الغربي من الانتشار؛ ولعدم وجود بدائل تضاهيها قوة وعمقاً، تربت كثرة من رجال الإعلام المسلمين على مفاهيم ونظريات الإعلام الغربي، فقامت صناعة الإعلام العربي الإسلامي على نفس الأسس والمبادئ والقيم، التي قامت عليها تلك الصناعة في بلاد الغرب،

---

(١) أحمد بن عبد الرحمن الصويان، نحو منهج شرعي في تلقي الأخبار وروايتها، ط٢ (الرياض: دار النشر الدولي، ١٤١٤هـ) ص١٤.

(٢) سعيد إسماعيل صيني، أثر الإعلام في الحوار بين الحضارات، ص٥٢٤.

(٣) مروان كجك، الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفاز، ص٢٤٨.

وبرز جيل من قيادات العمل الإعلامي في العالم العربي والإسلامي مشبعاً حتى الثمالة بالأفكار والثقافة الغربية، ونشأت أفكار التغريب مغلفة بدعوات التحديث والتحضر، فكانت المحنة في الإعلام وما تحمله وسائل الاتصال بشتى تقنياتها في العالم الإسلامي»[1].

ثانياً: دور الإعلام في تحقيق التفاعل الحضاري:

يمكن النظر إلى وسائل الإعلام، من خلال تأثيرها في الجماهير، باعتبارها وسائط تربوية «ذات أثر فعال في تكوين اتجاهات الرأي العام، فعن طريقها تنتشر شتى المعارف والمفاهيم والمعاني لكثير من مجالات العلم والمعرفة المتصلة بجوانب الحياة من خلال وسائل مشوقة ومحببة للجمهور»[2].

فلولا الإعلام «لما وصلت الحضارات البشرية إلى ما وصلت إليه من الرقي، فأهمية الإعلام تكمن في أنه يعتبر أداة رئيسية لنقل الثقافات إلى مختلف قطاعات المجتمع... فالأمي مثلاً يستطيع أن يتابع وسائل الإعلام، وخاصة المسموعة منها، والمرئية، ويجد فيها بغيته، في حين يعجز عن متابعة أحداث العالم في حالة غياب تلك الوسائل الإعلامية، فهي تهبه القدرة على إدراك مواقف جديدة، وأساليب معيشية مختلفة عن الأساليب، التي يمارسها بالفعل»[3].

---

(١) محمود محمد سفر، الإعلام موقف، ط١ (جدة: الكتاب العربي السعودي، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ص ٤٦.

(٢) منير مرسي سرحان، في اجتماعيات التربية، ص ٢٣٢.

(٣) محمود فريد محمود، وسائل الإعلام السعودية والعالمية: النشأة والتطور، ط١ (جدة: دار الشروق، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ص١٧.

وبـذلك، أصـبح الإعـلام سـلاحاً خطـيراً في حلبـات الصـراع الـدولي، ولاسيما بعد أن توفرت له وسائل متطورة، منحته القدرة على الوصول إلى أيٍّ كـان بسـهولة وبسـاطة.. فحظيَ باهتمـام كبـير مـن جانـب الـدول والمجتمعات والهيئات في عالمنا المعاصر، وأصبحت الرسالة الإعلامية تحمل فكر مرسلها، وتعمل في كافة مجالات النشاط الإنساني، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، فكان الإعلام بذلك قوة تتنافس على السيطرة عليها قوى الخير وقوى الشر.. إلا أن قوى الشر نجحـت في السيطـرة على وسائل الإعلام المختلفـة بطريقـة مباشرة أو غير مباشرة، مما أتاح «لهذه القوى الشريرة نشر باطلها، وانحرافاتها، على جميع المستويات والطبقات»[1]، وأصبحت المجتمعات الإسلامية «تعاني من التسلط البشري في الصحـافة وسائر وسائل الإعلام ووكالات الأنباء، وتُعاني في البيت، وفي الشارع، وفي أمور كثيرة»[2].

وكـان مـن نتائج سيطرة الغرب على وسائل الاتصال أن نشطت تلك الوسائل في الترويج لنمط العيش الغربي «بما فيه من ثقافة، وممارسات دينية، لا تخلو منها المصطلحات، والأمثال، والسلوكيات، حتى أفلام الصور المتحركة (الكرتون) الموَجَّهة للأطفـال تُصبـغ بـهذه الصبغة، التي تُشعر المتـابع أحياناً أنـها مقـصـودة متعمّـدة، وتَعمِـد إلى تـأليف المشـاهدين والمستمعين والقرّاء

(١) عدنان حسن باحارث، مسئولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة المراهقة، ط٩ (جدة: دار المجتمع، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) ص٤٨١.

(٢) علي بن إبراهيم النملة، التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، ص١٠١.

على الثقافة الغربية، التي لم تستطع التخلص من التأثير الديني عليها في معظم سلوكياتها، ومُثلها ومبادئها، بل ربما لا تريد التخلص من هذا التأثير الديني، وتسعى إلى تعميقه وترسيخه ما دام سيحقق تبعية ثقافية تقود إلى تبعيات أخرى»[1].

وقد نجحت الولايات المتحدة والغرب بتطوير ما يعرف باسم «صناعة المعرفة والإعلام»، التي مكنتهم من فرض مزيد من السيطرة على العالم، فهم الذين يؤثرون على الرأي العام، في الوقت، الذي أصبح غيرهم عالة على مؤسساتهم الإعلامية، ذلك أن نسبة كبيرة جداً من «الأخبار والمعلومات، التي يتم تداولها في العالم بشكل أو بآخر، يرد من الولايات المتحدة»[2]، وهذا ما يؤكد، من وجه آخر، عظم الدور، الذي تضطلع به وسائل الإعلام بشكل عام والإعلام الغربي بشكل خاص في تحقيق التفاعل الحضاري.

إن وسائل الإعلام من إذاعة وصحافة وتلفزيون وسينما ومسرح، وإنترنت، وأقمار اصطناعية، وبث فضائي، وصحافة دولية، ومؤسسات نشر، كلها تساهم في التفاعل الحضاري، إيجابًا أو سلباً، فهي تستخدم في أغلب الأحيان لنشر الإلحاد والانحرافات السلوكية، والثقافة الغربية، وإن كانت

---

(١) علي بن إبراهيم النملة، التنصير، المصدر السابق، ص ١٠٢.

(٢) د. ر. ما نكيكان، تدفق المعلومات بين الدول المتقدمة والنامية، ترجمة فائق فهيم (الرياض: دار العلوم، ١٤٠١هـ/١٩٨٢م) ص٧٠.

مستخدمة لنشر الإسلام عالميًا، ولكن بشكل محدود جدًا، لا يكاد يقارن مع استعمالاتها الكبيرة في المجالات الأخرى. (1)

ولهذا فقد آن الأوان لاستغلال وسائل الإعلام في التعريف بالإسلام، وإظهاره في صورة مشرقة، ودعوة الناس إليه، ورد الاتهامات والطعون الموجهة ضده.

والخلاصة، أن الإعلام، بشكل عام، قد ساهم كثيراً في عملية التفاعل بين الأمم والحضارات، وزاحم المؤسسات التربوية التقليدية في توجيه النشء وخلق الاتجاهات والتأثير على المتربين بصورة مباشرة وغير مباشرة، إلا أن هذه المساهمة تنصب على الجانب السلبي والتي لا تقدم للتربية الصالحة شيئاً يذكر، وهذا بدوره يؤكد لنا عظم المسؤولية الملقاة على عاتق المصلحين والمربين والتي تتمثل في أن يقوموا بواجبهم تجاه وسائل الإعلام، وذلك بتوجيه الإعلام نحو الوجهة الصحيحة.

---

(١) لمزيد من التعرف على دور الإعلام في تحقيق التفاعل الحضاري، انظر: صالح بن إبراهيم الصنيع، الصحة النفسية من منظور إسلامي بين علماء الإسلام وعلماء النفس، ط١ (المنصورة/مصر: دار الهدى النبوي، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ص٤٠٦؛ مروان كجك، الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفاز، ص٢٣١؛ محمد منير سعد الدين، دراسات في التربية الإعلامية، ص٦٤.

الدعوة

أولاً: الدعوة لغة واصطلاحاً:

الدعوة لغة: مأخوذة من الدعاء، وهو النداء، «الدَّالُ وَالْعَيْنُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَنْ تُمِيلَ الشَّيْءَ إِلَيْكَ بِصَوْتٍ وَكَلامٍ يَكُونُ مِنْكَ، تَقُولُ: دَعَوْتُ أَدْعُو دُعَاءً»[1]؛ و«دعا بالشيء دعواً، ودعوةً، ودعاءً، يقال: دعا بالكتاب والشيء إلى كذا: احتاج إليه، ويقال: دعت ثيابه: أخلقت، ودعا على فلان: طلب له الشر، وإلى الشيء: حثه على قصده، يقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين، وإلى المذهب»[2]؛ و«النبي داعية الله، وهم دعاة الحق، ودعاة الباطل، ودعاة الضلالة»[3].

أما فيما يخص الدعوة إلى الله تعالى فإنها تطلق على مقصدين[4]:

الأول: تطلق على الإسلام كله، قال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة ، ٢/٢٧٩.

(٢) إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، ١/٢٨٦.

(٣) الزمخشري، محمود بن عمر الخوارزمي، أساس البلاغة (دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)١/١٨٩.

(٤) عدنان بن محمد العرعور، منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، ط١ (جائزة نايف بن عبد العزيز العالمية للسيرة والدراسات الإسلامية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ص٥٧.

وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ (الرعد:١٤)، فيقال دعوة الإيمان، ودعوة الإسلام، ودعوة الأنبياء، وهكذا..، ومن هذا المعنى ما ورد في دعاء الأذان: «**اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ**» (البخاري)، أي دعوة التوحيد، ودعوة الإيمان.

الثاني: تطلق على كل عمل يدعى فيه إلى الله: كالتدريس، والخطابة، والوعظ، والمحاضرات والمؤتمرات، والمناظرات، والدفاع عن الإسلام، والرد على خصومه، والجهاد وكل ما من شأنه إعلاء كلمة الإسلام.

والدعوة إلى الله تكون بمعنى: نداء الناس لفعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ...﴾ (البقرة:٢٢١)، وقال سبحانه إخباراً عن مؤمن آل فرعون: ﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ (غافر:٤١).

والدعوة إلى الله هي: «الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا به، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه»[1]؛ فهي: «تبليغ الناس جميعاً

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، الفتاوى الكبرى، د.ط. (بيروت: دار المعرفة، د.ت.) ١٥٨/١٥.

دعوة الإسلام، وهدايتهم إليها قولاً وعملاً في كل زمان ومكان، بأساليب ووسائل خاصة، تتناسب مع المدعوين على مختلف أصنافهم، وعصورهم»[1].

فالدعوة الإسلامية هي: «تعريف شامل، وتربية بالإسلام وتعاليم هذا الدين الحنيف؛ لانتشال الأفراد من السعي وراء الدنيا وشهوتها، ومن الانحلال الخلقي، والتقاتل البغيض، والحروب المدمرة.. إلى جنة الخلد، ورضوان الله سبحانه وتعالى»[2].

ثانياً: أهمية الدعوة وحاجة الناس إليها:

الدعوة إلى الله هي مهمة الرسل وأتباعهم، فقد أوجب الله عليهم ذلك، بل ابتعثهم من أجله، وكلفهم تبليغ دينه إلى الناس، وهي من أهم الواجبات المنوطة بهم بعد الإيمان به، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (النحل:٣٦)، وقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ (آل عمران: ١١٠).

---

(١) محمد أمين حسن، خصائص الدعوة الإسلامية، ط١ (الأردن: مكتبة المنار، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

(٢) خالد عبد الكريم الخياط، الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر، ط١ (جدة: دار المجتمع، ١٤١٢هـ/١٩٩١م) ص٧٩.

وقد مدح الله سبحانه المبلّغين عنه، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾ (الأحزاب:٣٩).

ومقام الدعوة في الإسلام مقام عظيم، بل هي «أساس من أسس انتشاره، وركن من أركان قيامه، فلولا الدعوة إلى الله لما قام دين، ولا انتشر إسلام، ولولاها لما اهتدى عبد، ولما عَبَدَ الله عابد.. ولما دعا الله داع... وبالدعوة إلى الله تعالى: تتحسن أخلاق الناس، وتقل خلافاتهم، وتزول أحقادهم وضغائنهم، ويقلّ أذى بعضهم لبعض»[1].

والناس، على مختلف أجناسهم «وألوانهم، وأزمانهم، وقوتهم، وضعفهم، بحاجة ماسة إلى الدعوة الإسلامية، وبحاجة إلى دين الله القويم»[2]؛ وقد أكد ابن القيم، رحمه الله، أن: «حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيء، ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب إليها، ألا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب... وأما الشريعة فمبناها على تعريف مواقع رضا الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية... فليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول، والقيام به، والدعوة إليه، والصبر عليه، وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه، وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة...»[3] .

(١) عدنان بن محمد العرعور، منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، ص٥٨.
(٢) حمد بن ناصر العمار، أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله، ط١ (الدمام: دار ابن القيم للنشر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) ص٣٤.
(٣) محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة، ٢/٢.

وهذا كله، يدل على أن الدعوة ضرورة من ضرورات الحياة، ولن يوجد المجتمع الصالح إلا حيث توجد هذه الدعوة، التي تُهذب النفوس، وتُخلصها من عوامل الشر والفساد.

ثالثاً: من أهداف الدعوة:

إن للدعوة الإسلامية أهدافاً سامية، وغايات عالية، من أهمها:

١- تعريف العباد بخالقهم والهدف من إيجادهم:

ذكر الله في كتابه العزيز، أن الهدف من إيجاد الخليقة هو أن يعبدوه وحده، ولا يشركوا به شيئاً، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)، وهذا الهدف النبيل، لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال الدعوة إلى الله، ولهذا أُرسلت الرسل والأنبياء، عليهم الصلاة والسلام: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ (النحل:٣٦).

وبعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وقعت المسؤولية، على العلماء والدعاة، وهم مسؤولون أمام الله: هل أدوا الأمانة أم لم يؤدوها؟

٢- الخروج من عهدة التكليف:

المسلم مكلف ببيان الحق والصدع به، بالحكمة والموعظة الحسنة، سواء استجاب له الناس أو لم يستجيبوا له، ولا يَخرج من عُهدة هذا التكليف إلاّ بالقيام بالدعوة إلى الله على بصيرة، يقول الله تعالى لنبيه: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟

فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ (الشورى:٤٨)، ويقول: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ (النحل:٣٥)، ويقول: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ (المائدة:٩٢).

فإذا قام الداعية بالدعوة إلى الله على الوجه المطلوب، فإنه بذلك يخرج من عهدة التكليف، يقول الله تعالى في أصحاب السبت ونصح من نصحهم: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الأعراف:١٦٤).

٣- تعارف الشعوب وتوحيد الأمم، ونشر السلام بينهم:

إن من أعظم غايات الإسلام وأهدافه تحقيق التعارف بين: الشعوب المنتشرة على سطح المعمورة، وتقاربها، وتفاهمها، وتوحيدها تحت راية واحدة، راية توحيد الخالق؛ وقد سارعت أمم عظيمة لا تحصى، وخلائق لا تعد، من مشارق الأرض ومغاربها، على اختلاف أنواعها وتنوع أصولها، وبسبب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، سارعت إلى الدخول في الإسلام، تاركة الباطل، الذي عشعش في عقائدهم[1].

---

(١) المصدر السابق، عدنان بن محمد العرعور، منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، ص٦٩، ٧٣.

رابعاً: دور الدعوة في تحقيق التفاعل الحضاري:

الدعوة الإسلامية وسيلة مهمة للتفاعل الحضاري، ذلك أنها تعتبر أهم وسيلة لنشر الإسلام وحضارته وقيمه وتعاليمه إلى أصحاب الديانات الأخرى، وقد كانت الدعوة الإسلامية هي السبب، بعد الله تعالى، في دخول كثير من الأمم الأخرى دين الإسلام، بعدما رأو أن الإسلام دين حق، يوافق الفطرة ولا يخالف العقل السليم، وقد كان لدخول تلك الأمم المختلفة الأجناس والعادات في الإسلام دور عظيم في تفاعل حضارات تلك الشعوب واقتباس بعضها من بعض، والتأثير والتأثر فيما بينها.

وكانت الكتب، التي أرسلها النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء الانفتاح الأول على العالم خارج الجزيرة العربية، وقد «توجه خطاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، باعتبارهما أعظم ملوك ذلك العصر، كما توجه إلى النجاشي ملك الحبشة، وإلى الغساسنة بالشام، والمقوقس بمصر، وبهذا فقد توجهت الدعوة الإسلامية في مختلف الاتجاهات: فاتجهت إلى الجنوب، وعبرت اليمن، ثم إلى الحبشة في أفريقيا، وعبرت المحيط الهندي إلى بلاد الشرق الأقصى، واتجهت إلى الشمال حيث عبرت بلاد الشام، واتجهت شرقاً لتشرق على بلاد العراق، ثم إلى فارس وما وراءها، حتى وصلت الهند والصين، واتجهت غرباً؛ لتعبر البحر الأحمر، وبدخولها مصر أمكن لها أن تعبر الحدود إلى المغرب، وأن تتوغل في غرب أفريقيا، على طول شاطئ المحيط الأطلسي... وهكذا صار فرق الدعاة تصول وتجول في العالم، معبرة عن حيوية الدعوة الجديدة، التي تستهدف تحديد

العقيدة، كما تنشر النور في كل اتجاه، وتبني الحضارة الإسلامية لخير الإنسان»[1].

ومن جانب آخر كانت الدعوة الإسلامية حصناً حصيناً، ودرباً منيعاً للإسلام وأهله، من أن تتسرب إليهم الأفكار الهدامة والأخلاق المستهجنة، فما أن تظهر بدعة، أو زندقة، أو فلسفة ذات طابع إلحادي وعلماني، إلا ووُجد لها من الدعاة المخلصين من انبرى وتصدى لها، في فضح أباطيلها، وبيان زيفها، ورد شبهاتها، ودحض أفكارها، وبيان المذهب الصحيح، الذي كان عليه الصحابة وسلف هذه الأمة[2].

ولكي تحقق الدعوة الإسلامية غاياتها، ودورها في التفاعل الحضاري المنشود، ينبغي الاعتناء بكثير من الأمور المهمة، مثل:

١- إبلاغ الدعوة إلى الأقطار القاصية والدانية، وعدم إهمال دعوة الكفار إلى دين الله، يقول الرسول ﷺ: «**فَوَ اللَّهِ، لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»[3].

---

(١) عبد الصبور شاهين، التأثير العربي الإسلامي في الحضارة الأوروبية، ضمن بحوث مؤتمر مكة المكرمة الخامس حول الحوار الحضاري الثقافي، ١٤٢٥هـ، ص٨-١٠.

(٢) لمزيد من التفصيل انظر: محمد بن يوسف الصالحي، عقود الجمان في مناقب أبي حنيفة النعمان (الهند: المعارف الشرقية، ١٣٩٤هـ) ص١٧٤؛ عبد الرحمن السيوطي، صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، تحقيق علي سامي، ط١ (مصر: مطبعة السعادة، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م) ص١٥-٣٣

(٣) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٣٠٠٩؛ وانظر محمد خير يوسف، الدعوة الإسلامية مفهومها وحاجة المجتمعات إليها، ط٢ (الرياض: دار طويق، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ص١٣٤.

٢- استخدام الطرق والوسائل والأساليب المشروعة والممكنة، لنشر الإسلام في الأرجاء المعمورة، وقد تيسرت المواصلات والاتصالات في هذا العصر، مما يُحتم على الداعية أن يستغل تلك التقنية، ويستثمرها في صالح دعوته.

٣- الاهتمام باللغات الحية والتي ينطق بها كثير من الأمم؛ لأنها مفتاح أساس في إبلاغ هذا الدين إلى البشرية جميعاً، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (إبراهيم:٤)، ومعلوم أن الرسالات خُتمت برسالة سيد المرسلين وإمام المتقين محمد ﷺ، وأنه لا نبي بعده، فوجب أن يقوم الدعاة بهذا الواجب، فيُبين كل داعية دعوته بلسان القوم، الذين أراد دعوتهم.

٤- الاهتمام بالتربية والتزكية في الدعوة إلى الله، يقول الله تعالى في دعوة إبراهيم، عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (البقرة:١٢٩)، وفي معرض امتنان الله على عباده يقول تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٥١)، ويقول سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران:١٦٤)، ويقول سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى

ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة:٢)، ففي هذه الآيات قدّمَ سبحانه التزكية على التعليم في ثلاثة مواضع؛ لأن التزكية هي مقصود التعليم، وأما في الموضع الأول في سورة البقرة، فلم يقدمها؛ لأن ذلك حكاية قول إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام.

وهذا يؤكد أن الدعوة إلى الله والتربية الإسلامية «حلقتان لا تنفصلان عن بعضهما البعض، فالتربية الإسلامية تمثل وسيلة الدعوة في الإيمان، والعبادة بجميع أنواعها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي الأخلاق الإسلامية، والسلوك والمعاملات الإنسانية، لذا ينبغي ربط المفاهيم التربوية بالدعوة إلى الله، وعدم الفصل بينهما، وأن ذلك جزء من الأمانة، التي يجب ذكرها وتوضيحها للناس، وهذا يقتضي من كل مرب أن يعرض علومه على قواعد الشرع - وأن لا ينبهر وينخدع بالغرب وأساليبه- فما وافق منها الشارع استفاد منه وطوره بما يلائم بيئته، وما خالف ذلك بيّن عواره وفساده»[1].

---

(١) خالد عبد الكريم الخياط، الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر، ص١١٦-١١٧.

الضوابط الشرعية
للتفاعل الحضاري

تتعدد الضوابط الشرعية للتفاعل الحضاري، إلا أن من أهمها: تحقيق المصلحة الشرعية؛ واقتباس الصالح النافع وتجنب الفاسد الضار؛ وعدم مصادمة النقل الصحيح؛ واعتبار التفاعل وسيلة لغاية؛ وحصر مجال التفاعل في الظنيات والمتغيرات، والاعتزاز بالإسلام.

وسوف أعرض لضابطين فقط:

الأول: اقتباس الصالح النافع وتجنب الفاسد الضار، مع تقديم بعض النماذج حول توظيف المصلحة الملغاة في اقتباس الفاسد.

الثاني: عدم مصادمة النقل الصحيح، وما يتصل به من ضابط التسليم لله ورسوله، وضابط تقديم الشرع على العقل.

اقتباس الصالح النافع وتجنب الفاسد الضار

أولاً: مفهوم اقتباس الصالح وتجنب الفاسد:

النَّفْعُ: ضِدُ الضَّرِّ، نَفَعَهُ يَنْفَعُهُ نَفْعًا وَمَنْفَعَةً: أفاده وأوصل إليه خيرًا، فهو نافع ونفاع؛ وَفُلانٌ يَنْتَفِعُ بِكَذَا وَكَذَا، وَنَفَعْتُ فُلانًا بِكَذَا فَانْتَفَعَ بِهِ، وَرَجُلٌ نَفُوعٌ وَنَفَّاعٌ: كَثِيرُ النَّفْعِ، وَقِيلَ: يَنْفَعُ النَّاسَ وَلا يَضُرُّ؛ وَالنَّفِيعَةُ وَالنُّفَاعَةُ وَالْمَنْفَعَةُ: اسْمُ مَا انْتُفِعَ بِهِ؛ والنَّفْعُ: الخير وما يتوصل به الإنسان إلى مطلوبه، وَيُقَالُ: مَا عِنْدَهُمْ نَفِيعَةٌ أَيْ مَنْفَعَةٌ، وَاسْتَنْفَعَهُ: طَلَبَ نَفْعَهُ[1]؛ «فالنون والفاء والعين، كلمة تدل على خلاف الضر»[2].

والفاسد: من فسد الشيء فسودًا: كقعد قعودًا، فهو فاسد، والجمع فسدى، والاسم: الفساد. يقال: فسد اللحم، أو اللبن، أو نحوهما، فسادًا أنتن أو عطب، والفساد: التلف والعطب، والاضطراب والخلل، والجدب والقحط[3].

---

(١) ابن منظور لسان العرب، ٣٥٨/٨، إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، ٩٤٢/٢.

(٢) أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ٤٦٣/٥.

(٣) إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، ٦٨٨/٢، أحمد الفيومي، المصباح المنير، ٤٧٢/٢.

والمقصود باقتباس النافع وتجنب الفاسد: الأخذ والاستفادة من كل ما فيه مصلحة دينية أو دنيوية شريطة ألاَّ يكون فيه ضرر ديني أو دنيوي.

ثانياً: ضوابط في اقتباس الصالح وتجنب الفاسد:

إن من لوازم تحقيق المصلحة الشرعية أن تكون عملية التفاعل والاقتباس من غير المسلمين، عملية انتقاء واختيار، اختيارًا للنافع الصالح، واجتنابًا للفاسد الضار، وبهذه الكيفية تتحقق عملية التطور والتقدم المنشود، دون السقوط في مهالك الردى، التي سقط فيها أولئك القوم.

وتدعو عملية التفاعل مع الثقافات الأخرى، واستثمار إيجابياتها النافعة، والبناء عليها في التواصل الحضاري «إلى العودة إلى أصول الإسلام في جوهره، دون أن تُرفض المكتسبات الثقافية النافعة، سواء كانت من منبع إسلامي أم لا»[1].

وليس في التربية الإسلامية ما يُقلل من شأن الأخذ بأسباب القوة والتقدم، بل جاء فيها الأمر بإعداد القوة، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ (الأنفال:٦٠)، ليشمل -دون شك- إعداد القوة العسكرية، والاقتصادية، والصناعية، والعمرانية، وفي الحديث الصحيح: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَلا تَعْجَزْ**»[2].. وهو دليل على

(١) عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، السلفية وقضايا العصر، ص١٠٧.

(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٦٧١٦.

مشروعية الأخذ بأسباب الحضارة النافعة. غير أن الأخذ بالأسباب المشروعة في ظل التقدم العلمي الهائل في وسائل الاتصال والمعلومات، يحتاج إلى عملية فرز الغث من السمين، والحلال من الحرام، وإلا اختلط الحابل بالنابل وضاع الحق في بحيرات الباطل.

والتربية الإسلامية الواعية والناضجة، التي تقوم على النقد والتمحيص والانتقاء، هي طريق الخلاص من بعض النظريات في العلوم الإنسانية أو العلوم الطبيعية، غير المتوافقة مع خصوصيتنا الثقافية والحضارية.

ويعتبر «الانفتاح على التجارب الإنسانية والانتفاع بإيجابياتها، والأخذ بأقوم النظم والمناهج، التي ثبتت صلاحيتها، وسلامتها، ومنافعها، من الوسائل المساعدة على إنجاز الأعمال الكبيرة، التي تفيد الأمة والإنسانية نفعًا عظيمًا. فالعالم تضيق جوانبه باستمرار، والتجربة الإنسانية حق مشاع لكل البشر، والحضارة الإنسانية إنما هي جماع إبداع الشعوب والأمم وخلاصة عطاءاتها عبر الأزمان والأحقاب، ولذلك يتوجب على الأمة الإسلامية أن تفيد من العطاء الحضاري الإنساني، وأن تتفاعل معه، وأن تضيف إليه وتسهم فيه»[1].

ومما هو جدير بالذكر أن اقتباس الأشياء النافعة في الحضارات وتجنب الفاسد فيها، لا يكون دائمًا وأبدًا واضح المعالم لغير المتخصصين في الشريعة الإسلامية – من مفكرين وباحثين وغيرهم- وذلك لوجود تزاحم وتعارض بين

---

(١) عبد العزيز بن عثمان التويجري، الدور الحضاري للأمة المسلمة في عالم الغد، ط١ (قطر: مركز البحوث والدراسات، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ص٢٨٤.

المنافع المستَجلَبة والمفاسد المستَدفَعة، وهذا ما أوقع البعض في جعل بعض المصالح المتوهمة مصالح حقيقية، أو تصوير بعض المفاسد في ثوب المصلحة.

لهذا كله فإنه من المهم الإشارة إلى بعض القواعد، التي يمكن أن تضبط التعارض بين المصالح والمفاسد، مثل:

١- إذا اجتمعت المصالح وأمكن تحصيلها جميعاً حصلناها جميعاً، وإذا لم يمكن تحصيلها جميعاً، قُدِّم أكملها وأهمها وأشملها، يقول ابن القيم، رحمه الله: «إن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح بحسب الإمكان، وأن لا يُفَوَّت منها شيء، فإن أمكن تحصيلها كلها حصلت، وإن تزاحمت ولم يمكن تحصيل بعضها إلا بتفويت البعض، قُدِّم أكمَلُها وأهَمُّها وأشَدُّها طلباً للشارع»[1]، فتقدم المصلحة الضرورية على الحاجية، والحاجية على التحسينية، والدينية على الدنيوية، والعامة على الخاصة، والقطعية على الظنية، وهكذا...

٢- إذا اجتمعت المفاسد المحضة، «فإن أمكن درؤها جميعاً درأناها جميعاً، وإن لم يمكن درؤها جميعًا درأنا الأفسد فالأفسد، والأرذل فالأرذل»[2].

---

(١) محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة، ٢/١٩.

(٢) العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، د.ط. (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت) ١/ ١٠٨.

وهناك قواعد مهمة وضعها العلماء للترجيح بين المفاسد، من ذلك[1]:

أ- تقديم المفسدة المجمع عليها على المفسدة المختلف فيها.

ب- مراعاة أعظم المفسدتين ضررًا بارتكاب أخفهما.

ج- يتحمل الضرر الخاص بدفع الضرر العام.

٣- إذا اجتمعت المصالح والمفاسد، «فإن أمكن تحصيل المصالح ودرء المفاسد فعلناها.. وإن تعذر الدرء والتحصيل، فإن كانت المفسدة أعظم من المصلحة درأنا المفسدة ولا نبالي بفوات المصلحة، وإن كانت المصلحة أعظم من المفسدة حصلنا المصلحة مع التزام المفسدة»[2] وإذا تساوت المصلحة والمفسدة، قُدِّمت المفسدة على المصلحة؛ لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح[3].

ومما تقدم يتضح أهمية هذه القواعد عند النظر في التفاعل الحضاري، وأنه ينبغي للباحثين والمفكرين وكل من يخوض في هذا الباب أن يلتزم بالمنهج، الذي رسمه الإسلام، الذي يوازن بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وبين المصالح والمفاسد، هذا التوازن الذي يستند إلى عدم تفويت المصالح وعدم استجلاب المفاسد، وهذا هو الطريق العدل، الذي ينفتح على كل حضارات الدنيا، دون فقد الهوية الإسلامية والخصوصية الحضارية.

---

(١) محمد سعد اليوبي، مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، ط١ (الرياض: دار الهجرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م) ص٣٩٩.

(٢) العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ١/٨٣.

(٣) محمد اليوبي، مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة، ص: ٤٠٠.

ثالثاً: نماذج من توظيف المصلحة الملغاة في اقتباس الفاسد:

إن اقتباس الصالح النافع وتجنب الفاسد الضار لهو أمر مغروز في الطبائع «فلو خَيَّرت الصبي الصغير بين اللذيذ والألذ؛ لاختار الألذ، ولو خُيِّر بين الحسن والأحسن؛ لاختار الأحسن، ولو خُيِّر بين فلس ودرهم؛ لاختار الدرهم، ولو خُيِّر بين درهم ودينار؛ لاختار الدينار، ولا يُقَدِّم الصالح على الأصلح إلا جاهل بفضل الأصلح، أو شقي متجاهل لا ينظر إلى ما بين المرتبتين من التفاوت»[1].

ولم يخرج من هذه الفطرة إلا جاهل بفضل الأصلح، أو شقي متجاهل، ويستند هؤلاء في كثير من تصرفاتهم الخاطئة إلى المصلحة، ويدّعون أن قَصدهم اقتباس الصالح النافع وتجنب الفاسد، ويبررون تصرفاتهم تلك بأن ظروف الواقع وسنة التطور وضخامة الأحداث هي التي تجعل إعمال المصلحة دون قيود وضوابط، كما أنهم يقولون: إن المصالح الدنيوية لا تُعرف بالشرع، وإنما تُعرف بالضرورات والتجارب والعادات والظنون.

وقد كان هذا الصنف من الناس موجودًا، حتى قبل بروز الحضارة الغربية وهيمنتها على العالم، لكن العلماء تصدوا لأفكارهم، وبينوا عوارها، وكشفوا

---

(١) العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ٨٣/١.

زيفها، ودحضوا شبهاتهم، ولا أدل على ذلك من تقعيدهم للمصلحة الملغاة والتي عرّفوها بأنها: «ما شهد الشرع ببطلانها»[1].

وقد ظهرت بعض المفاسد في ثوب المصلحة، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١- كل ما يستند إليه دعاة التغريب من مبررات وتعليلات ينسبونها للمصالح، مع أنها تناقض أحكام الشريعة.

٢- الاستهانة بالفرائض والتكاليف بحجة رفع الحرج عن الناس[2].

٣- تجويز أخذ الربا لتلبية حاجات كمالية أو ترفيهية، أو حتى حاجية لم تبلغ درجة الضرورة القصوى[3].

٤- اقتراح أحد المفكرين في ملتقى إسلامي، أن تُحَوَّل صلاة الجمعة إلى يوم الأحد في المجتمعات الغربية، تحقيقاً لمصلحة الجاليات المسلمة، حيث تتمكن من حضورها خلافاً ليوم الجمعة[4].

---

(١) محمد بن عمر الرازي، المحصول في علم الأصول، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، ط١ (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٠هـ) ٦/٢١٩؛ وانظر: إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الفقه، تحقيق: عبد الله دراز، د.ط. (بيروت: دار المعرفة، د.ت.) ٢/٤٨.

(٢) انظر: نور الدين مختار الخادمي، المصلحة الملغاة في الشرع الإسلامي وتطبيقاتها المعاصرة، ط١ (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ص٣٩.

(٣) نور الدين مختار الخادمي، الاجتهاد المقاصدي حجيته وضوابطه ومجالاته، ط١ (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ص٢٣٠.

(٤) يوسف القرضاوي، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، ص١٦٢.

٥- اقتراح أحدهم أداء الصلوات الجماعية على الكراسي، كما يفعل النصارى في الكنائس لضمان الخشوع والتأمل، وتكميل مظاهر الوحدة والسكينة..[1].

٦- التقليد في ارتداء اللباس، وفي الشكل والمظهر العام باسم الموضة والزينة.

والخلاصة، أن اقتباس الصالح وتجنب الفاسد أثناء التفاعل مع الحضارات الأخرى، يعتبر ضابطاً مهماً، يحفظ للمسلمين خصوصيتهم الثقافية والحضارية، ويحميهم من الذوبان والانصهار، ويُحقق لهم الاستفادة من التكنولوجيا والتقنية المعاصرة.

---

(١) نور الدين مختار الخادمي، الاجتهاد المقاصدي، ص٢٠٤.

عدم مصادمة النقل الصحيح

أولاً: التسليم لله ورسوله ﷺ:

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما مصدرا التربية الإسلامية، فمنهما تستمد التربية أهدافها، وسماتها، وأصولها، وموضوعاتها، وكافة قضاياها في معالجة مجالات الحياة المختلفة. يقول أبو عزّاد: «فلابد للتربية من مصادر معينة تُستقى منها ، وركائز ثابتة تُعتَمد عليها في بنائها، وانطلاقاً من كون التربية الإسلامية نابعةً في الأصل من الدين الإسلامي الحنيف؛ فإن مصادرها الأساسية هي نفس مصادر هذا الدين العظيم، الذي ارتضاه الله تعالى للعالمين»[1].

ولا يمكن لأي تربية «أن تنطلق وتنبثق من فراغ، وإنما تنبجس وتتوجه من خلال مصادر مرجعية تستمد منها أهدافها، وأفكارها، ومعتقداتها، والأصول المرجعية للتربية الإسلامية هي: القرآن الكريم والسنة النبوية، وسيرة الصحابة ومنهجهم التربوي، وكذلك جهود علماء المسلمين»[2].

---

(١) صالح بن علي أبو عزاد، التربية الإسلامية علمٌ ثنائي المصدر، د.ط. (١٤٢٨هـ) ص١.

(٢) خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، ص ٢١٧.

فالقرآن الكريم يعتبر أول «وأهم مصدرٍ من مصادر بناء الإنسان المسلم، لأنه نُزل لهداية البشرية إلى ما فيه صلاح دنياهم وأُخراهم»[1]؛ والسنة المطهرة، المصدر الثاني، لأنها هي المفسرة والموضحة لما جاء في القرآن العزيز، ولها فائدتين عظيمتين في المجال التربوي[2]:

الأولى: إيضاح المنهج التربوي الإسلامي المتكامل الوارد في القرآن الكريم؛ وبيان التفاصيل، التي لم ترد في القرآن الكريم .

والثانية: استنباط أسلوب تربوي من حياة الرسول ﷺ مع أصحابه، ومعاملته الأولاد، وغرسه الإيمان في النفوس.

وليس القرآن الكريم والسنة النبوية مجرد مصدرين من المصادر فحسب، بل هما المصدران والمقياسان لكل تفكيرٍ يُراد وصفه بأنه إسلامي، مثلما أنهما المصدران والمقياسان لكل تشريعٍ واستنباطٍ فقهي، وذلك بالإضافة إلى كونهما المنبع الأساسي لكل وجهة نظرٍ إسلامية[3].

والتربية المستمدة من الكتاب والسنة، فيها جميع الحلول للمشاكل العلمية والعملية، عقدية كانت أو سلوكية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية،

---

(١) أبو العينين، علي خليل مصطفى، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، ط٣ (المدينة المنورة: مكتبة إبراهيم حلبي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ص ٢٢.

(٢) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ط٢ (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٣هـ) ص ٢٥.

(٣) عبد القادر هاشم رمزي، النظرية الإسلامية في فلسفة الدراسات الاجتماعية التربوية (الدوحة: دار الثقافة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ص٣٩.

وإن الإعراض عن الاقتباس منها والاسترشاد بها، ما هو إلا مظهر من مظاهر الغزو الثقافي الزاحف من حضارات وديانات أخرى، قد أفسدت علينا منهجنا التربوي الأصيل.

لذلك، فإن التربية: «وهي تضطلع بمهمتها في تخريج أجيال مسلمة ذات هُوية إسلامية في كافة مجالات العلم، لَيَنْبغي عليها التَّنَبُّه إلى أمر مهم، وهو الحَذَر من الانْفِصام بين ثقافة المسْلم وبين أصوله الدينية، وما هذا إلا تقليد أعْمَى، فمن خلال المدرسة والجامعة والمنهج، ومن خلال التربية والتوجيه الإعلامي والفكري تمكّن الغرب من فَرْض رؤيته العلمانية، وأحياناً المادية على مساحات واسعة من علوم المسلمين، وآدابهم، وفُنونهم، وأنشطتهم التربوية، وتَحقق لهم - بعد جهد لم يُكَلَّل بالنجاح الكامل - الفصام بين العلوم بعامة وبين إطارها الإيماني»[1].

لهذا كله، لابد من توجيه التربية توجيهاً إسلامياً، وغربلة وتهذيب نتاج العلوم التربوية المعاصرة، الذي يعتبر بعضه خليطاً من أفكار غربية وشرقية غير متجانسة مع التربية في ضوء الكتاب والسنة.

والمسلم حين يتصدر لتقرير أمر ما، عليه أن يُسَلِّم الحكم لله ولرسوله، فلا يَتقدم على أقوال الكتاب والسنة بقول أو فعل يخالفهما؛ لأن ذلك يناقض

---

(١) عماد الدين خليل، مؤشرات حول الحضارة الإسلامية، د.ط (القاهرة: دار الصحوة للنشر والتوزيع، د. ت) ص٣٤

الإيمان: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء:٦٥).

لقد حدد الإسلام مصدر التلقي بالكتاب والسنة، وحذَّر من كل طريق ومنهج من شأنه إضعاف صلة الناس بهذا المصدر: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام:١٥٣)، ولم يعط أحداً الخيار في أخذ مصدر التلقي أو تركه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب:٣٦).

ومما سبق، يتبين أن التفاعل الحضاري يجب أن ينطلق من قاعدة: عدم مصادمة النقل الصحيح؛ لأنه بذلك يكون موافقاً للشرع غير مصادم له، فالكتاب وصحيح السنة فيهما «تبيان كل شيء يحتاج إليه الخلق في تكاليفهم، التي أُمروا بها، وتعبداتهم، التي طوقوها في أعناقهم، ولم يمت رسول الله ﷺ حتى كَمُلَ الدين بشهادة الله تعالى... فلا يقال قد وجدنا من النوازل والوقائع المتجددة ما لم يكن في الكتاب ولا في السنة نص عليه ولا عموم ينتظمه»[1] وبيان ذلك كما يقوله شيخ الإسلام: «أن الله بعث محمداً بجوامع

(١) إبراهيم بن موسى الشاطبي، الاعتصام، د.ط (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، د.ت) ٢/٣٠٥.

الكلم، فيتكلم بالكلمة الجامعة العامة، التي هي قضية كلية وقاعدة عامة، تتناول أنواعاً كثيرة، وتلك الأنواع تتناول أعياناً لا تحصى، فبهذا الوجه تكون النصوص محيطة بأحكام أفعال العباد»[1].

أما إذا انطلق التفاعل الحضاري من غير الوحيين، الكتاب والسنة، فيكون بلا شك مخالفاً لدين الله، ومغايراً لأحكامه، ومبدلاً لشرعه، ولا يُقبل مثل هذا النوع من التفاعل الحضاري من أحد، كائناً من كان، وسواء كانت هناك مبررات أو لم تكن.

فعن معاذ بن جبل، رضي الله عنه، أنه لما قَدِمَ مِنَ الشَّامِ سَجَدَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا هَذَا؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدِمْتُ الشَّامَ فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِبَطَارِقَتِهِمْ وَأَسَاقِفَتِهِمْ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ، قَالَ: «**فَلا تَفْعَلْ، فَإِنِّي لَوْ أَمَرْتُ شَيْئًا أَنْ يَسْجُدَ لِشَيْءٍ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**»[2].

وعن السيدة عائشة، رضي الله عنها، قالت: «لَمَّا اشْتَكَى النَّبِيُّ ﷺ، ذَكَرَتْ بَعْضُ نِسَائِهِ كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا: مَارِيَةُ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَأُمُّ حَبِيبَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَتَتَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ، فَذَكَرَتَا مِنْ حُسْنِهَا

---

(١) أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٩/٢٨٠.

(٢) ابن حبان، محمد بن حبان البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) حديث رقم: ٤١٧١، ٤٧٩/٩.

وَتَصَاوِيرَ فِيهَا، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، ثُمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَةَ، أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ»[1].

فالتفاعل الحضاري لا يتم على الأهواء، ولا على الآراء بمعزل عن الشرع، وإنما له مصادر تحكمه، وضوابط تقيده، وإن أهم تلك المصادر: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ثانياً: تقديم الشرع على العقل:

من أصول عقيدتنا: أن نصوص الكتاب والسنة لا تخالف العقل الصريح الصحيح أبداً، ذلك أن ما صح وثبت من الشرع لا يمكن أن يوجد فيه خطأ، بخلاف عقول الناس وآرائهم، فهي معرضة للخطأ والهوى.

ومن هنا كانت عقيدة السلف عدم معارضة المسلم شيئاً من الكتاب ولا من السنة، لا بأقيسة عقلية، ولا بقول شيخ، أو كشف، أو ذوق ونحو ذلك، كما كان منهجهم عدم النظر فيما خالف الشرع أيًّا كان مصدره وقائله، يقول شيخ الإسلام: «لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأي وقياس، ولا بذوق، ووجد، ومكاشفة، وقال قط: قد تعارض هذا العقل والنقل، فضلاً عن أن يقول: فيجب تقديم العقل»[2].

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ١٣٤١؛ ومسلم، حديث رقم: ١١٨١.

(٢) أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٣/٢٩.

وكان من منهج السلف أيضاً الإيمان المطلق بما جاء عن الله ورسوله على مراد الله ورسوله، لا على مراد أهواء الناس، قال الشافعي: «آمنت بما جاء عن الله، على مراد الله، وبما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله ﷺ»[1]، وهذا الإيمان واجب، سواء عرفنا المعنى أو لم نعرفه، لأن عقول البشر قاصرة عن إدراك جميع المعاني والإحاطة بها.

والمسلم عليه الإيمان المطلق باستقامة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة «وأنه لا يمكن بحال أن تصطدم آية قرآنية، أو حديث صحيح مع سنة كونية، لأن مصدرهما من الله تعالى، وإذ وُجد تعارض فليس بين علم ودين، بل بين دين وجهل أخذ سمة العلم»[2].

ولقد مضت أربعة عشر قرناً على نزول القرآن الكريم، «نشأ فيها كثير من المعارف والأفكار، ورغم هذا لم تخالف آية من آياته حقيقة علمية ثابتة، وهذا من دلائل الإعجاز في هذا الكتاب العظيم»[3].

ومجانبة هذا الإيمان باستقامة القرآن والسنة، هو أصل فساد العالم وخرابه، إذ العقول تتباين وتتعارض في تقدير المصالح، فعقل مَنْ نأخذ إذاً؟[4].

---

(١) ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، ذم التأويل، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، ط١ (الكويت: دار السلفية، ١٤٠٦هـ) ١٤٤/١؛ الحكمي، حافظ بن أحمد حكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق عمر بن محمود، ط١ (الدمام: دار ابن القيم، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

(٢) عبد الكريم نوفان عبيدات، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وأثره في تعميق الإيمان، ص٥٩.

(٣) يوسف القرضاوي، الإسلام حضارة الغد، ص١٥٤.

(٤) انظر في ذلك: ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد (بيروت: دار الجيل، ١٩٧٣م) ٦٨/١؛ محمد اليوبي، مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة، ص٣٩٤.

وليس معنى هذا «عدم النظر إلى خبرات الناس وتجاربهم.. فالشريعة لم تهمل هذا، ولكن جعلت له مجالاً معيناً وهو:

١- عند فقد النص الشرعي.

٢- ويكون ذلك في حدود العاديات والمعاملات، لا في مجال العبادات؛ لأنها موقوفة على النص»[١].

فالإسلام لا يمنع الاستفادة من العقول والتجارب، ولكنه يشترط أن يكون العقل تابعاً للدين، وتحت سلطانه ومقاصده، فلا يمنع الإسلام «من الرجوع إلى المصادر الفردية، والاجتماعية، والعلمية، التي تذكرها عادةً كتب التربية الحديثة في معرض حديثها عن مصادر الأهداف التربوية والتي تتمثل عادةً في ما كشفت عنه الدراسات والأبحاث والملاحظات العلمية من حاجاتٍ جسمية، وعقلية، وروحية، ونفسية، واجتماعيةٍ للفرد»[٢].

والإسلام لا يقبل التلفيق والتوفيق بين التربية الإسلامية، التي مصدرها الكتاب والسنة وبين التربيات الأخرى المبنية على عقيدة وقناعات واضعيها، من المذاهب والتيارات المنحرفة، وكان من ثمار هذا التوفيق في القديم مزج مسائل الديانة بكلام اليونان، وفي العصر الحديث مزج مسائل الدين بالنظريات الغربية المعاصرة.

---

(١) محمد اليوبي، مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة ، ص٣٩٥.

(٢) عمر محمد التومي الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية (طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ١٣٩٥هـ/١٩٨٦م) ص٣٠٥.

والقرآن الكريم بيَّن أن التلفيق من صفات المنافقين وأفعالهم، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۝ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ (النساء: ٦١-٦٣).

إن الأمة المسلمة إذا حافظت على ثوابتها، وأصولها المرجعية «فلا ضير بعد ذلك من الحياة وفق أساليب العصر العلمية والتكنولوجية، بل إن المطلوب مزاحمة الأمم ومنافستها في مضمار السباق العلمي والإنتاج بأنواعه: الزراعي والصناعي، كما فعلت اليابان وألمانيا مثلاً، بالرغم من هزيمتهما في الحرب العالمية الثانية، ولكنهما احتفظتا بأصولهما الثقافية والحضارية، إذن ما المانع أن تمضي أمتنا قدماً في نفس الطريق مع المحافظة على الأصول العقدية المتلقاة عن السلف؟»[1].

والخلاصة، أنه ينبغي الحذر من الذوبان في بوتقة المناهج التربوية الغربية الدخيلة على عقيدتنا وديننا، والتمسك بالمنهج التربوي الإسلامي في ضوء الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح، إذ في ذلك الرقي والتقدم، والسعادة في الدنيا والآخرة.

---

(١) مصطفى حلمي، السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية، ط٢ (الإسكندرية: دار الدعوة، ١٤١١هـ/١٩٩١م) ص٤٠.

الضوابط التربوية
للتفاعل الحضاري

وكما تتعدد الضوابط الشرعية للتفاعل الحضاري، تتعدد كذلك ضوابطه التربوية، ومن أهمها: مراعاة الفروق بين الأمم؛ ترتيب الأولويات؛ احترام التخصص؛ استشراف المستقبل؛ مراعاة المصطلحات العلمية؛ وتوظيف العلوم المقتبسة في خدمة المجالات التربوية.

وسوف أتناول أربعة منها:

١- مراعاة الفروق بين الأمم، انطلاقاً من التعريف بالفروق الفردية والاجتماعية، وبيان أسبابها، والكشف عن الفروق الجوهرية بين الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات، ودور منهج التربية الإسلامية في مراعاة هذه الفروق، والضبط الاجتماعي لذلك كله.

٢- ترتيب الأولويات، تعريفها، وبيان أهميتها في منهج التربية الإسلامية، وأقسامها وأنواعها، ودورها في التفاعل الحضاري

٣- احترام التخصص، وبيان أهمية تفويض الاجتهاد في التفاعل الحضاري لذوي الاختصاص.

٤- استشراف المستقبل، وبيان الحاجة إليه، وحكمه، وعلاقته بقاعدة اعتبار المآل، وأهميته، والآثار المترتبة عليه.

مراعاة الفروق بين الأمم

أولاً: تعريف الفروق الفردية والاجتماعية:

يقصد بالفروق الفردية «تلك الخصائص والصفات والسمات، التي يتميز بها كل إنسان عن غيره من بني البشر؛ سواء كانت هذه الخصائص تتعلق بالنواحي الجسمية، أو العقلية، أو الاجتماعية، أو المزاجية، أو الأخلاقية»؛ وقيل: هي، من ناحية إحصائية: «الانحرافات الفردية عن المتوسط العام لصفة من الصفات»[1].

أما الفروق الاجتماعية فيمكن أن تُعرف بأنها: ما يتميز به مجتمع عن مجتمع آخر، في النواحي الدينية والفكرية، وفي الأعراف والعادات، وفي الأخلاق والقيم، وفي العواطف والمزاج، وفي التقدم والتطور.

ويتبين من هذه التعاريف ما يلي:

١ - أن البشر يتشابهون في كثير من الصفات، والسمات، ويختلفون في بعضها، ومن هذا البعض يأتي التمايز بين الأفراد والجماعات.

---

(١) رشاد صالح دمنهوري، وآخرون، المدخل إلى علم النفس العام، د.ط. (دار الأزهر، ١٤١٨هـ)ص٣٠٦؛ عبد الحميد الهاشمي، الفروق الفردية: دراسة تحليلية تطبيقية في مجال التربية والاجتماع، ط٢(بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م؛ وكذا طبعة، د.ط. (دمشق: دار التربية للتأليف والنشر، د.ت.) ص٧.

٢- أن الفروق الفردية ليست خاصة بالخصائص الجسمية من الطول والقصر، والنحافة والبدانة، وغير ذلك، بل هي أشمل من ذلك، حيث يدخل ويندرج تحتها: اختلاف النواحي العقلية، والاجتماعية، والأخلاقية، وغير ذلك.

٣- الفروق بين الناس ليست فروق نوعية، بل هي فروق كمية، أي فروق في الدرجة[١].

٤- الفروق ليست خاصة بالأفراد، وإنما تتناول أيضاً الجماعات والشعوب «فهناك فروق جماعية أو قومية، وذلك ما يتميز به شعب عن شعب، أو مجتمع عن مجتمع، فللعرب نفسيتهم العامة، التي تُميزهم عن نفسية الإنكليز مثلاً، أو نفسية اليابان أو الروس»[٢].

٥- أن حياة المجتمعات ليست من طبيعة واحدة، بل هي من طبائع مختلفة، ولكل منها طبيعة خاصة يمكن تحديدها في ضوء ما تؤدي إليه الدراسة العلمية التحليلية لمقومات المجتمع.

---

(١) انظر: رشاد صالح دمنهوري، وآخرون، المدخل إلى علم النفس العام، ص٣٠٦.

(٢) عبد الحميد الهاشمي، الفروق الفردية: دراسة تحليلية تطبيقية في مجال التربية والاجتماع، ص٩.

ثانياً: أسباب الفروق الفردية والاجتماعية:

للفروق الفردية والاجتماعية أسباب وعوامل عديدة، من أهمها:

١- الوراثة[١]:

وتعني: «انتقال عدة صفات أو استعدادات إلى الكائن الحي من أصوله القريبة أو البعيدة أو من الفصيلة، التي ينتمي إليها بصفة عامة، ولا تقتصر هذه الوراثة على الأمور المتعلقة بالتكوين الجسمي مثل شكل الوجه والطول والقصر ولون البشرة، بل تشتمل أموراً تتعلق بالناحية العقلية مثل: الذكاء والبله وقوة العزيمة والإرادة ومقومات الشخصية، وقد تشمل الوراثة كذلك أموراً تتعلق بالفضائل أو النقائص الخلقية مثل: الكرم والبخل، والشجاعة والجبن، والتقوى والورع، وحب الرذيلة والميل إلى الإثم»[٢].

وتؤكد مصادر التربية الإسلامية تأثير الوراثة في الفروق الفردية بين الناس، وهو ما أكدته أيضاً الأبحاث النفسية والتربوية، التي خلصت إلى أن «الصفات المكتسبة في الحياة الاجتماعية قابلة للانتقال بالوراثة، شأنها في ذلك شأن الصفات والقدرات الفطرية»[٣].

---

(١) لمزيد من معرفة المراد بالوراثة، انظر: عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية (تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م) ص١٥٣؛ رشاد صالح دمنهوري، وآخرون، المدخل إلى علم النفس العام، ص٣٣٤.

(٢) مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه (مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٥م) ص١٣٩.

(٣) مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، ص١٦٨.

ومن ثم فإن السلوك الفردي والاجتماعي يتشكل من الفطر الموروثة، التي انتقلت من الأصول إلى الفروع، وبسبب هذا تمضي المجتمعات والأفراد قدماً في طريق أجدادهم وأسلافهم، في المعتقدات والأفكار والأخلاق وغير ذلك.

٢- البيئة:

وتشير إلى «مجموعة العوامل الخارجية، التي تؤثر في الكائن البشري، منذ بداية تكوينه وهو جنين في بطن أمه إلى أن يُولد، ويَنمُو، ويترعرع، ويشتد عوده، وإلى آخر حياته»[١].

وهي: «بمثابة جميع المؤثرات، التي يتلقاها الفرد، منذ بدء حياته الرحمية حتى الممات»[٢].

وتؤكد مصادر التربية الإسلامية تأثير البيئة على الإنسان في النواحي الدينية، والعقلية، والأخلاقية، والاجتماعية، والنفسية، وغير ذلك.

وتتكون البيئة من مجموعة عوامل تعمل على التأثير، منفردة ومجتمعة، ومن ذلك ما يلي:

---

(١) عبد الحميد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص١٥٣؛ وانظر: رشاد صالح دمنهوري، وآخرون، المدخل إلى علم النفس العام، ص٣٢٤.

(٢) مختار حمزة، مبادئ علم النفس (جدة: دار المجمع العلمي، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ص١٥٥.

أ- **البيئة الجغرافية**، التي يعيش فيها الشخص [1]، وتلعب دوراً كبيراً في إبراز الفروق الاجتماعية من نواحي عديدة، ولها تأثير كبير على «الحياة الوجدانية وعواطفها وغرائزها، والميل إلى الإجرام والانتحار...»[2].

ب- **الأسرة**: وتأثيرها واضح في اختلاف الأشخاص، حيث يختلف الأشخاص بسبب الأسر، التي ترعرعوا فيها، فتختلف الديانات، التي يعتنقها الأفراد بسبب تأثير الأسرة وتربيتها على الفرد، يقول عليه الصلاة والسلام: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»[3].

ج- **المجتمع**: وله تأثير على الفرد، فالشخص الذي يعيش في البدو يختلف تماماً عن الشخص، الذي يعيش في الحضر، وبسبب تأثير المجتمع حرّم النبي ﷺ مساكنة المجتمع المشرك؛ حماية للفرد من التأثر به، فقال ﷺ: «**مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ، وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ**»[4].

د- **البيئة التعليمية**: مثل المدرسة والجامعة وغير ذلك، وتلعب هذه البيئة دوراً مهماً في تكوين وتطوير الفروق بين الأشخاص، والمجتمعات، والشعوب.

---

(١) انظر: حسين مؤنس، الحضارة، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، ط٢ (الكويت: ١٩٧٧م) ص٣١.

(٢) مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، ص ١٥٢.

(٣) أخرجه البخاري، حديث رقم:١٣٨٥؛ ومسلم، حديث رقم: ٦٦٩٧.

(٤) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٢٧٨٧؛ وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٧٨٧.

هـ- الرفقة: ولها تأثير على الفرد إما إيجاباً وذلك إذا كان الرفيق صالحاً، أو سلباً وذلك حين يكون الرفيق طالحاً، وقد مثّل النبي ﷺ ذلك بالجليس الصالح والجليس السوء فقال: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»[١]، وقال ﷺ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ»[٢].

٣- التراث الاجتماعي:

ويتضمن اللغة، والعادات والأعراف والتقاليد، والموروث الثقافي، ولهذا يختلف الأفراد والمجتمعات في اللغات، والأعراف والعادات، والقيم والأخلاق، والمعتقدات والأفكار، فالمجتمع الإسلامي ليس مثل غيره من المجتمعات الأخرى، وهكذا فإن أثر التراث في الفروق بين المجتمعات واضح، وهذا يحتّم على مسؤولي التربية والتعليم مراعاة ذلك وعدم إنكاره أو تجاهله.

ومن ثم، فإن اختلاف المجتمعات والبيئات وأساليب التربية «يعمل على تكوين فروق اجتماعية أو قومية بين الأفراد الإنسانيين، فالفرد الإنكليزي، والفرد الصيني، والفرنسي، والعربي، ليسوا سواء، بل بينهم فروق قومية، تلعب دورها البعيد في الاختلاف حول قيم الحياة، ووسائل العيش، وآداب السلوك»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٥٥٣٣؛ ومسلم، حديث رقم: ٦٦٣٥.

(٢) أخرجه الحاكم، المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: ٧٣١٩.

(٣) عبد الحميد الهاشمي، الفروق الفردية: دراسة تحليلية تطبيقية في مجال التربية والاجتماع، ص٤٦.

ثالثاً: الفروق الجوهرية بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى:

الاختلاف بين الأمم أمر ضروري، وفطرة بشرية، وحكمة إلهية، فالشعوب والأمم تختلف من نواحٍ عديدة: من ناحية الخِلقة والتكوين، ومن ناحية العادات والأعراف، ومن ناحية الدين والعقائد، ومن ناحية التمدن والتحضر، وغير ذلك من نواحي الاختلاف.

وانطلاقاً من هذا الاختلاف الطبيعي، فإنه توجد فروق جوهرية بين الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات مما يستدعي مراعاتها، حتى لا يحصل الذوبان وتغيب الخصوصية.. ومن أهم هذه الفروق:

١- الاختلاف في المقاصد والغايات:

إن مقاصد وأهداف الحضارة الإسلامية أسمى وأعظم من مقاصد وأهداف أي حضارة أخرى، ذلك أن مما تتميز به «الأولى عن الثانية، أن من أهم مقاصد الأولى: إعداد الإنسان الناجح في الحياة الدنيا والآخرة، بينما مقاصد الثانية: تنحصر في إعداد الإنسان الناجح في الحياة الدنيا فقط»[1].

٢- الاختلاف في الاعتقاد:

الاعتقاد فطرة، وذلك أن الإنسان مجبول على أن يعتقد، سواء كان اعتقاداً صحيحاً أو اعتقاداً باطلاً، «فطبيعة الإنسان مجبولة على الإيمان، فإذا لم تُقدم له أهداف صائبة سديدة، يُركز حولها إيمانه وحبه، تحول إلى عبادة أهداف خاطئة فاسدة»[2].

---

(١) مقداد يالجن، ويوسف القاضي، علم النفس التربوي في الإسلام، ط٢ (الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ص٢٣.

(٢) المصدر السابق، ص٢٤٨.

إلا أن مرتكز هذا الاعتقاد يختلف من ديانة إلى ديانة، كما أن «أشكال السلوك الديني تختلف اختلافاً كبيراً من مجتمع إلى مجتمع آخر، فهناك فروق لا تحصى فيما يتعلق بالمعتقدات والشعائر والجوانب الأخرى من الممارسة الدينية»[1].

٣- الاختلاف في القيم والأخلاق:

تأتي التربية الخُلقية في مقدمة أولويات التربية لدى الدول على اختلاف أديانها وثقافتها للحفاظ على هويتها، فالأخلاق جزء من هوية الأمة، وتقوم التربية في تلك الأمم وفق الضوابط والأسس، التي تُحددُها أديانها وثقافاتها، فبالأخلاق تبقى الأمم، وبعدمها تزول. ولا يمكن أن نتصور أمة من الأمم لا تعتني بالتربية الخلقية للنشء فيها، وإلا فإن معنى ذلك انهيار الأمة وزوالها[2].

ومع أهمية التربية الخلقية لدى الأمم جميعاً، إلا أن اهتمامهم ليس على مرتبة واحدة، وليس سعيهم إلى تحقيق أهداف واحدة، وإنما هناك اختلاف في الغايات والوسائل، فالإسلام يهدف من التربية الخُلقية إلى «تحقيق غاية كريمة للفرد مع الجماعة في هذه الحياة، وكذلك تحقيق رضوان الله سبحانه وتعالى والفوز بالنعيم والنجاة من الجحيم يوم القيامة»[3] بينما الهدف من

---

(١) عبد الله الخريجي، علم الاجتماع الديني، ط٢ (جدة: رامتان، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ص٣٩٠.

(٢) سليمان بن قاسم العيد، التربية الخلقية بين الإسلام والعولمة، د.ط. (١٤٢٥هـ) ص ٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٩.

التربية الخُلقية لدى الأمم الأخرى هو «إعداد المواطن الصالح... وفرق كبير بين الهدفين»[1].

والإسلام يرى أن كل مولود يولد على الفطرة، وبالتالي فهو قابل للاتصاف بالأخلاق الحميدة، بينما بعض التربيات غير الإسلامية تعتقد «أن الطفل يولد بضمير معين، مصحوب بغريزة صارمة، هي الخطيئة الأصلية، أي أن الطفل أو الإنسان مفطور على الفساد والانحلال، ولذلك لا فائدة من التربية الأخلاقية»[2].

كذلك هناك اختلاف واضح بين الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات في مصدر الأخلاق ومرجعيتها، حيث إن مصدر الأخلاق ومرجعيته في الإسلام مبني على الكتاب والسنة والأعراف الصحيحة، التي لا تخالف الكتاب والسنة، بينما الأخلاق عند الحضارة المعاصرة لا تعتمد على الدين، وإنما هي مبنية على سياسات الحكومات والدول، وعلى قرارات مجالس النواب، وعلى العادات والأعراف، ونتج عن هذا أن أصبح السلوك المنحرف -كالعلاقات الجنسية المحرمة، وغير ذلك- أمراً طبيعياً لدى الحضارة الغربية المعاصرة.

إن هذا الاختلاف بين الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات في المجال الأخلاقي يمثل تحدياً يواجه الأمة الإسلامية من خلال ما تتعرض له من غزو

---

(١) سليمان بن قاسم العيد، التربية الخلقية بين الإسلام والعولمة، ص٩.

(٢) ماجد عرسان الكيلاني، اتجاهات معاصرة في التربية الأخلاقية، ص١١-١٣.

أخلاقي؛ فقد انتشرت «مفاهيم تربوية خاطئة لمعنى الأخلاق عند الأفراد والجماعات، فالبعض يُدخل في الفضائل ما ليس منها... والبعض يُخرج من الأخلاق الإسلامية بعض خصالها بحجج ذوقية واهية، فأفرزت هذه المفاهيم الخاطئة سلوكيات لا تتوافق مع المنهج الإسلامي»[1].

٤- الاختلاف في النظام الاجتماعي:

لكل حضارة ومجتمع ثقافته، التي يتميز بها عن غيره، كما أن لكل مجتمع ظروفه، ومشكلاته، وتطلعاته، والتحديات التي تواجهه، وطريقته في المواجهة، وعاداته، وقيمه، ونمطه في العيش، وكل هذه الأمور تُعدّ من الخصوصيات الاجتماعية، التي ينفرد بها المجتمع عمّا سواه، وهذا ما يحقق التجانس والضبط الاجتماعيين.

ولقد تنبه لأهمية مراعاة الخصوصية الثقافية للمجتمع بعض مسؤولي التعليم في الغرب، والأمثلة أكثر من أن تُحصى[2].

إن الفروق الاجتماعية بين الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات واضحة، ذلك أن النظام الاجتماعي الإسلامي محكوم «بقوانين إلهية، وضوابط شرعية، جعلت منه كياناً سليماً نزيهاً يحقق الأمن والاستقرار والسعادة للفرد والأسرة والمجتمع»، بينما النظام الاجتماعي في الحضارات الأخرى تحكمه الآراء والأهواء، التي تتعارض مع الشرائع الإلهية[3].

---

(١) خالد بن حامد الحازمي، أصول الأخلاق الإسلامية، ص٧.

(٢) انظر سليمان بن قاسم العيد، التربية الخلقية بين الإسلام والعولمة، ص٢١.

(٣) المصدر السابق، ص١٧-١٨.

وهكذا يتضح أن النظم الاجتماعية الإسلامية تختلف بشكل جوهري عن النظم الاجتماعية الوضعية في أن مصدرها هو الخالق البارئ المصور: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (الملك:١٤).

لقد صارت نتيجة عدم ضبط المجتمع بالوحي المنزه عن كل عيب ونقص: تفشي الفاحشة في الغرب، وانتشار الجريمة، وتفكك الأسر والمجتمع، فارتفعت نسبة الطلاق، وانتشر أولاد السفاح... وغير ذلك كثير[1].

رابعاً: دور منهج التربية الإسلامية في مراعاة الفروق بين الأمم:

أقر منهج التربية الإسلامية مبدأ الاهتمامات المختلفة، ولهذا حرص على مخاطبة الناس على قدر عقولهم، يقول ابن مسعود ﷺ: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ؛ إلا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَة»[2] وروي عن سيدنا علي ﷺ أنه قال: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»[3].

وتطبيقاً لهذا المبدأ التربوي، وانطلاقاً منه، تتجه عملية التفاعل الحضاري نحو أهدافها المنشودة، فلا يُجلب للمجتمع المسلم ما هو خارج عن دائرة اهتماماته، وقيمه ومعتقداته، وعاداته.

وفي ضوء ذلك، يمكن القول: إن التفاعل الحضاري يبنى على مجموعة من الأسس، من أهمها:

---

(١) المصدر السابق، ص١٩.

(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم: ١٤.

(٣) أخرجه البخاري.

١- الأساس الديني:

يعتبر الدين الأساس الرئيس، الذي يأتي في مقدمة أسس التربية «وذلك لما للتدين من أهمية بالغة في حياة الأفراد والمجتمعات، ولكونه يتضمن المعتقدات الروحية، التي يؤمن بها الناس ويقدسونها، وما يستمد من النظرة لعناصر الوجود: الكون والإنسان والحياة، وما يتطلبه من ممارسة العبادات والشعائر الدينية»[١]. فوظيفة التربية الأساسية هي «تمكين الفرد من معرفة دينه، ومن ثم فإن اهتمامها ينصب على دراسة العقيدة الدينية، وشريعتها، وتوضيح وتفسير الأنشطة المختلفة في ضوء تعاليم الدين، إضافة إلى العناية الكاملة بممارسة الشعائر الدينية»[٢].

فالناس يختلفون فيما يتدينون به، والأساس الديني هو أهم ما يتميز به مجتمع عن غيره من المجتمعات.. وعليه، فإن التفاعل الحضاري لا بد وأن ينطلق من مراعاة هذا الأساس.

٢- الأساس الأخلاقي والاجتماعي:

التربية الأخلاقية الإسلامية من أهم الأسس والمبادئ، التي يقوم عليها التفاعل الحضاري في ميادين العلوم وضروب الثقافة وفنون الآداب، مما يستدعي أن يكون التفاعل الحضاري خالصاً من الأخلاقيات الفاسدة، التي

---

(١) وائل عبد الرحمن التل، وآخرون، مقدمة في أصول التربية، ط١ (الأردن: دار الجنادرية للنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) ص ١٥٣.

(٢) إبراهيم بن عبد العزيز الدعيلج، المناهج، ط١ (دار القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) ص٤٦.

لا تقرها التربية الإسلامية، وأن تراعى سياسات المجتمع وتقاليده وأعرافه، عند ممارسة أي تفاعل حضاري، وهذا ما جعل التربويين يرون أن المجتمع يلعب دوراً مهماً «في رسم السياسات التعليمية التي تناسب ظروفه، وأهدافه، وحاجاته، وثقافته، وهو الذي يُحدد أسلوب التربية...»[1].

ومراعاةً لهذا الأساس، فإن التربويين لا يقبلون فكرة «أن التعليم والتربية من المبادئ الإنسانية العالمية ذات التراث البشري المشاع، ولم يقبلوا باستيراد مناهج التعليم كما هي عند الأمم والشعوب الأخرى، ولا باستيراد العلوم والآداب، التي نشأت في أحضان مذاهب وعقائد ومفاهيم لا تؤمن أمتهم بها...»[2].

وفي هذا المجال، فإن دور التربية، في مراعاة الفروق بين الأمم في إطار عملية التفاعل الحضاري يتلخص فيما يلي:

أ- مراعاة الفروق بين الأمم وعدم تجاهلها أو إنكارها[3].

ب- المحافظة على الموروث الحضاري للأمة الإسلامية وتنقيته من كل شائبة تكدر صفوه.

---

(١) وائل عبد الرحمن التل، وآخرون، مقدمة في أصول التربية، ص١٥٣.

(٢) عبد الرحمن حبنكة الميداني، غزو في الصميم، ص١٧.

(٣) عبد الحميد الهاشمي، الفروق الفردية: دراسة تحليلية تطبيقية في مجال التربية والاجتماع، ص١٣،٨.

ج- بناء التفاعل الحضاري على الأساس الديني والأخلاقي والاجتماعي للأمة المسلمة، حتى تكون قادرة على مواجهة التحديات القادمة من الحضارات الأخرى.

د- النظر إلى العادات والعلوم والمناهج الوافدة من الحضارات الأخرى بعين النقد والتحليل، والقيام بعملية فرز بين الغث والسمين، وذلك لاستخلاص ما لا يقدح بثوابت الأمة وخصوصياتها العقدية والأخلاقية والاجتماعية.

هـ- مراعاة قدرات المجتمع الإسلامي وإمكانياته عند التفاعل الحضاري، فما يصلح لمجتمع الصين أو الروس مثلاً لا يصلح للمجتمع الإسلامي، وعليه فإن كل مجتمع يقتبس من غيره بحسب ما عنده من مؤهلات وقدرات وإمكانات.

و- توجيه المجتمع الإسلامي وإرشاده إلى المجالات المطلوب اقتباسها، مراعاة لاحتياجاته ومتطلباته، التي تفرضها التنمية الشاملة، التي يسعى إلى تحقيقها.

٣- الضبط الاجتماعي:

الضبط الاجتماعي هو: «الطريقة التي يتطابق بها النظام الاجتماعي ككل للحفاظ على هيكله ومقوماته، ثم كيفية تقبل الأفراد والفئات الاجتماعية لهذه الطريقة، ولما تمارسه قوى الضبط من ضغوط، وبمعنى آخر هو القوى التي يمارسها المجتمع على أفراده والطرق والمعايير، التي يفرضها للهيمنة

والإشـراف على سلـوكهم وأسـاليبهم في التفكير والعمـل، وذلـك لضـمان سـلامة البنيـان الاجتمـاعـي والحرص على أوضـاعه ونظمـه، والبعـد بـه عـن عوامل الانحراف»[1].

لـذلك لا بـد مـن الضبط الاجتمـاعي، الـذي «يتضمن إلزاماً اجتماعياً حـتى يمـكن التنـاسـق بـين المؤسـسات الاجتماعية والوظـائف والمسؤوليات التي تؤديـها، وحـتى يتفادى المجتمع أسباب المشكلات الاجتماعية كالتفكك أو الانـحلال الاجتمـاعي، أو انهيـار القـيم الروحيـة أو ضـعفها، أو تـردي الأوضاع الاجتماعية»[2].

ومن هنا يتبين أن بناء التفاعل الحضاري على الأسس والمبادئ، التي تتفق مع ديانة المجتمع وقيمه وعاداته وأعرافه أمر لا يمكن تحقيقه إلا بوجود الضبط الاجتمـاعي، الـذي يهـدف إلى إلزام أفـراد المجتمـع بالامتثـال للمعـايير والقواعـد الاجتماعيـة وعـدم الخروج عليهـا، ومقاومـة الانحرافـات والأمـراض الاجتماعيـة، التي تحدث بين فترة وأخرى.

(١) مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، ص٣٠٥.

(٢) حسن علي خفاجي، دراسات في علم الاجتماع الجنائي، ط١ (جدة: المدينة للطباعة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)ص١٩.

ترتيب الأولويات

أولاً: تعريف ترتيب الأولويات:

الأولويات جمع أولوية، والأولوية مصدر صناعي من الأوْلى، وهو بمعنى الأجدر والأحق، يقال: «فلان أولى بكذا أي أحق به وأحرى»[1]. يقول ابن فارس: «الواو واللام والياء أصل صحيح يدل على القرب»[2]، والحقيقة أن اللغويين «لم يذكروا تعريفاً للأولوية ولا للأولويات في معاجمهم ومجامعهم اللغوية، إلا ما ذكره بعض المعاصرين، حيث قالوا: بأن الأولوية تأتي بمعنى الأحقية، والأسبقية»[3]، جاء في المعجم الوسيط: «الأولى: أفعل تفضيل بمعنى الأحق والأجدر والأقرب»[4].

واصطلاحاً: الأولويات هي: «ترتيب الأعمال من حيث التقديم والتأخير، أو بأنها الأحقيات في التقدم والتأخير»[5].

---

(١) أحمد الفيومي، المصباح المنير، ٦٧٣/٢؛ الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، د.ط. (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت.) ١٧٣٢/١؛ ابن منظور، لسان العرب، ٤٠٧/١٥.

(٢) أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ١٤١/٦.

(٣) محمد همّام ملحم، تأصيل فقه الأولويات، طبعة خاصة (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ت.) ص٣٠.

(٤) إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، ١٠٥٧/٢.

(٥) المصدر السابق، ص٤١.

ويمكن تعريفها هنا بأنها: الأعمال والأنشطة، التي حقُّها التقديم على غيرها.

وأما ترتيب الأولويات كمركب فقد عُرّف بأنه: «وضع كل شيء في مرتبته، فلا يُؤخر ما حقه التقديم، أو يُقدم ما حقه التأخير، ولا يُصغر الأمر الكبير، ولا يُكبر الأمر الصغير»[1].

إذاً، يمكن القول: إن ترتيب الأولويات هو: وضع الأشياء أو الأمور في ترتيب معين، حسب أهميتها، لخصائص فيها.

ثانياً: أهمية ترتيب الأولويات في منهج التربية الإسلامية:

تعتبر قضية ترتيب الأولويات من المهارات، التي يحتاج إليها الفرد والجماعة في حياتهم اليومية، ذلك أن متطلبات الحياة متشعبة، وحاجات الفرد والجماعة غير متناهية، والوقت غير كاف لتحقيق ذلك كله، فإذا لم يُرتب الإنسان وينظم الوقت، والجهد، والإمكانات، والموارد البشرية والمادية، ويُقَدِّم الأهمّ على الأقل أهمية، بناء على استراتيجية الفرد والجماعة للتنمية والمشتقة من أهدافهم، فإن ذلك يؤدي إلى التشتت الذهني، والسير في اتجاه لا يَخدم الهدف الأهمّ، ولا يحقق الإنجاز والإنتاج المطلوب، كما قد يؤدي إلى خسارة فادحة، ومن هنا تأتي أهمية مراعاة ترتيب الأولويات في حياتنا اليومية

---

(١) يوسف القرضاوي، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، ط١٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١١هـ/١٩٩١م) ص ٣٨.

بشكل عام، وفي العملية التربوية بوجه خاص، وفي التفاعل الحضاري على الوجه الأخص.

ومنهج التربية الإسلامية مبني على ترتيب الأولويات، فهو منهج قرآني وأسلوب نبوي، يدل على ذلك ورود الآيات العديدة، التي وجهت المسلم إلى مراعاة الأولويات وترتيبها، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (الإسراء:٥٣)، وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الزمر:١٧-١٨)، فهذه الآيات وغيرها فيها توجيه للمسلم للسعي نحو الأحسن والأكمل.

وقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة:٢١٩)، فيه توجيه للمسلم لأولوية درء المفسدة الغالبة على المصلحة المغلوبة.

كذلك يتجلى ترتيب الأولويات واضحاً في دعوات رسل الله تعالى إلى أقوامهم، حيث تباينت أولوياتهم الدعوية، وفقاً لانحرافات أقوامهم والأدواء المنتشرة في أزمانهم.

والمتبع لمسيرة هذا الدين «والمتبصر في المنهج الرباني في إتمام هذا الدين وإكماله، والمتأمل في سيرة النبي ﷺ في تطبيق الشرع والدعوة إلى الله، لا بد وأن يصل إلى حقيقة ثابتة وواضحة، ألا وهي وجوب مراعاة الأولويات لتحقيق مقاصد الشارع من الشرع ومن تطبيقه، فمراعاة الأولويات سنة ربانية من سنن الله عز وجل في الدين والحياة والكون»[1].

ثالثاً: أقسام الأولويات وأنواعها:

هناك تقسيمات عديدة للأولويات، ويمكن الاكتفاء هنا بنوعين منها لعلاقتهما القوية بهذا البحث:

- الأول: تقسيم الأولويات بناء على مشروعيتها[2]:

١ - أولويات معتبرة شرعاً: ويدخل فيها عدم مناقضة ومخالفة قواعد الشرع؛ بالإضافة إلى ما ورد فيه دليل شرعي يدل على كونه من الأولويات.

٢ -أولويات غير معتبرة شرعاً: ويدخل فيها كل محرم اتخذه الناس أولوياً، ومثال ذلك: أن يتعارف الناس على منكر مخالف للشرع، ويصير هذا المنكر بالنسبة لهم أولوياً، فيقدمونه على كثير من الطاعات.

وفائدة هذا التقسيم بالنسبة إلى هذه الدراسة هو أن يتم ترتيب أولويات التفاعل الحضاري بناء على الأولويات المشروعة، مع التحذير من

---

(١) محمد همام ملحم، تأصيل فقه الأولويات، ص١٢.

(٢) المصدر السابق، ص٧٠.

الأولويات المتوهمة غير المشروعة كاقتباس العقائد المنحرفة، والعادات المستهجنة، وكل ما له ضرر بالدين والدنيا.

- الثاني: تقسيم الأولويات من حيث المصلحة والمفسدة[1]:

١- أولويات بين المصالح: وهي الأولويات، التي تظهر في المصالح ابتداءً، أو عند التعارض بينها، بحيث يتم تقديم ما هو أعظم مصلحة على ما فيه مصلحة أدنى.

٢- أولويات بين المفاسد: وهي الأولويات، التي تظهر في المفاسد ابتداءً، أو عند التعارض بينها، بحيث يتم تقديم ما هو أخف مفسدة على ما هو أعظم.

٣- أولويات عند التعارض بين المصالح والمفاسد: وهي الأولويات، التي تظهر في حالة التعارض بين المصالح والمفاسد، فأيها رجحت كفته يُقدم.

وهذا التقسيم له علاقة بما يسمى (فقه الموازنات) وهو داخل في فقه ترتيب الأولويات؛ لأن الموازنة بين المصالح بتقديم أهمها، والموازنة بين المفاسد بدرء أعظمها، والموازنة بين المصالح والمفاسد بمراعاة الغالبة منهما، كل ذلك داخل في ترتيب الأولويات، إذ قد تنتهي الموازنة إلى أولوية معينة.

وهذا التقسيم مهم أيضاً بالنسبة إلى هذه الدراسة، ذلك أن مسائل التفاعل الحضاري وقضاياه فيه بعض المصالح، التي تعود بالنفع على الأمة،

---

(١) المصدر السابق، ص٧٢.

أو على بعض أفراد الأمة، وهذه المصالح تتفاوت مراتبها ودرجاتها، وللتفضيل بينها لا بد من ترتيب الأولوية فيقدم الأكثر أهمية على الأقل أهمية، والأعم ثم الأخص، وكذلك هناك مفاسد في التفاعل الحضاري، وتتفاوت درجة هذه المفاسد، ولدفعها لا بد من تقديم ما هو أخف مفسدة على ما هو أعظم، ولا شك أن هذا «يتطلب فقهاً لترتيبات مطالب الشريعة، ومقاصدها، كما يتطلب فقهاً بالواقع المعاش، ونوعاً من البصيرة المسلحة بالخبرة في عواقب الأمور المترتبة على الإقدام على أمر ما، والإحجام عنه، وهذا الفقه تشتد الحاجة إليه كلما ساءت الظروف والأحوال، التي تمر بها الأمة، حيث تكثر الخيارات الصعبة، وتضيق سبل الحلول المطروحة، أو تصبح التضحية ببعض الخير وارتكاب بعض الشر أمراً لا مفرّ منه»[1].

ومن خلال ما سبق يكون ترتيب الأولويات وفقاً للقواعد الآتية:

١- تقديم الضروري على الحاجي، والحاجي على التحسيني، فيقدم حفظ الدين، ثم حفظ النفس، ثم حفظ العقل، ثم حفظ النسل، ثم حفظ المال، وكل كلية من هذه الكليات الخمس لها ضروري وحاجي وتحسيني، وبناء عليه يقدم، مثلاً، ضروري حفظ الدين على حاجي حفظ الدين، وحاجي حفظ الدين على تحسيني حفظ الدين، وهكذا في كل كلية من هذه الكليات.

---

(١) عبد الكريم بكار، فصول في التفكير الموضوعي، ط٢ (دمشق: دار القلم، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ص١٦٧-١٦٨.

٢- تقديم الأكثر أهمية على الأقل أهمية، والمهم على غير المهم، فالتربية الإسلامية تدعو إلى الأفضل والأحسن في كل ما فيه نفع الفرد أو المجتمع.

٣- تقديم النفع المتعدي على النفع القاصر.

٤-مراعاة أهداف وحاجات المجتمع، فدراسة الأولويات التربوية تعتمد على الأهداف، وعلى احتياجات المجتمع.

٥- مراعاة مرونة ترتيب الأولويات في التفاعل الحضاري، فهي متغيرة وليست ثابتة، خصوصاً فيما يتعلق بمجال الحياة، فما يصلح اليوم ربما لا يصلح بعد غد، لهذا فإنه ينبغي عدم التجمد على أولويات معينة، فمثلاً إذا كان علم الطب متوفراً في بلد ما، فإن أولوية هذا البلد لا بد أن تُحوّل إلى مجال آخر كاقتباس التكنولوجيا، أو النظم الإدارية، أو غير ذلك.

رابعاً: ترتيب الأولويات في التفاعل الحضاري:

هناك خطوط عريضة للانطلاق نحو ترتيب الأولويات وتحديدها في التفاعل الحضاري، من أهمها:

١- تقديم رسالة الإسلام إلى الأمم الأخرى من خلال تفاعلنا مع الحضارات الأخرى، فالإسلام هو أعز ما نملك وأفضل ما نقدم إلى البشرية، فهي بحاجة إلى هذا الهدى، الذي أُنزل على محمد ﷺ، وعلينا أن ندعوهم إلى التوحيد كما أمر الله تعالى نبيه ﷺ بذلك، يقول تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران:٦٤).

٢- التصدي للهجمات الشرسة، والغزوات الثقافية العارمة، حماية للمجتمع المسلم من الذوبان والانصهار في الحضارة الغربية المعاصرة، فالمسلم ليس بمأمن من أن تتسرب إليه بعض العقائد والأفكار، والأخلاق والعادات والتي هي بعيدة عن عقائده، وأفكاره، وأخلاقه، وعاداته الإسلامية.

٣- إعطاء الأولوية لاقتباس التكنولوجيا والعلوم النادرة، التي تحتاجها التنمية الشاملة؛ لأن هذه العلوم تتعلق بها الحاجات العملية للأقطار الإسلامية.

٤- توجيه الاهتمام الأكثر لاعتبارات الكيف، وذلك للحصول على الجودة المطلوبة «وهذا يعد من الاختيارات الجوهرية في العملية التربوية»[1].

ويمكن أن يضاف إلى ذلك:

٥- عقد مؤتمرات وندوات لتحديد أهم عناصر التعامل مع الحضارة المعاصرة، والأولويات والأشكال الأنسب للتفاعل معها، وحاجة الأمة ومتطلباتها، والإطار العام لاستراتيجية التنمية في العالم الإسلامي.

٦- إعداد الدراسات المسحية ذات الدلالة الإحصائية في أولويات الأمة بشكل عام، أو أولويات بلد إسلامي معين أو منطقة معينة بشكل خاص.

---

(١) المصدر السابق، ص ٩.

احترام التخصص

أولاً: مفهوم احترام التخصص:

التخصص لغة: «من اختص فلان بالأمر وتخصص له: إذا انفرد به»[1]؛ والتخصص في علم معين هو «أن يتخصص عالم، أو باحث، أو دارس، بعلم واحد يتوفر على دراسته دراسة متعمقة، ويُلم بمعارفه، ويخبر فنونه ومدارسه، وقد يحصل فيه على الدرجات الجامعية والعلمية العالية»[2].

والمقصود باحترام التخصص في هذا البحث: إسناد الأمر لذوي الاختصاص فيما يخص تخصصاتهم، وردّ الأمور إليهم، وعدم خوض المرء فيما لا يعلم.

ثانياً: أهمية التخصص واحترامه في منهج التربية الإسلامية:

دعا المنهج التربوي في الإسلام إلى احترام التخصص، وإسناد الأمر إلى أهل الخبرة، ورد المشكلات والمدلهمّات إلى العلماء الربانيين، فمرة جاء الأمر الرباني برد الأمور إلى أهلها، المختصون بها، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٢٤/٧.

(٢) أحمد الخمساوي، الفكر الموسوعي والتوجيه الإسلامي للعلوم والحضارة الحديثة، مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم، المحور الأول، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص٢٣٧.

أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ (النساء:٨٣)؛ وهذا تأديب -كما يقول السعدي- من «الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة، والمصالح العامة، ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف، الذي فيه مصيبة عليهم، أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يَرُدُّونه إلى الرسول ﷺ وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي، والعلم، والنصح، والعقل، والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها...»[1].

وتارة أخرى أمر الله سبحانه بسؤال أهل الذكر، فقال سبحانه: ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (الأنبياء:٧). وفي حديث القرآن عن صفات الأنبياء نجد تخصيصاً لكل منهم بصفة معينة، اختصَّ بها دون سائر الأنبياء، فإبراهيم، عليه السلام، خليل الرحمن، وموسى كليم الله، وهكذا نجد الاختصاص عند الأنبياء، عليهم السلام.

وفي السنة النبوية أرشد النبي ﷺ من لا يعلم، إلى سؤال من يعلم، بل وبّخ من يتسرع في الدخول إلى غير اختصاصه، فقال عليه السلام في قصة الرجل، الذي اغتسل وبه جُرح في الرأس: «**قَتَلُوهُ، قَتَلَهُمُ اللَّهُ، ألا سَأَلُوا إِذَا لَمْ يَعْلَمُوا، فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ**»[2].

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١٩٠/١.

(٢) علاء الدين علي المتقي، كنز العمال، تحقيق محمود عمر الدمياطي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، حديث رقم: ٢٦٦٩٧، ١٧٥/٩.

وتطبيق التخصص العلمي كان موجوداً عند الصحابة، رضوان الله عليهم، حيث اشتهر بعضهم بتخصصات شرعية دون سائر الصحابة، ويشهد لذلك ما رواه الشيخان أن النبي ﷺ قال: «**اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ**»[1] وقال ﷺ: «**أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْضَاهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ ابْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ**»[2].

ولم يكن منهج التربية الإسلامية يقتصر على الدعوة إلى احترام التخصص فحسب، وإنما شدد في من يتولى أمراً من غير اختصاصه، وفرض عليه ضمان ما أفسده بجهله، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ تَطَبَّبَ، وَلَمْ يُعْلَمْ مِنْهُ طِبٌّ قَبْلَ ذَلِكَ، فَهُوَ ضَامِنٌ**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه ابن ماجه، حديث رقم: ١٥٤؛ وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٥٣.

(٣) أخرجه ابن ماجه.

فالتخصص العلمي ليس مصطلحاً حديثاً يعود الفضل فيه للغرب، بل هو سنة كونية متوافقة مع الفطرة الإنسانية، كان للمنهج الإسلامي قصب السبق إليه، وطبقه المسلمون إبان ازدهار الحضارة الإسلامية، وما دام الأمر كذلك، فلا بد «من التأكيد على جانب التخصص، وإشاعة هذا المفهوم الذي كان أساساً من أسس البناء الحضاري الإسلامي، ودافعاً قوياً لتقدم العلم الصحيح والمعرفة الحق، وذلك في جانب الدراسات النظرية؛ إذ لا يقبل ولا يسمح القانون في الدراسات العملية بتجاوز أحد لاختصاصه، ويجب أن يعمم ذلك ويسود هذا الفكر في جميع حقول المعرفة، والساحة العلمية؛ ليحصل الضبط والترقي، وإلا سنبقى في حلقة من العبث، ونتردى في الضحالة»[1].

ثالثاً: تفويض الاجتهاد في التفاعل الحضاري لذوي الاختصاص والخبرة:

يحتاج التفاعل الحضاري إلى ذوي الاختصاص، والخبرة، والبصيرة، في جميع مناحي الحياة الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والعلمية.

ولما كان في الناس «متفكرون باحثون عن الحقائق في المجالات العلمية البحتة، ومتفكرون قادرون على تدبير الأمور، وتخطيط الخِطط الحَكِيمَة الرشيدة في الأمور الإدارية، أو الأمور العسكرية، أو الشؤون السياسية في الأمن أو الخوف، في السلم أو الحرب، كان من مقتضيات الواقعية إرشاد الجماهير

---

(١) فاروق حمادة، أسس العلم وضوابطه في السنة النبوية، ص٤٥.

العامة إلى ردّ أمورهم ذات الوجوه المختلفة، التي تحتاج تأملاً دقيقاً وبصراً نافذاً إلى جماعة أولي الأمر منهم، القادرين على حلّ المشكلات، والتبصر السديد في المعضلات، والتوجيه إلى أرشد الآراء وأسدّها، وذلك ليهتدي بعض هؤلاء إلى وجه الصواب عن طريق البحث والتفكر والاستنباط، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ (النساء:٨٣)، فهذا النص يرشد إلى ردّ الأمور إلى جماعة أولي الأمر من المسلمين، وهم:

- العلماء المجتهدون، القادرون على استنباط الأحكام الشرعية، في شؤون الفقه الإسلامي.

- والإداريون، القادرون على استنباط أفضل الأعمال والنظم في الشؤون الإدارية.

- والمهرة في السياسة الشرعية، القادرون على استنباط أسدّ الخِطط وأحكمها في الشؤون السياسية السلمية والحربية.

- والقادة العسكريون المخطِطُون، القادرون على استنباط أنجح الخِطَط في شؤون القتال والحرب.

وهكذا في كل مجال يبرز فيه متخصصون ذوو مهارات أو قدرات فطرية أو مكتسبة، فإن الإسلام يوصي بأن يَرُدّ السواد الأعظم من الناس كل أمر إلى ذوي الاختصاص فيه»[1].

---

(١) عبد الرحمن حبنكة الميداني، الحضارة الإسلامية، ص٢٣٨-٢٣٩.

ومن الغريب جداً أن يُحترم التخصص في العلوم التجريبية البحتة، ويُسَفَّه من يخوض فيها دون تأهُّل لذلك، فلا يفتي الطبيب - مثلاً- في مسألة هندسية، ولا الكيميائي في مشكلة فلكية، وحتى التمثيل والرقص والغناء لا يُسمح الخوض فيه إلا لذوي الاختصاص الحاذقين فيه، بينما الكثيرون مستعدون للإدلاء بدلوهم في أمور الدين والشريعة دون حرج ولا غضاضة.

ومن ذلك ما نشاهده اليوم من التسرع في الخوض في مسائل التفاعل الحضاري بإصدار الفتوى، حيث ينادي دعاة التجديد والحداثة فتح باب التفاعل الحضاري على مصراعيه، دون الرجوع إلى أهل العلم؛ كما نشاهد أيضاً تطبيقاً عملياً لمعتقدات وعادات وأفكار ومناهج وأنظمة الأمم الأخرى دون ردٍّ إلى أهل الاختصاص، وقد حصل من هذه الفوضى، الناتجة عن عدم احترام التخصص شر عظيم، وخطر جسيم.

والاستفادة من الخبرات الأجنبية أمر «يقرره المختصون في العلوم المراد نقلها من الغرب من أهل الدين والفقه والفكر الناضج، وعلماء وفقهاء الدين المختصين في فهم النصوص الشرعية»[١].

وإذا «ما أريد للمتخصص التربوي المسلم توجيه العلوم الحديثة توجيهاً إسلامياً، فيكون من البداهة بمكان الرجوع إلى القرآن الكريم، والسنة المطهرة؛

---

(١) عبد الرحمن الحازمي، التوجيه الإسلامي لأصول التربية، ص١٦٤.

ليستخلص المبادئ والقواعد السامية، التي تضاهي غيرها من المبادئ والقواعد الوضعية، وإلا كان عمله كحاطب ليل يجمع ما هب ودب دون أن يكون لعمله جدوى، وقد يسيء حيث يريد الإحسان»[1].

لذلك، فإن المطلوب أن يكون لدى المختصين في التربية، والمعنيين بالتوجيه الإسلامي «الإدراك الكامل لأسس الإسلام العامة، ومبادئه الكلية: الاعتقادية والفكرية، حتى يكون لديهم المعايير الصحيحة للعلوم والمعارف في مفهوم الإسلام، وتتكون لديهم ملكة النقد النزيه البصير؛ لاستخلاص المفيد من التراث العلمي في الحضارات بعامة، وفي حضارتنا بخاصة، حتى ينطلق الإبداع الإسلامي على هدى وبصيرة، يأخذ من القديم أرسخه، ومن الحديث أروعه»[2].

فالذي يفتقد إلى التخصص الشرعي لا يستطيع الإسهام في بناء التربية الإسلامية؛ ذلك أن التخصص الشرعي «بمثابة المنظار أو المجهر، الذي يتمكن من خلاله الدارس أو الباحث من إدراك دروس وتطبيقات وتوجيهات تربوية في القرآن وفي السنة النبوية قد لا يدركها غيره، وبالتالي من يفقد التخصص لا يتمكن من الإسهام في بناء التربية الإسلامية»[3].

---

(١) عبد الرحمن الحازمي، التوجيه الإسلامي لأصول التربية، ص١٨٢.

(٢) مناع خليل القطان، مفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم وأهدافه وأسسه العامة، مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم، المحور الأول، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص٨٩.

(٣) مقداد يالجن، معالم بناء نظرية التربية الإسلامية (الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١١هـ/١٩٩١م)ص١٠٦-١٠٧.

لذا فإن التخصص في الشريعة الإسلامية أمر لا بد منه عند الاقتباس من غير المسلمين، ولا يعني هذا إلغاء أهمية التخصصات الأخرى عند التفاعل الحضاري، بل يُحتاج إلى تلك التخصصات، فمثلاً عندما نريد اقتباس وسائل وتكنولوجيا التعليم، فلا بد مع علماء الشريعة من إشراك المتخصصين في مجال تكنولوجيا التعليم.

فالتوجيه الإسلامي لتقنية التعليم يحتاج إلى «متخصص في تقنية التعليم، بالإضافة إلى توافر قدر مناسب من المعرفة بالقرآن وعلومه، والحديث وعلومه، والتربية الإسلامية، والفكر الإسلامي؛ ولذلك فإن من فقد هذه المؤهلات لن يكون عمله معبراً عن التصور الإسلامي، بل قد يظهر التلفيق والتشويه فيما يكتب أو يبحث، ويجانبه الصواب، وبعبارة أخرى: فإنه يصعب كثيراً على المتخصص في مجال تقنية التعليم دون تأهيل علمي في العلوم الشرعية، أن يخوض في مجال التوجيه الإسلامي لتقنية التعليم، كما يصعب ذلك كثيراً على المتخصص في مجال العلوم الشرعية دون تأهيل علمي في مجال تقنية التعليم أن يدلي بدلوه في هذا الصدد، ومن هنا فإنه يستحسن إذا لم تتوافر عوامل التأهيل في العلوم الشرعية وتقنية التعليم معاً، أن يقوم فريق عمل يضم متخصصين في كل من العلوم الشرعية، والتربية الإسلامية، وتقنية التعليم، بحيث يقوم كل منهم بمهمة معينة تدخل في نطاق تخصصه»[1].

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بلعوص، التوجيه الإسلامي لتقنية التعليم، ص٤٧٤-٤٧٥.

والخلاصة، أنه يجب ردّ المسائل، التي تحتاج إلى اجتهاد[1] ورأي، إلى أهلها المختصين بها، وهم العلماء الربانيون، حتى وإن كانت المسألة لها علاقة بتخصص آخر، فإن العلماء يُحتاج إليهم في بيان إباحة ذلك الشيء من عدمه، وهل هو مصلحة أو مفسدة؟ وهل هو عام لجميع الأفراد أم هو خاص ببعضهم دون بعض؟ إلى غير ذلك من التفاصيل.

وبهذه المرجعية، التي مردها إلى أهل العلم العارفين بالكتاب والسنة، يكون التفاعل الحضاري محميًّا من الضلال والانحراف، ومحروساً من المستوردات الباطلة، والأهواء والعقائد الفاسدة.

---

(1) انظر شروط المجتهد في: محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، ص ٥٠٩-٥١١؛ محمد بن محمد الغزالي، المستصفى في علم الأصول، تحقيق محمد عبد السلام، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ) ٢/٣٥٠؛ الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ط١ (دار الفضيلة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ٢/١٠٢٧-١٠٣٢.

استشراف المستقبل

- الاستشراف لغة:

الاستشراف من الفعل شرف؛ و«الشُّرْفَةُ: أَعْلَى الشَّيْءِ؛ وَالشَّرَفُ مِنَ الأَرْضِ: مَا أَشْرَفَ لَكَ؛ وَيُقَالُ: أَشْرَفَ لِي شَرَفٌ فَمَا زِلْتُ أَرْكُضُ حَتَّى عَلَوْتُهُ؛ وَمَشَارِفُ الأَرْضِ أَعَالِيهَا؛ وَأَشْرَفَ لَكَ الشَّيْءُ: أَمْكَنَكَ؛ وَشَارَفَ الشَّيْءَ: دَنَا مِنْهُ وَقَارَبَ أَنْ يَظْفَرَ بِهِ؛ وَتَشَرَّفَ الشَّيْءَ وَاسْتَشْرَفَهُ: وَضَعَ يَدَهُ عَلَى حَاجِبِهِ كَالَّذِي يَسْتَظِلُّ مِنَ الشَّمْسِ حَتَّى يُبْصِرَهُ وَيَسْتَبِينَهُ؛ وَالاسْتِشْرَافُ: أَنْ تَضَعَ يَدَكَ عَلَى حَاجِبِكَ وَتَنْظُرَ، وَأَصْلُهُ مِنَ الشَّرَفِ الْعُلُوُّ، كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَوْضِعٍ مُرْتَفِعٍ، فَيَكُونُ أَكْثَرَ لإِدْرَاكِهِ»[1].

وفي المعجم الوسيط: «استشرف، انتصب وعلا، وللشيء تعرض، والشيء رفع بصره ينظر إليه»[2].

والخلاصة، أن الدلالة اللغوية للاستشراف هو رفع البصر إلى الشيء والنظر إليه لاستبيانه وإدراكه.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٩/١٧٠. محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، ١١/٢٣٦.

(٢) إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط١/٤٧٩.

والمستقبل هو «ما يُترقب وجوده بعد زمانك، الذي أنت فيه، يسمى به؛ لأن الزمان يستقبله»[1].

واستشراف المستقبل هو «النظر إلى الزمن القادم ببصر حديد ونظر ثاقب، بغية تصور الواقع المقبل، انطلاقاً من شرفة الواقع الحاضر، واستيعاباً لعبر الواقع الراحل»؛ وهو «جهد علمي منظم، يسعى إلى تحديد احتمالات وخيارات مختلفة مشروطة لمستقبل قضية أو عدد من القضايا، خلال مدة مستقبلية محددة، بأساليب متنوعة، اعتماداً على دراسات عن الحاضر والماضي، وتارة بابتكار أفكار جديدة منقطعة الصلة عنها»[2].

وينظر إليه كذلك على أنه «اجتهاد علمي منظم، يرمي إلى صوغ مجموعة من التنبؤات المشروطة والتي تشمل المعالم الرئيسية لأوضاع مجتمع، أو مجموعة من المجتمعات، وعبر فترة مقبلة تمتد قليلاً لأبعد من عشرين عاماً، وتنطلق من بعض الافتراضات حول الماضي والحاضر»[3].

ويمكن القول: إن استشراف المستقبل هو جهد علمي منظم، يهدف إلى التنبؤ بما سيحدث في المستقبل القريب أو البعيد، بأساليب وطرق قد تكون مشروعة وقد تكون غير مشروعة.

---

(١) علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ص٢١١.

(٢)عبد الله بن محمد المديفر، الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية، رسالة ماجستير، جامعة طيبة، المدينة المنورة، ١٤٢٧هـ، ص٢٩،٢٦.

(٣) إبراهيم سعد الدين، وآخرون، صور المستقبل العربي، ط١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٢م) ص٢٥.

أولاً: الحاجة إلى استشراف المستقبل:

إن التطلع إلى المستقبل والتشوق إلى معرفته أمر مفطور في النفوس جميعاً، فليس من البشر أحد إلا وهو يتطلع ويشتاق إلى معرفة ماذا سيكون له أو لأمته أو لغيره؟ ذلك أن من «خواص النفوس البشرية التشوف إلى عواقب أمورهم، وعلم ما يحدث لهم من حياة وموت، وخير وشر، سيّما الحوادث العامة كمعرفة ما بقي من الدنيا، ومعرفة مُدَدِ الدول أو تفاوتها، والتطلع إلى هذا طبيعة، مجبولون عليها»[1].

ويؤكد ابن القيم «أن النفس لها شرف إلى التطلع على الحوادث قبل وقوعها...»[2]، فالتطلع «للمستقبل يعطي للحياة ديناميكية خاصة، تدفع به نحو المزيد من العطاء للأفضل، ويربطه بالمتغيرات والمستجدات، التي تظهر في حياته، خاصة في عصرنا الراهن المليء بالمتغيرات والمفاجآت»[3].

وتؤثر الدراسة المستقبلية «في تشكيل هوية الأمة، وتحديد صورتها، التي تكون عليها في كل المجالات، كالتعليم، والاقتصاد، والنمط الاجتماعي والثقافي، وغيرهما، ذلك أن الصورة الراهنة ستَتَبَدل بصورة أخرى، تفرضها

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٠٧.

(٢) محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ١٣٩/٢.

(٣) عبد الرحمن بن صالح المشيقح، إطلالة على دراسات المستقبل، ط١ (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ص٩.

موجـات وأدوات التغيـير مـن سـبل الاتصـال، والبـث الإعلامـي، وموجـات الدعـاية والإعـلانات المغرية، وانفتـاح العـالم على بعضه تبعاً لذلك، وذلك مـا نـرى بـوادره المعـاشة الآن، فإمـا أن نستعـين بـالله ونصنـع مستقبلنـا بأنفسنا وأدواتنـا وبإمكاناتنا وظروفنا، وإلا سيفلت الزمام من أيدينا، ونعيش على فتات الغير»[1].

ومن ثم، فإن استشراف المستقبل حاجة بشرية، وضرورة إنسانية، وذلك بحكم ما جُبل عليه الإنسان من حب الاستطلاع، والتشوف إلى ما يستقبله من الأمر، وتزداد حدّة هذه الغريزة في عصرنا المليء بالمتغيرات والمفاجآت.

ثانياً: حكم استشراف المستقبل:

يتردد حكـم استشـراف المستقبل بين الحظـر والإباحـة، وهـذا راجـع إلى الوسـائل والأسـاليب المستخدمة في الدراسـات المستقبلية؛ فقـد تكـون وسيلته وسيلة محرمة، كـالتنجيم والكهانـة، والتطير والتشاؤم، والسـحر، وادعـاء الغيـب ورجمه، وغير ذلك، فإنه لا يجوز.

وقـد ذكـر شـيخ الإسـلام أن بـاب الكـذب في الحـوادث الكونيـة كثيرة، وطرقه متنوعة «فتارة بالإحالة على الحركات والأشكال الجسمانية الإلهية من حركات الأفلاك والكواكب والشهب والرعود والبروق والرياح وغير ذلك، وتارة بمـا يحدثونه هـم من الحركـات والأشـكال، كالضـرب بالرمـل والحصـا والشـعير،

(١) عبد الرحمن بن صالح المشيقح، إطلالة على دراسات المستقبل، ص٢٢.

والقرعة باليد، ونحو ذلك مما هو من جنس الاستقسام بالأزلام، فإنهم يطلبون علم الحوادث بما يفعلونه من هذا الاستقسام بها؛ سواء كانت قداحاً أو حصاً أو غير ذلك... فكل ما يحدثه الإنسان بحركة من تغيير شيء من الأجسام ليستخرج به علم ما يستقبله فهو من هذا الجنس»[1].

أما إذا كانت وسيلته، وسيلة شرعية، أو غير محرمة، كالاستفادة من القرآن والسنة فيما أخبراه من وقوع أمور مستقبلية، أو الاستئناس بالفراسة والإلهام والرؤيا الصادقة في الأمور الحياتية العامة، دون أن يُبنى على ذلك حكماً شرعياً، أو الاستفادة من المناهج العلمية، التي تُعنى بالنظر في مآلات الأفعال وعواقبها، وذلك بدراسة الأسباب والمسببات والسنن الكونية، فإن ذلك يجوز وليس بمحظور.

ثالثاً: استشراف المستقبل وعلاقته بقاعدة اعتبار المآل:

لقد أرشد الإسلام إلى دراسة العواقب لمعرفة ما قد ينتج من الأفعال من مصالح أو مفاسد، فإن كانت عاقبة الفعل، الذي يَقدم عليه الشخص حسنة، فإنه لا محظور في الإقدام عليه، وربما يكون واجباً أو مندوباً أو مباحاً، حسب المصلحة المراد تحقيقها، وإن كانت عاقبته سيئة فإن الشارع أمر بدرء المفاسد الحاضرة والمستقبلية.

---

(١) أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، ٤/٨٠.

لذا فـإن الاهتمـام بالمستقبـل «ليس ترفاً فـكرياً، بل هـو ضــرورة يأمر بها الدين، وتفرضها التغييرات المتسارعة، التي يعرفها عالمنا المعاصر»[1].

والنَّظَرُ فِي «مَآلاتِ الأَفْـعَالِ مُعْتَبَرٌ مَقْصُودٌ شَرْعًا كَانَتِ الأَفْعَالُ مُوَافِقَةً أَوْ مُخَالِفَةً، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُجْتَهِدَ لا يَحْكُمُ عَلَى فِعْلٍ مِنَ الأَفْعَالِ الصَّادِرَةِ عَنِ الْمُكَلَّفِينَ بِالإِقْدَامِ أَوْ بِالإِحْجَامِ إِلا بَعْدَ نَظَرِهِ إِلَى مَا يَؤُولُ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْفِعْلُ، مَشْرُوعًا لِمَصْلَحَةٍ فِيهِ تُسْتَجْلَبُ، أَوْ لِمَفْسَدَةٍ تُدْرَأُ، وَلَكِنْ لَهُ مَآلٌ عَلَى خِلافِ مَا قُصِدَ فِيهِ... وَهُوَ مَجَالٌ لِلْمُجْتَهِدِ صَعْبُ الْمَوْرِدِ إِلا أَنَّهُ عَذْبُ الْمَذَاقِ مَحْمُودُ الْغِبِّ جَارٍ عَلَى مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ.. فَإِنَّ الأَعْمَالَ - إِذَا تَأَمَّلْتَهَا - مُقَدِّمَاتٌ لِنَتَائِجِ الْمَصَالِحِ؛ فَإِنَّهَا أَسْبَابٌ لِمُسَبَّبَاتٍ هِيَ مَقْصُودَةٌ لِلشَّارِعِ، وَالْمُسَبَّبَاتُ هِيَ مَآلَاتُ الأَسْبَابِ؛ فَاعْتِبَارُهَا فِي جَرَيَانِ الأَسْبَابِ مَطْلُوبٌ، وَهُوَ مَعْنَى النَّظَرِ فِي الْمَآلاتِ»[2].

ولقـد اهـتم القـرآن الكـريم والسـنة المطهـرة بمراعـاة المـآل والعواقـب، ومـن مظـاهر ذلـك: النهـي عـن سـب آلهـة المشـركين، قـال تعـالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام:١٠٨).

---

(١) إلياس بلكا، استشراف المستقبل في الحديث النبوي، ط١، الدوحة: سلسة كتاب الأمة، العدد ١٢٦، ١٤٢٩هـ، ص٢٦.

(٢) إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الفقه، ٤/١٩٤-١٩٥.

ومنها: خرقُ الخضِرِ السفينةَ منعاً من استيلاء الملك الظالم عليها، قال تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (الكهف:٧٩).

ومن مظاهر اعتبار المآل في السنة: النهي عن قتل المنافقين، يقول الرسول ﷺ: «دَعْهُ، لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»[1]، ومنها: تركُه ﷺ الأعرابي، الذي بال في المسجد ليستمر في بوله، وقال لأصحابه: «دَعُوهُ، لا تُزْرِمُوهُ، فتركوه حتى بال»[2].

ومنها: تركُه ﷺ هدم الكعبة، معللاً ذلك بقوله: «**يا عائشة، لولا أن قومك حديثُ عَهدُهُم بكفر؛ لنقضت الكعبة، فجعلت لها بابين، باب يدخُلُ الناس، وباب يَخرُجُون**»[3].

فلولا مراعاة المآلات والنتائج، كما يقول الريسوني: «لوجب قتل المنافقين، وإعادة بناء البيت على قواعد إبراهيم، ومنع الأعرابي من إتمام عمله المنكر الشنيع، ولكن الأول كان سيفضي إلى نفور الناس من الإسلام خشية أن يُقتلوا بتهمة النفاق...، والثاني يؤدي إلى اعتقاد العرب أن النبي ﷺ يهدم المقدسات ويغير معالمها، والثالث ليس فيه إلا أن ينجس البائل جسمه وثوبه، وربما نجس مواضع أخرى من المسجد، وربما كان ضرراً صحياً عليه»[4].

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٤٩٠٥؛ ومسلم، حديث رقم:٦٥٢٦.

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٦٠٢٤؛ ومسلم، حديث رقم: ٦٥٧.

(٣) أخرجه البخاري، حديث رقم: ١١٢٦؛ ومسلم، حديث رقم: ٣٢٣١.

(٤) أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ط٢ (الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ص٣٨٢.

فهذه الأدلة وغيرها تعلمنا أن نحسب للمستقبل حسابه، ونضبط الواقع والحاضر بناء على استشراف المستقبل، ومن هنا تظهر العلاقة بين الدراسات المستقبلية وبين النظر في المآل، ذلك أن من طرق تحقيق المصالح ودرء المفاسد المستقبلية دراسة العواقب والمآلات، وهذا ما تبحثه الدراسات المستقبلية، فالعلاقة إذاً، أن كلاً منهما يدرس العواقب.

رابعاً: أهمية استشراف مستقبل التفاعل الحضاري:

تظهر أهمية الدراسات المستقبلية في مجال التفاعل الحضاري من بعدين رئيسين هما:

البعد الأول: استشراف احتياجات الأمة الإسلامية المستقبلية من الحضارة الغربية المعاصرة، ومن خلال هذا البعد يمكن القول: إن احتياجات الأمة ومتطلباتها الأساسية -لتأخذ طريقها إلى التقدم- عديدة ومتنوعة، حيث إنها تمس نواحي كثيرة من المجالات الحياتية: العلمية، والإدارية، والسياسية، والاقتصادية، والتقنية، والأمنية، وغير ذلك من المجالات، ويتطلب التخطيط لتوفير هذه الاحتياجات إلى دراسة مستقبلية ونظرة استشرافية لما قد تحتاجه الأمة لضمان تفوقها العلمي والتقني والسياسي والعسكري في مستقبلها القريب والبعيد.

وتشير عملية «استقراء الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والتربوي في دول كثيرة، وخصوصاً النامية، تشير إلى انبثاق عدد من التحولات تأخذ منحى التداعيات، التي تشكل مخاوف للناس ليس في حاضرها فقط وإنما للمستقبل أيضاً، وللاحتياط من هذه التداعيات لا بد من تحديد القضايا

الكبرى، التي لها صلة مباشرة بحياة الأفراد مستقبلاً والتي تتطلب استراتيجيات تنفيذية وعلاجية في ظل الثورة التكنولوجية»[1].

لذا فإنه لابد من محاولة تصور المستقبل، وتحديد الصورة، التي ينبغي أن تكون عليها الأمة في غدها القريب، يقول محمود سفر: «إن طريق البناء الحضاري، الذي ترتجيه الأمة يفرض عليها شروطاً لا بد من تحقيقها، ويحدد مسارات لا بد من السير فيها لإكمال المشوار المبتغى، فإن كان التسابق الاستهلاكي واللهث خلف عالم الأشياء هو الطريق المرتجى فإنه يقود بلا شك إلى إخلاد الأفراد إلى ترف، من شأنه أن يعوق عملية النهوض ذاتها، ولا يساعد على قيام قوة إنتاجية محلية تعتمد على الإحلال المتصل والإبدال المستمر للطاقة البشرية المستقدمة بطاقة بشرية وطنية.. وإن كان الطريق المؤمل لنهضة شاملة وحقيقية هو ترسيخ الاعتماد على الذات، والمزاحمة على عالم الغد بكل ما يحمله ذلك العالم من مفاجآت وتحديات، فإنه يفرض علينا الدعوة إلى تنمية تقنية نوعية، ترتكز على إعداد وتدريب وتأهيل الطاقة البشرية»[2].

البعد الثاني: استشراف الآثار السلبية، التي قد تنتج عن التفاعل الحضاري، سواء كانت آثاراً متعلقة بالجانب العقدي أو الأخلاقي أو الاجتماعي، أو غير ذلك.

---

(١) يعقوب أحمد الشراح، التربية وأزمة التنمية البشرية (الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) ص٤٨٩.

(٢) محمود محمد سفر، دراسة في البناء الحضاري.

فدراسة هذه الآثار مسبقاً قبل أي تفاعل مع أي حضارة مهمة جداً، ذلك أننا من خلال الدراسة المستقبلية لعواقب التفاعل الحضاري نستطيع البتّ بالإقدام على التفاعل الحضاري أو التوقف منه، إذ أن عملية الانفتاح ليست سهلة «فكم قُضي على هوية شعوب ومجتمعات من جراء عملية الانفتاح دون أن تحقق الفائدة المرجوة»(١).

خامساً: الآثار المترتبة على استشراف المستقبل:

من الناحية الإيجابية فإن هناك آثاراً وثماراً عديدة تستفاد من الدراسات الاستشرافية، من ذلك:

١- حماية المجتمع من أي لوثة فكرية أو خُلقية تَتستر خلف المصطلحات الخلاّبة والكلمات البرّاقة والتي لا يمكن بيان عوارها وكشف زيفها إلا من خلال تأمل عواقبها وتدبر مآلاتها.

٢- من خلال دراسة العواقب، والنظرة الواعية إلى المستقبل، تقتبس الأمة الإسلامية من الحضارة المعاصرة ما ينفعها في دنياها مما لا يخالف مبادئها ومنهاجها الإسلامي.

٣- من خلال استشراف المستقبل تُأمّن الأمة الإسلامية حاجاتها المستقبلية من جميع النواحي: العلمية، والتقنية، والإدارية، والسياسية، والعسكرية، والأمنية، وغير ذلك.

---

(١) عبد الرحمن بن صالح المشيقح، إطلالة على دراسات المستقبل، ص ٨٥.

٤- أنها تمنع المشاكل أن تقع، وإذا وقعت تحاول أن تخفف من آثارها، بأخذ التدابير اللازمة حيالها، ولهذا يقول العلماء: «الدفع أولى من الرفع»[١].

ومن جانب آخر، فإن عدم مراعاة ذلك يؤدي إلى بعض الآثار السلبية، ومنها:

١- تأخر الأمة الإسلامية وتخلفها عن ركب الحضارة، وذلك بسبب عدم قدرتها على توفير احتياجاتها المستقبلية والتي تعتبر ضرورية بالنسبة إلى تطورها وتقدمها.

٢- تسلط الأعداء عليها، وذلك بسبب عدم قدرتها على تأمين احتياجاتها الدفاعية، وعدم معرفة مخططات أعدائها، وما يحيكونه ضدها من مؤامرات في مستقبلها القريب والبعيد.

ولهذا جاءت الدراسات المستقبلية لتدرس باهتمام كبير: «النتائج السلبية، التي يمكن أن تقع مستقبلاً، أو تتفاقم بسبب خطورة المواد، التي نتجت عن تقدم العلم، أو سوء الاستخدام لنتائج التقدم العلمي، وتحاول هذه الدراسات من خلال حساباتها التراكمية الوصول إلى حجم هذه الآثار، ثم نشر الوعي بها، وصياغة الحلول الكفيلة بالسيطرة على النتائج غير المرغوبة أو التقليل من آثارها»[٢].

---

(١) علي بن عبد الكافي السبكي، الإبهاج في شرح المنهاج، ٢/٢٢٧.

(٢) عبد الله بن محمد المديفر، الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية، ص٩٠.

الآثار التربوية للتفاعل الحضاري

تتجلى الآثار التربوية للتفاعل الحضاري، في أكثر من مجال، وسوف أعرض هنا لثلاثة منها:

١- المجال الاعتقادي: لعل من أخطرها أربعة: الابتعاد عن العقيدة الإسلامية الصحيحة؛ تأويل النصوص؛ إضعاف عقيدة الولاء والبراء؛ والدعوة إلى تطوير الشريعة وتجديدها.

٢- المجال العلمي: تتراوح الآثار بين الإيجابي والسلبي، أما الآثار الإيجابية، فمنها: الابتكار والإنتاج؛ التحصيل العلمي والمعرفي؛ واكتساب اللغات.

أما الآثار السلبية، فمن أخطرها: تغريب التربية والتعليم؛ هجر اللغة العربية؛ استعارة النظم والمناهج التعليمية الغربية؛ فتح المدارس الأجنبية؛ ابتعاث الطلاب إلى الغرب؛ ازدواجية التعليم؛ وضعف التحصيل في العلوم الشرعية

٣- المجال الاجتماعي: ومن أهم الآثار الإيجابية فيه: تقدم المجتمع؛ سهولة الاتصال بين المجتمعات بتطور المواصلات؛ والمساهمة في ترتيب أولويات المجتمع.

وأما الآثار السلبية، فمن أخطرها: تقليد نمط العيش الغربي؛ اختلاف الأطر المرجعية في المجتمع المسلم؛ التأثر بالشعارات العصبية والقومية والوطنية؛ تفكك الروابط الأسرية؛ فقدان التربية الأسرية.

الآثار التربوية للتفاعل الحضاري في المجال الاعتقادي

أولى الإسلام أمر العقيدة عناية بالغة، واهتماماً عظيماً، سواء كان ذلك ببيان مضامينها، أو الردّ على شبهات مخالفيها، وقد مكث الرسول ﷺ في مكة ثلاثة عشرة سنة يبين للناس أمر عقيدتهم، ويشرح لهم أركان الإسلام والإيمان، حتى إذا تمكنت العقيدة في نفوس أصحابه هاجر إلى المدينة، حيث تنزلت الأحكام والتشريعات الأخرى.

تقول السيدة عائشة، رضي الله عنها، وهي تتحدث عن نزول القرآن: «إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلامِ نَزَلَ الْحَلالُ وَالْحَرَامُ»[1].

وفي هذا العصر، الذي انتشرت فيه كثير من الأفكار الهدامة، وسُهّل لها من الوسائل والأساليب الشيء الكثير، تتأكد أهمية العمل على حماية العقيدة وعدم التهاون إزاء محاولات الهدم والتضليل والإفساد والتشكيك فيها، فهو مما «يجب أن تشمّر له السواعد، وتؤلف فيه الأسفار، لأن أمة محمد ﷺ ابتليت بكيد أعدائها وجهل أبنائها، فقليلاً ما نجد، الذي يهتم بأمر

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٤٩٩٣.

العقيدة الإسلامية تعليماً ونشراً ودفاعاً وبياناً، وحماية ومتابعة، والذي ينتج عنه ظهـور جيل من أبناء المسلمـين لا يعرفون من أمـور الاعتقـاد إلا ما لُقّنوه من الأبوين، لأن المناهج التعليمية في كثير من بلاد المسلمين خالية من ذلك، وقـد يكون ذلك التلقـين عـليـه مـا عليـه من التشـويش والمبالغـات والغلو أو التفريط»[1].

ومن أخطر آثار التفاعل الحضاري، في المجال الاعتقادي، ما يلي:

١- الابتعاد عن العقيدة الإسلامية الصحيحة:

تقف العقائد في الأمم «سدودًا بينها وبين الأفكار الوافدة أو المذاهب المقتحمـة، وتعطـي أعماقـاً للصـروح والمجتمعـات والأفكـار، كمـا تمنح استقراراً وثباتاً للإنسان في الحياة، أما إذا تركت الأمـم عقائدها، وتخلفت عن غذائها الروحي، وعن عمقها الإيماني، فإنها تصبح فريسة لمن هب ودب»[2].

لقد أدى الخلط والاضطراب في مفهوم التفاعل الحضاري الصحيح مع الأمـم الأخرى، وجهل كثير من المسلمين بأبعاد عقيدتهم، وأنها تمثل السياج الحامي، والسد المنيع، أدى ببعض أبناء المسلمين إلى اقتباس كثير من الأفكار الإلحادية الهادمة السائدة في الحضارات الأخرى، مما انتهى بهم إلى الضلال

(١) الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري، العقيدة أولاً معشر الدعاة، ط١ (القاهرة: دار الحرمين للطباعة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ص٦٦-٦٧.

(٢) أحمد عبد الرحيم السايح، مواجهة الغزو الفكري ضرورة إسلامية، د.ط. (القاهرة: مركز الكتاب للنشر، د.ت.) ص٣١.

وعدم الاهتداء إلى سبل السلام وحقائق الإيمان الصحيح؛ ذلك أن قضية الإيمان في الحضارة الإسلامية قضية جوهرية لا تقبل المساس، ولا تسمح أن يُتعرض لها بالتبديل أو التغيير.

ولقد تميزت الحضارة الإسلامية «وكان لابد أن تتميز بين حضارات الشرق وحضارات الغرب، ذلك أنها انطلقت وسارت واستهدفت غاية من زاوية لها قيمتها، هي: الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له، والتوحيد هو لب القضية الإيمانية... من أجل عمارة الكون وتعمير الحياة بالخير والرخاء في ظل منهج العقيدة»[1].

والمسلمون، لو عادوا إلى «مذهبيتهم الإسلامية»، كما يقول محسن عبد الحميد، وهو يؤكد أهمية العقيدة في بناء الحضارة، «لاستطاعوا أن يخدموا أنفسهم ويفيدوا غيرهم، من أجل إنقاذ الحضارة من المادية الموغلة، والقيادات الطاغوتية المنحرفة، والقيام بدور عالمي لإنقاذ البشرية»[2] .

فالانحراف في العقيدة، وعدم الاهتداء إلى الإيمان الصحيح سبب رئيس من أسباب تخلف المسلمين، وليس التحدي الفكري والأخلاقي والاجتماعي وغيرها من التحديات «إلا صورة من غياب المواجهة العقدية، والأمة التي تبتعد عن عقيدتها لا شك أنها ستبتعد عن معطيات هذه العقيدة؛ وغياب أو تغييب

---

(١) هاشم بن علي الأهدل، أصول التربية الحضارية في الإسلام، ص ٢٣٣.

(٢) محسن عبد الحميد، مذهبية الحضارة الإسلامية، ضمن بحوث الموسم الثقافي لندوة الحضارة (بغداد: مطبعة المجمع العلمي، ١٤١٧هـ) ص ١٧؛ والمذهبية الإسلامية هي ما ذهب إليه الإسلام في شؤون الكون وخالقه، والمجتمع والإنسان وخلافته، واليوم الآخر.

العقيدة الإسلامية وتأثيرها عن واقع الحياة يؤدي إلى قيام مجتمعاتنا العربية والإسلامية على أسس غريبة عن أصالتها وانتمائها»[1].

ومن هنا ندرك أهمية العقيدة الإسلامية، وكيف ولماذا هي مستهدفة من قبل أعداء الأمة، الذين لما يئسوا من تحريفها نتيجة وعد الله بحفظها، عمدوا إلى زعزعتها في نفوس أبناء الأمة عبر كثير من وسائل التفاعل الحضاري.

٢- تأويل النصوص:

لقد أوجدت الرغبة في اللحاق بالحضارة الغربية «فقهاً أو فهمًا دفاعيًا توفيقيًا، يدافع عما يمكنه الدفاع عنه من أحكام الإسلام وشرائعه، ويحاول التوفيق بين ما في الإسلام وما عند الغرب فيما لم يمكنه الدفاع عنه أمام الحضارة الغربية، التي لا تعترف إلا بما تدركه الحواس، وذلك عن طريق التأويل، الذي يصل إلى حد التحريف...»[٧].

ولكي تنجح قضية تأويل النصوص، عمد الغرب إلى إحياء عقائد الفرق (الإسلامية) المنحرفة، التي منهجها تأويل النصوص وتعطيلها.. فقد «أحيت قوى التغريب والغزو الثقافي لخدمة النفوذ الأجنبي مفاهيم الباطنية القائمة على الرفض والتعطيل، وإبطال النبوة والعبادات، وإنكار البعث، والقول بأن للقرآن والأحاديث بواطن تجري مع الظواهر مجرى اللب من القشر... ومن خلال

---

(١) هاشم بن علي الأهدل، أصول التربية الحضارية في الإسلام، ص٢٤٥.

(٧) محمد بن شاكر الشريف، تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، ط١ (مطابع المنتدى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) ص٥٩-٦٠.

الفلسفة الباطنية قامت دعوات عديدة، ولم تزل كلها تعتمد الفلسفة اليونانية، والفلسفة الغنوصية معاً أساسًا لها، وخاصة الأفلاطونية المحدثة، وجرت كلها على التأويل الفلسفي والاستناد على مفاهيم المجوسية القديمة... »[1].

وهذا يؤكد عظم المسؤولية الملقاة على عاتق مسؤولي التربية، فالهجمة شرسة، وبالتالي ينبغي أن يكون الجهد المبذول في حماية العقيدة جهدًا مكثفًا ومضاعفًا، ويتمثل ذلك بتضمين العقيدة الإسلامية في المقررات الدراسية، والرد على الشبهات، وتبيين حقيقة المذاهب الفكرية المنحرفة، واستخدام أفضل الوسائل والأساليب لدراسة العقيدة وغير ذلك من الجهود النافعة.

٣- إضعاف عقيدة الولاء والبراء:

من الثوابت، التي جاء بها الإسلام، عقيدة الولاء والبراء، وجعل ذلك من أوثق عرى الإيمان، يقول النبي ﷺ: «**أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِيهِ**»[2].

وقد ضعفت هذه العقيدة في أجواء الترويج لكثير من الشعارات البراقة مثل: حوار الحضارات، وتوحيد الأديان والتقريب بينها، والتعايش السلمي، والتفاعل الحضاري، حتى وصل الأمر ببعض المسلمين أن يقفوا صفاً واحداً مع غير المسلمين «ضد إخوانهم المسلمين، وذلك انطلاقاً من مفهومات وطنية وإقليمية ضيقة، جاء الإسلام لاجتثاثها وبترها من جذورها»[3].

---

(١) أنور الجندي، التيارات الوافدة، ط١ (القاهرة: دار الصحوة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ص١٦-١٧.

(٢) عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، حديث رقم:٣٠٤٢١، ٦/١٧٠.

(٣) سامي محمد صالح الدلال، الإسلام والعولمة، ص ٢٥٨.

وهكذا يتلاشى مفهوم الولاء، الذي يقوم على أساس الدين؛ ليحل محله مفهوم الرابطة الوطنية والإقليمية، وُتَهَمَّش العقيدة، حتى شاعت كثير من المفاهيم والمصطلحات، التي تسهم في عملية التمييع والتذويب لما بين المسلم وغيره من فوارق عقدية[1].

والدعوة إلى إحياء عقيدة الولاء والبراء ليست دعوة إلى عزل الأمة عن بقية العالم، وإنما القصد حماية الأمة من الذوبان والانصهار في أفكار الحضارة الغربية.

٤- الدعوة إلى تطوير الشريعة وتجديدها:

الدعوة إلى تطوير الشريعة كلمة برّاقة، لكنها خدّاعة تهدف إلى تحريف الشريعة وتبديلها، وإخضاعها للذوق الإنساني، فيختار كل إنسان منها ما يشاء ويترك ما يشاء، تحت ذريعة عصرنة الشريعة وتطويرها.

وترجع فكر التطوير والعصرنة إلى عصر النهضة في الغرب، فقد ظهرت فيه اتجاهات «تنادي بالتغيير في كل شيء حتى في منظور الحقيقة، وبذلك جعلوا الدين وغيره من القيم تابعًا ذليلاً لفكرة التغيير والتطور. أما أمتنا الإسلامية فقد ظهر فيها اتجاهات متأثرة بموقف الغرب من فكرة التطور والتغيير حتى في الدين والقيم الثابتة، حيث يقول البعض صراحة: إن الدين خرافة لا يصح أن يعيش

---

(١) انظر: بكر أبو زيد، معجم المناهي اللفظية، ص ٢٦٧؛ عبد الستار فتح الله، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ضمن بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي عام ١٣٩٦هـ، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إدارة الثقافة والنشر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٢٢٣؛ عبد الرحمن المحمود، لم يتم حوار حضارات حقيقي، مجلة البيان، العدد: ٢٥٤، شوال ١٤٢٩هـ/أكتوبر ٢٠٠٨م، ص٤٣

في عصر التطور، والبعض الآخر لا يجرؤ على مهاجمة الدين صراحة، فيهاجمه تحت ستار: مهاجمة الأفكار الرجعية... كل هذا بسبب تأثرنا بدعاوى غربية حول التغيير وعدم الثبات حتى في الدين وقيمه»[1].

فهناك: «تيارات فكرية تستتر وراء عناوين خادعة، وهي في جوهرها محاولات عنيفة لفصل المسلمين عن دينهم، ووضعهم في مجال التبعية لغيرهم... وهذه الاتجاهات المغربة، التي تنادي بتجديد الفكر الإسلامي تسير في طريق خدمة الاستعمار منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ولكن من غير قصد مباشر...»[2].

أما التجديد والتطوير، بمعناه الصحيح، فهو يعني «إعادة الدين بنصوصه وقواعده ومناهج الفهم والاستنباط منه إلى حالته الأولى، التي أنزله الله عليها، وإزالة كل ما تراكم عليه من سمات ومظاهر طمست جوهره، وشوهت حقيقته»[3] ويعني كذلك تطوير وسائل وأساليب تبليغ الدين، والاستفادة من التكنولوجيا المعاصرة، وتسخيرها لخدمة الدين الإسلامي، كل ذلك وفق قواعد الشريعة ومقاصدها.

---

(١) علي لبن، الغزو الفكري في المناهج الدراسية، ط٣ (دار الوفاء، ١٩٩٢م) ص٣١-٣٢.

(٢) محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط٦ (مكة المكرمة: المكتبة الفيصلية، ١٩٧٣م) ص٥.

(٣) عدنان محمد أمامة، التجديد في الفكر الإسلامي، ط١ (الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٢٤هـ) ص٦.

ويمكن تمييز التجديد الصحيح من الباطل في ضوء: أن «كل تجديد ينطلق من أصول السلف، ويعتمد منهجهم وأساليبهم ومنطلقهم في التجديد، ويستوعب نظراتهم ومقاصدهم ليضيف إليها ما يتفق وتحديات عصره هو تجديد صحيح، وأما التجديد، الذي يتنكر لأصول السلف وقواعدهم في الفهم، ويخترع أصولاً ما أنزل الله بها من سلطان، ويعتمد مناهج وفلسفات فاسدة بديلاً عن منهج الوحي المعصوم، فهو تجديد باطل منحرف محكوم عليه وعلى أصحابه بالضلال»[1].

والإسلام لم يمنع «من تطوير القيم الصغرى المرتبطة بالبيئات والأزمنة دون المساس بالقيم العليا الثابتة، بل هذا التفاوت والاختلاف في القيم الصغرى جائز، بل وضروري في تقدير الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي، بشرط عدم الخروج عن القيم الكبرى، التي أقرها الإسلام، وتحركا في دائرة التوحيد والتقوى والعدل والإيمان»[2].

وهناك الكثير من الآثار الأخرى الخطيرة للتفاعل الحضاري في المجال الاعتقادي، مثل انحسار المفهوم الشامل للدين وإنكار الغيبيات وغيرها.

---

(١) عدنان محمد أمامة، التجديد في الفكر الإسلامي، ص٣٥٧-٣٥٨.

(٢) أنور الجندي، قضايا العصر ومشكلات الفكر تحت ضوء الإسلام، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ص١٦١.

الآثار التربوية للتفاعل الحضاري
في المجال العلمي

يعتبر المجال العلمي من مجالات التفاعل الحضاري الأكثر رحابة، من حيث إمكانية الاستفادة من الغرب والاقتباس فيما يعود نفعه على الإسلام والمسلمين.. وعلى الرغم من ذلك فإن ما تحقق لم يكن بالمستوى المطلوب، بل إن ما تم اقتباسه وما ترتب على ذلك من آثار كان أكثرها سلبياً، إلا أن هذا لا يمنع من وجود بعض الآثار الإيجابية.

أولاً: الآثار الإيجابية:

ومن أهمها:

١- الابتكار والإنتاج:

من خلال التفاعل الحضاري، استطاعت دول كثيرة -كاليابان مثلاً- أن تبتكر وتنتج في المجال العلمي، وتتنقّل من طور إلى طور، «من عصر البخار إلى عصر الكهرباء، إلى عصر الذَرَّة والنواة، وغزو الفضاء، والثورة البيولوجية،

وهندسة الوراثة»[1] وغير ذلك من الابتكارات في حقول المعرفة، ويمكن للعالم الإسلامي، من خلال التفاعل الحضاري، أن يبتكر وينتج في مجالات العلم، فالعلم ليس شقيقاً لأمة معينة، وليس خاصاً ببلد دون غيره من البلدان.

٢- التحصيل العلمي والمعرفي:

ازداد التحصيل العلمي والمعرفي بسبب «الاطلاع على الثقافات الأخرى وتعدد مصادر المعرفة، وتبادل الأفكار والثقافات، والتعريف بالحضارات الإنسانية في الميادين العلمية وغير ذلك»[2]، ولا شك أن التفاعل مع الأمم الأخرى، والاقتباس منها له الأثر الواضح في رفع مستوى التعليم، وخاصة فيما يتعلق بالعلوم الطبيعة والكونية، وإن كان هذا التحصيل يوصف بالضعف والهشاشة.

٣- اكتساب اللغات:

لقد تم اكتساب عدد من اللغات بسبب التفاعل الحضاري واحتكاك الأمم بعضها ببعض، فانتقلت اللغات الأجنبية إلى البلدان الإسلامية عن طريق الابتعاث، كما انتقلت عن طريق حملات الاستعمار وما تلاها من حملات التغريب.

---

(١) يوسف القرضاوي، الإسلام حضارة الغد، ص٣٠.

(٢) إبراهيم بن عبد العزيز الدعيلج، البث المباشر، الآثار والمواجهة تربوياً وإعلامياً، ط١ (مكة المكرمة: دار القبلة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م) ص١٣٠.

ثانياً: الآثار السلبية:

ومن أخطرها:

١- تغريب التربية والتعليم:

من الآثار الوخيمة للتفاعل الحضاري تغريب التربية والتعليم، فبإفسادهما تمكن الغرب من إفساد الناشئة وتربيتهم تربية غربية، ذلك أنهم أدركوا «أن أكثر الوسائل جدوى وقوة وتأثيراً لتحقيق غايته هي التركيز على الجانب التربوي والتعليمي»[١]، وأيقنوا، كما يقول أحدهم: «إن السبيل الحقيقي للحكم على مدى التغريب أو الفرنجة هو أن نتبين إلى أي حدٍ يجري التعليم على الأسلوب الغربي وعلى المبادئ الغربية وعلى التفكير الغربي... هذا هو السبيل الوحيد ولا سبيل غيره، وقد رأينا المراحل التي مر بها طبع التعليم بالطابع الغربي في العالم الإسلامي، ومدى تأثيره على تفكير الزعماء المدنيين، وقليل من الزعماء الدينيين»[٢].

وقد تحقق للغرب ما أراد، ليس في يومنا هذا، بل منذ قرون مضت، حيث تمت السيطرة على التعليم في العالم الإسلامي[٣].

ويتجلى أثر التعليم الغربي في الجماهير المسلمة في «أنه قد جعلهم غير دينيين في مظهرهم العامة، وأنهم يقرأون مواضيع لا صلة لها بالدين ولا تناقش

---

(١) عمر بن عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص١٧٨.

(٢) عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر، ١/٤١٢.

(٣) للتفصيل انظر: علي محمد جريشة، ومحمد شريف الزيبق، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ص٦٣.

فيها وجهة نظر الدين، ولم تعد الشريعة مرتبة بحياته الاجتماعية، وصار يعتقد عدم صلاحية الدين لإمداده بحاجاته الروحية، فضلاً عن حاجاته الاجتماعية، وبذلك فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية، وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئاً فشيئاً حتى انحصرت في طقوس محددة...»[1].

٢- هجر اللغة العربية:

تظهر أهمية اللغة في كونها أداة للتعبير عن الأفكار والمبادئ والقيم، التي تمتلكها الأمة؛ واللغة العربية وعاء الدين والحضارة والفكر، وأداة التفاهم بين أفراد الأمة؛ ومحاربة لغة الأمة، التي هي بهذا المكانة، تعني محاربة الأمة في ثرواتها العقدية والفكرية والحضارية، إذ لا يمكن فهم حقائق الدين وحضارة الأمة إلا عن طريق لغتها.

وقد «أدرك أعداء الإسلام أن الشعوب الإسلامية مادامت على صلة وثيقة باللغة العربية، فإنها ستظل مرتبطة بالإسلام وبالقرآن، وستظل متمسكة بفكرة الوحدة الإسلامية الكبرى، ومن أجل ذلك أخذ أعداء الإسلام يوجهون مختلف القوى، ويتابعون ألوان الجهود، ويتخذون شتى الوسائل الممكنة لصد الشعوب الإسلامية عن اللغة العربية، وصرف الشعوب العربية عن اللغة العربية الفصحى»[2].

---

(١) عبد الرحمن حبنكة الميداني، غزو في الصميم، ص٣٨.

(٢) عبد الرحمن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، ط٥ (دمشق: دار القلم، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م) ص٣٤٧-٣٤٨.

والمتأمل في أحوال المسلمين اليوم يجد أنهم، بسبب سوء التعامل مع عملية التفاعل الحضاري، انبهروا باللغات الغربية الوافدة، الإنجليزية والفرنسية والإيطالية وغيرها من اللغات، فأصبح المتكلم بلغة من تلك اللغات يوصف بأنه متعلم ومثقف، ومتحضر ومنفتح، وغير ذلك من الألقاب، كل ذلك تم بسبب شن المستعمرين حروباً شرسة على اللغة العربية في كل بلد إسلامي حلوا فيه، فعملوا على تغييبها وتهميشها، وذلك من خلال ثلاثة محاور:[1]

الأول: فرض لغة المستعمر على البلاد.

الثاني: الدعوة إلى إحلال العامية محل اللغة العربية الفصحى.

الثالث: الدعوة إلى كتابة اللغة العربية أو لغات المسلمين بالحروف اللاتينية.

واستجابة لدعوة الغرب وحملاتهم هبّ دعاة التغريب إلى تطبيق محاربة اللغة عملياً في البلدان الإسلامية، فتم اقتراح استبدال الفصحى بالعامية، والدعوة إلى تطوير اللغة العربية، واتخاذ الحروف اللاتينية للكتابة العربية، ونقل اللغات الإسلامية غير العربية المكتوبة بالعربية إلى الحروف اللاتينية، وغير ذلك من وسائل القضاء على اللغة العربية، إضافة إلى ما حصل من جراء تفاعل الأمة الإسلامية مع الأمم الأخرى من اختلاط الألسن، والتفاخر باللغات الأجنبية الوافدة، وليس هذا إلا أثراً من الآثار السالبة للتفاعل الحضاري.

---

(١) عثمان دوكوري، التدابير الواقية من التشبه بالكفار، ١/١٦٤.

لقد كان التعليم قبل اجتياح عاصفة الاستعمار البلدان الإسلامية يتم باللغة العربية الفصحى «إذ كان مطلوباً من الطلبة أن يدرسوا النحو والصرف والشعر، وحضور مجالس الأدب، وكانوا لا يغفر لهم إن هم ارتكبوا خطأ لغوياً، وقد كان من واجب كل متعلم أن يتقن اللغة العربية»[1]، وكان اعتماد اللغة العربية في التدريس من أهم العوامل، التي ساعدت على بناء منظومة ثقافية موحدة في تلك الدهور، بينما نجد اختلاف لغات التعليم في العصر الحاضر يُنَمِّي الخلاف والشقاق، الذي ابتلي به العالم الإسلامي.

٣- استعارة النظم والمناهج التعليمية الغربية:

أصبح نظام التعليم في العالم الإسلامي، نتيجة احتكاكه بالغرب المتقدم مادياً، يُستورد كما تستورد البضائع والسلع، وكأن عملية التربية عملية بيع وشراء، وقد تنبه لهذه الخطورة كثير من علماء المسلمين ومفكريهم، منذ عقود خلت، ومنهم الشيخ الندوي.. يقول رحمه الله:

«إن للعلوم والكتب روحاً وضميراً كالكائنات الحية... فالعلوم التي أنشأها الإسلام وصاغها في قالبه، قد سرت فيها روح الإيمان بالله، والتقوى والخشية لله، والفضيلة والإيمان بالآخرة، والعلوم التي وضعها اليونان أو رتبوها اشتملت على خرافاتهم، وعلى روحهم الجاهلية، وكذلك العلوم التي دونتها أمم أوروبا الملحدة، والكتب التي ألفها أدباؤها وفلاسفتها، قد سرى فيها الإلحاد

---

(١) منير الدين أحمد، تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم، ص٦٢.

والجمـود، والإيمـان بالماديات والمحسـوسات فقـط، وقلة التقـدير بما لا يأتي تحت الحس والوزن والعد والتجربة، وما لا يحصل له لذة أو نفع في الأخلاق، وسـرت هـذه الـروح في علـومهم وفلسـفتهم، وأدبهـم وشـعرهم، وقصصـهم وتمثيلهم..»[1].

وتحتـاج سياسـة التعليم في بـلاد المسـلمين إلى «تغيـير شـامل؛ لأنها أصبحت تسير عكس الاتجاه، الذي سار فيه أسلافنا...»[2]، «ويجب أن تكون مناهج التعليم في بلاد المسلمين مستمدة من تعاليم الإسلام، سواء كانت مناهج دينية أو طبيعية أو كونية أو غيرها من المواد، التي تدرس في بلاد المسلمين، وألا يفصل الدين عن الحياة في شتى المجالات»[3].

إن اقتبـاس النظـريات الغربيـة في التربيـة وعـلم الـنفس والاجتمـاع وتوظيفهـا كمـا هـي، أو تقريرهـا في المجتمعـات الإسلامية دون نقـد أو إبطـال وكأنـها نظـريات علميـة وحقـائق ثابتـة، مـا هـي إلا أثـر مـن آثـار التفاعـل الحضاري المذموم[4].

---

(١) أبـو الحسـن النـدوي، نحـو التربيـة الإسـلامية الحـرة، ط٢ (بيـروت: مؤسسـة الرسـالة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ص١٠.

(٢) عبد الفتاح عشماوي، التعليم فـي بـلاد المسلمين وكيـف يكـون فـي سياسته ومناهجـه ومواده وغاياته إسلامياً، ص١٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٢.

(٤) لمزيد من التفصيل انظر: عبد الرحمن حبنكة الميداني، كواشف زيوف، ط٢ (دمشق: دار القلم، ١٤١٢هـ/١٩٩١م) ص٧٥-٧٦.

وهي ليست حقائق علمية، بل ليست فرضيات، ناهيك عن أن تكون حقائق ثابتة «وهي لا تستطيع التجاوب مع متغيرات العصور، ومع اختلاف البيئات، وهي تبدو في نقلها إلى أفق الفكر الإسلامي كالثوب المهلهل، وقد كان نتاجها أجيال مهزومة، ضعيفة كليلة متهاوية»[1].

٤- فتح المدارس الأجنبية:

انتشرت المدارس والجامعات الأجنبية في البلدان الإسلامية خلال القرنين الأخيرين، وكانت أولى هذه المدارس إنشاءً هي الكلية السورية الإنجيلية في بيروت سنة ١٨٦٦م، ثم كلية الأستانة، ثم الجامعة الأمريكية بالقاهرة سنة ١٩١٩م، وتهتم تلك الجامعات والمدارس بالقسم الداخلي وخاصة للبنات، كما يهتمون بإنشاء دور لإيواء الطالبات المغتربات، حيث يؤدي ذلك إلى انتزاعهن من بيئتهن المسلمة، ووقوعهن تحت سيطرة الغرب مباشرة[2].

٥- ابتعاث الطلاب إلى الغرب:

لقد تنبه الغرب لأهمية الابتعاث ودوره في تضليل وإفساد أبناء المسلمين، ويعبر عن ذلك أحدهم بقوله: إن «واحداً من أهم القطاعات الاستراتيجية للطلاب، هم أولئك الذين يقفون على عتباتنا، ذلك أن أعداداً كبيرة من كل

---

(١) أنور الجندي، كيف يحطم المسلمون قيد التبعية والحصار، ط١ (مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص١٠.

(٢) حمد بن صادق الجمال، اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، ١/٣٤١-٣٤٢.

بلاد العالم تدرس الآن في أوروبا وأمريكا الشمالية وأستراليا، وإن الانطباع الذي يأخذه معهم هؤلاء الرجال والنساء إلى أوطانهم، وكثير منهم سوف يتولون وظائف مهمة، ليتوقف إلى حد كبير على الترحيب والحب والصداقة، التي يظهرها المسيحيون، الذين يقابلونهم، ويجب أن نتذكر جيدًا أن الطالب، الذي يعود ليعمل كمبشر بين شعبه من المحتمل أن يكون أفضل بكثير من أي أجنبي آخر»[1].

يتضح من هذا أن وسائل إفساد المسلمين متنوعة ومتعددة، وكلها تعمل على تقويض المعتقد الصحيح واجتثاثه من نفوس المسلمين، والابتعاث ما هو إلا واحد من تلك الوسائل التي عانى منها المسلمون آثاره المدمرة.

٦- ازدواجية التعليم:

تم تقسيم التعليم، في كثير من البلدان الإسلامية، إلى تعليم ديني وآخر عصري ومدني، وكان ذلك بهدف إيجاد فئتين من المثقفين تختلف وجهات نظرهما في مفاهيم الدين وشؤون الحياة؛ لتكون المحصلة النهائية من هذا التعليم تخريج عقليتين مختلفتين في المرجعية وطرق التفكير لتتصارعا وتنفق طاقتيهما «في مقاومة بعضهما البعض في الداخل، بدل أن يوجهوها لبناء الأمة ودحر الأعداء»[2].

---

(١) أحمد عبد الوهاب، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، ط١ (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ص١٦٧.

(٢) محمد عبده يماني، المعادلة الحرجة في حياة الأمة الإسلامية، ص٢٣.

٧- ضعف التحصيل في العلوم الشرعية:

لما تخلى الغرب عن التعليم الديني المسيحي وقلل من شأنه تأثر بعض المسلمين بهذا الأمر، فقامت سياسات التعليم في بعض بلدان المسلمين على تهميش التعليم الديني إما بحذفه كاملاً من المنهج الدراسي، أو بإبقائه محرّفاً ومشوّهاً، أو بتقليل الساعات والحصص، التي تُعطى للعلوم الشرعية، أو جعل الحصص الدينية في أوقات الفتور والخمول وهو آخر الدوام، وقد نتج عن هذه السياسة التعليمية كثير من الآثار السالبة، منها:[1]

أ- نقص العلماء الشرعيين.

ب- ضعف العلماء الموجودين لضعف المناهج، التي درسوا عليها.

ج- ضعف الحصيلة العلمية لجميع الناس.

وهكذا أدى التفاعل الحضاري في المجال العلمي، إلى هذه الآثار السلبية، مما يتطلب أن تتكاتف المؤسسات التعليمية والتربوية في العالم الإسلامي لمواجهة ذلك الخطر المؤجّه نحو التربية والتعليم.

---

(١) عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر، ١/٤٢٦.

الآثار التربوية للتفاعل الحضاري في المجال الاجتماعي

الجماعة صفة لازمة للإنسان، فهو مدني بطبعه، يصعب عليه العيش على انفراد، ذلك أن قوته وتلبية حاجاته وتحقيق رغباته يستمدها من المجتمع، وسواء كان ذلك المجتمع مجتمعاً فاسداً أو مجتمعاً صالحاً، فهو متأثر به، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

والإنسان على مر الأزمنة وكر الدهور كان يحتك بمجتمعه ويتأثر به، والمجتمع الإسلامي ليس خارجاً عن هذه الغريزة، فقد مرت به أزمنة تفاعل مع من حوله من الأمم بعقلية واعية رشيدة، حيث ميّز بين العام والخاص في مسيرة الحضارة الإنسانية، فاستفاد من العام المشترك ونَبَذَ الخاص، الذي لا يتفق مع خصوصيته، ولكن سرعان ما تغيرت المفاهيم والأوضاع «فبدأ احتكاك المجتمع الإسلامي بالمجتمع الغربي الشارد عن دينه في القرن التاسع عشر الميلادي، ومنذ اللحظة الأولى أحس الغرب - المغرور بتقدمه المادي- بتفوقه الاجتماعي على العالم الإسلامي، الذي لا شك أنه كان لديه من الفضائل ما يفتقده الغرب، لكن نظرة الغالب إلى المغلوب لا تسمح بالرؤية

الصحيحة عادة، لاسيما والروح الصليبية الحاقدة كانت من ورائها، وبالمقابل أحس المجتمع الإسلامي بالانبهار القاتل واستشعر النقص المرير...»[1].

ومن هنا، تأثر المجتمع الإسلامي بالمجتمع الغربي في كثير من النواحي، سلباً وإيجاباً.

أولاً: الآثار الإيجابية:

وعلى الرغم من أن مساحة الإيجابيات ليست بالكبيرة، إلاّ أننا نذكر منها:

١- تقدم المجتمع:

من أبرز الآثار الإيجابية للتفاعل الحضاري المنشود تقدم المجتمع ورقيه، ذلك أن الأخذ بالأسباب وسنن التقدم والتطور من الأمم المتقدمة الأخرى، وتطبيقه في مجتمعاتنا الإسلامية، يؤدي بلا شك إلى نوع من التقدم مما حدث في المجتمع الغربي، في مجال الصناعة والتكنولوجيا، فمثلاً إذا طُبقت أساليب البحث العلمي المعاصر، وتم استدعاء ما هو نافع، وصاحب ذلك حيوية ونشاط، وعزيمة قوية، وجهد دؤوب، فإن التقدم حاصل بإذن الله[2].

٢- سهولة الاتصال بين المجتمعات بتطور المواصلات:

كانت المواصلات في القدم تتم عبر وسائل بدائية، مثل ركوب الحمير والأنعام والبغال والخيول وغير ذلك، مما كان يُستخدم لأغراض السفر، يقول

---

(١) جميل عبد الله محمد المصري، حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ط٢ (عمان: دار أم القرى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ص٢١١.

(٢) انظر مثلاً: يوسف بن أحمد محمد العجلاني، العدل وتطبيقاته في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ، ص٥٦.

تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل:٥-٨).

ولما ازدادت حاجة البشر إلى الاتصال فيما بينهم، ازدادت الحاجة إلى تطوير المواصلات -وكما قيل: الحاجة أم الاختراع- فابتكر الناس بفضل الله ومنّه أدوات جديدة سهّلت عملية الاتصال والتفاعل فيما بينهم، فتم اختراع السيارات والطائرات والباخرات والقطارات وغير ذلك.

وقد تداول البشر فيما بينهم تلك الوسائل والأدوات، فلم تكن حكراً على دولة دون أخرى، -وإن كانت براءة الاختراع وأسرار صنع تلك الأدوات حكراً على صانعيها- ومن هنا استوردت البلاد الإسلامية تلك الوسائل والأدوات، فساهمت في تيسير الاتصال بين المجتمعات الإسلامية، فيما بينها، وبينها وبين غيرها من المجتمعات الأخرى.

٣- المساهمة في ترتيب أولويات المجتمع:

المجتمع «يعيد ترتيب أموره الداخلية وفق المعلومات الجديدة، التي يستقبلها، وأيضاً، تزداد الحيوية الثقافية من خلال متابعة التطورات الثقافية العالمية ومن ثم لا يصبح المجتمع في عزلة عما يدور في العالم»[1].

---

(١) إبراهيم بن عبد العزيز الدعيلج، البث المباشر الآثار والمواجهة تربوياً وإعلامياً، ص١٣١.

ثانياً: الآثار السلبية:

وأما الجوانب السلبية، التي نتجت عن التفاعل الحضاري مع الغرب على المستوى الاجتماعي، فما أكثرها، والسبب في ذلك «أن الحياة الاجتماعية وما يسودها من قيم خلقية، وآداب سلوكية، وما يحيط بها من عادات وأعراف وتقاليد، هدف ضخم من أهداف التغريب، عملوا على تدميرها وضربها بمختلف الموجات المسمومة»[1].

ومن أبرز هذه الآثار:

١- تقليد نمط العيش الغربي:

كلما ظهرت في الغرب اتجاهات وطرق جديدة لارتداء الأزياء، وتناول الأطعمة، تمضي بعض المجتمعات الإسلامية وراء هذا الأمر بلا شعور «والدليل على هذا ما نراه في الشوارع وفي المدارس، وفي كليات الجامعة، وأحياناً يكون من الصعب، بسبب الموضة، التفرقة بين الطالب والطالبة، إنهما يلبسان نفس البنطلون ونفس البلوزة، أو القميص، وقصة الشعر واحدة، والشنطة يحملها الفتى في ذراعه كما تحملها الفتاة تماماً»[2]، وهكذا نجد أنه ما من ظاهرة من الظواهر الاجتماعية السالبة في الغرب، إلا ولها في بعض مجتمعاتنا قبول وترحيب.

ولأبي الأعلى المودودي، رحمه الله، كلام نفيس أورده بطوله، حيث يقول: «إن كان هناك شيء ينبغي ويستحق أن تأخذه أمة عن الأمم الأخرى،

---

(١) أحمد عبد الرحيم السايح، مواجهة الغزو الفكري ضرورة إسلامية، ص١٣٤.

(٢) أحمد عبد الرحيم السايح، أضواء على الحضارة الإسلامية، ص١٩٣.

فإنما هو نتائج أبحاثها العلمية، وثمرات قواها الفكرية، ومعطياتها الاكتشافية، ومناهجها العملية، التي تكون بلغت بها معارج الرقي في الدنيا.

إن أي أمة في الأرض إذا كان في تاريخها أو في نظمها الاجتماعية أو في أخلاقها درس نافع، فمن الواجب أن نأخذ منها، ومن الواجب أن نستقصي أسباب رقيها وازدهارها بكل دقة وتمحيص، ونأخذ منها ما نراه ملائماً لحاجاتنا وظروفنا؛ لأن هذه الأمور إرث مشترك بين الإنسانية.

ولكننا إذا أعرضنا عن هذه الأمور الجوهرية، ورحنا نأخذ من أمم الغرب ملابسها، وطرقها للمعيشة، وأدواتها للأكل والشرب، بزعم أن فيها السر لنجاح تلك الأمم ورقيها، فلا يكون ذلك إلا دليلاً على غباوتنا وبلادتنا وحماقتنا، فهل لأحد عنده العقل أن يعتقد أن كل ما أحرزه الغرب من التقدم والرقي في مختلف حقول الحياة، إنما أحرزه بالجاكيت والبنطلون، ورابطة العنق، والقبّعة، والحذاء؟ أو أن أسباب رقيه وتقدمه أن يتناول طعامه بالسكين والشوكة؟ أو أن أدواته للزينة والرفاهية، والمساحيق والمعاجين، والأصباغ، هي التي قد سمت به إلى أوج الرقي والكمال؟ فإن لم يكن الأمر كذلك - والظاهر أنه ليس كذلك- فما للتقدميين المتشدقين بالإصلاح عندنا لا يندفعون أو ما يندفعون إلا إلى هذه المظاهر؟ وما لهم لا يدركون أن كل هذا الجمال والبريق، الذي يبهر الأنظار، ويبهت العقول في حياة أهل الغرب، إنما هو ثمرة ما قد بذلوه تباعاً طيلة قرون ماضية من الجهود المضنية المرهقة، وأن أي أمة في الأرض إذا ما عملت لرقيها بالجهد المتصل والصبر الجميل،

والعزيمة المتدفقة كما عمل أهل الغرب، فلا بد لها من إحراز ما يبهت العقول ويبهر الأنظار.

يتضح من هذه الدلائل أن اختيار أمة للباس أمة غيرها، وأسلوبها للمعيشة، إنما هو حالة غير طبيعية لا تتفق بحال مع المعقولية، إذ أن الإنسان في الظروف العادية لا يتفكر ولا يكاد يجد بحاجة إلى أن يتفكر في أن يترك أسلوب الحياة السائدة في مجتمعه، ويختار طريق الأجانب للحياة، إن مثل هذه الفكرة لا تنشأ دائماً إلا في ظروف غير طبيعية...»[1].

وهذه «الظروف غير الطبيعية» هي ما تمر به الأمة الإسلامية اليوم من ضعف وتفكك، وابتعاد عن دينها وقيمها الإسلامية، وتفوق عدوها علمياً وعسكرياً واقتصادياً.

لقد أصبح تقليد الغرب في عباراته، وألفاظه، ولغته، وعاداته، وجميع سلوكياته أمراً تستسيغه الناشئة في البلدان الإسلامية، ظناً منهم أن ذلك شعار التقدم والحضارة، متناسين أن تقليد هذه الأمور يحمل في طياته تقليداً ضمنياً لآراء وأفكار وعقائد الغرب.

وليس من شك في أن الأمة المسلمة إذا استعادت عزها ومجدها، وأخذت زمام الريادة والقيادة، فلا شك أنها إذ ذاك لن ترضى تقليد الغرب في حياته الاجتماعية.

---

(١) أبو الأعلى المودودي، الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، ص١٦٣-١٦٤.

٢- اختلاف الأطر المرجعية في المجتمع الإسلامي:

لقد أدى التفاعل الحضاري إلى تعدد المناهج، والأطر المرجعية، التي يحتكم إليها أفراد المجتمع المسلم، فالبعض يتخذ العلمانية مرجعاً، وآخرون يتحكمون إلى الشيوعية، وغير ذلك من المناهج المتعبة في العصر الحاضر.

ولا شك أن اختلاف المناهج «يضعف من طاقة الأفراد الإنتاجية، ويشكل صعوبة في الاتصال الفكري بينهم، كما يؤثر في تماسكهم الاجتماعي، بينما اشتراك الأفراد والجماعات في أطر مرجعية متشابهة، ومعايير اجتماعية متقاربة، يشكل أساساً قوياً من أسس انتماء الأفراد لجماعاتهم، وسهولة اتصالهم ببعضهم، فيحرصون على تأكيد نفس المثل والقيم والمصالح، فيقوى الانتماء للجماعة والمجتمع»[1].

وإذا تأكدت أهمية المرجعية الواحدة، فيجب أن تكون هذه المرجعية في ضوء المنهج الإسلامي، ومنسجمة مع عقيدة الأمة المسلمة وهويتها.

٣- التأثر بشعارات العصبية والقومية والوطنية:

لقد تفجرت ينابيع الحضارة المعاصرة في أوروبا، التي «أخذت على عاتقها نشر العصبية والقومية والوطنية بصورة أشمل وأدق، مما جعل هذه النظرية الجاهلية تسيطر على العالم في مطلع هذا القرن... ومما يؤسف له أن مرض العنصرية انتقل إلى المسلمين، وفرق شملهم ووحدتهم، ولقد هبت الشعوب

---

(١) منير مرسي سرحان، في اجتماعيات التربية، ص١٢٠.

الإسلامية في الآونة الأخيرة، مثيرين للعنصريات، مختارين لها دون الوحدة الإسلامية، تأثراً بالعنصرية الغربية واقتداء بهذه الأمم الأوروبية والغربية...»[1].

إن الانفتاح، غير المنضبط، على الغرب، كانت له آثار وخيمة على الأمة المسلمة، من أخطرها محاولة القضاء على الوحدة الإسلامية، عن طريق تعميق هوة الخلاف بين أبناء الأمة الإسلامية، وإحياء القوميات الجاهلية، والنعرات القبلية المقيتة.

ولا طريق للوحدة الإسلامية إلا بنبذ العنصرية القبلية -عملاً بقول النبي ﷺ: «دَعُوهَا، فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ»[2]، وتفعيل دور الأخوة الإسلامية في تماسك المجتمع، عملاً بقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ١٠).

٤- تفكك الروابط الأسرية:

من أخطر الآثار السلبية للتفاعل الحضاري محاولات تحويل المجتمع الإسلامي والأسرة المسلمة بالذات عن منهجها الإسلامي في الحياة وفي إدارة البيت وتربية النشء، ومحاولات نشر الوسائل التي يمكن أن تجعل الأسرة عرضة للتفكك والتمزق والانهيار، والنماذج أكثر من أن تُحصى.

---

(١) محمد بن محمد بن الأمين الأنصاري، منهج الدعوة الإسلامية في البناء الاجتماعي على ضوء ما جاء في سورة الحجرات، ط٢ (مطابع الصفا، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م) ص١٤٩-١٥٢.

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٤٩٠٥؛ ومسلم، حديث رقم: ٦٥٢٦.

وقد عالج منهج التربية الإسلامية هذا التفكك الأسري الموجود في الحضارة المعاصرة، بإيجاب الحقوق الزوجية، وحقوق الوالدين، وحقوق الأبناء، وحقوق الإخوة والأخوات، وبمراعاة هذه الحقوق وتأديتها كما أوجبها المنهج التربوي الإسلامي، حتى تكون الروابط الأسرية كما أرادها رب الأرض والسماء، وكما تقتضيها الفطرة السليمة.

٥- فقدان التربية الأسرية:

أدى التفكك الأسري والتفسخ العائلي إلى أن فقدت الأسرة قدرتها على التربية، فأصبح الشارع ورفاق السوء هم الذين يقومون بوظيفة التربية الأسرية، وصدرت قرارات وتوصيات أممية تعطي الحرية المطلقة للمراهقين، ومن هذه القرارات: قرار مؤتمر السكان والتنمية الثالث بالقاهرة، الذي دعا إلى: «رفع ولاية الآباء على أبنائهم وبناتهم من حيث الرقابة الأخلاقية والتربية السوية، وحماية المراهقين والمراهقات عند تعاطيهم الجنس بغير زواج»[١].

ومن ثم، فإن التخلص من التربية الأسرية ودورها في حماية الناشئة من الفساد، هي خطة مدروسة من قبل أعداء هذا الدين[٢].

---

(١) عبد اللطيف بن إبراهيم الحسين، تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر، دراسة نقدية في ضوء الإسلام، ط١ (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ص١٩١.

(٢) انظر: محمد بن عبد الله الإمام، المؤامرة الكبرى على المرأة المسلمة، ط٣ (صنعاء: دار الآثار، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) ص٤٢.

الفهرس

وكلاء التوزيع

البلد	اسم الوكيل	رقم الهاتف	عنوانه
قطـــــــــر	دار الثقافـــــــــــــــــة دار الثقافة «قسم توزيع الكتاب»	٤٤٦٢٢١٨٢ ٤٤٤١٣٤٧١	ص.ب: ٨١٥٠ – الدوحة فاكس: ٤٤٤٣٦٨٠٠-بجوار سوق الجبر
البحـــــرين	مكتبـــــــــــــــة الآداب	٢٣١٠٦٢ ٢١٠٧٦٨(المنامة) ٦٨١٢٤٣ (مدينة عيسى)	ص.ب: ٢٨٧ – البحرين فاكس: ٢١٠٧٦٦
الكويـــــت	مكتبـــة دار المنـــار الإســـلامية	٢٦١٥٠٤٥	ص.ب: ٤٣٠٩٩ حولي شارع المثنى رمز بريدي: ٢٣٠٤٥ فاكس: ٢٦٣٦٨٥٤
سلطنة عمان	مكتبـــــة علـــــوم القـــــرآن	٧٨٣٥٦٧٧	ص.ب: ١٩٦٠ روي ١١٢ فاكس: ٧٨٣٥٦٨
الأردن	شـركة وكالــة التوزيــع الأردنيــة	٥٣٥٨٨٥٥	ص.ب: ٣٣٧١ – عمان ١١١٨١ فاكس: ٥٣٣٧٧٣٣
الـــــيمن	مجموعـــــة الجيـــــل الجديــــد	٧٨٠٤٠-٧١٣٦٣ ٢٧٠٣٨ -٧٥٨١١	ص.ب: ٥٤٤- صنعاء فاكس: ٢١٣١٦٣
الســـــودان	دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع	٤٦٦٣٥٧	ص.ب: ١١١٦٦- الخرطوم فاكس: ٤٦٦٩٥١
مصـــــــر	دار الســــلام للطباعـــة والنشـــر والتوزيـــــــع والترجمـــــــة	٢٧٤١٥٧٨ ٢٧٠٤٢٨٠ ٥٩٣٢٨٢٠	ص.ب: ١٦١ غورية ١٢٠ ش الأزهر - القاهرة فاكس: ٢٧٤١٧٥٠
المغـــــرب	مكتبة منار العرفان للنشر والتوزيع	٧٣٣٣٢٩	نهج موناستير رقم ١٦- الرباط
الجزائر	دار الـــــوعي للنشـــــر والتوزيـــــع	٠٢١٣١٧٠١٣٦٤٦ ٠٢١٣٥٤٥١١٠١٥	القطعة رقم ١٤٢ ب حي الثانوية - الروبة -الجزائر
إنكلـــــترا	دار الرعايـــــة الإســـــلامية	(01) 272-5170/ 263-3071	Muslim welfare House, 233. Seven Sisters Road, London N4 2DA. Fax: (071) 2812687 Registered Charity No:271680

إدارة البحوث والدراسات الإسلامية

هاتف: ٤٤٤٤٧٣٠٠

فاكس: ٤٤٤٤٧٠٢٢

برقياً: الأمة – الدوحة

ص.ب: ٨٩٣ – الدوحة – قطر

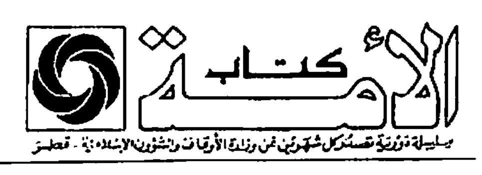
موقعنا على الإنترنت:
www. sheikhali-waqfiah.org.qa
www.Islamweb.net

البريد الإلكتروني: E.Mail
M_Dirasat@Islam.gov.qa

ثمن النسخة

الأردن	(٧٠٠) فلس
الإمارات	(٥) دراهم
البحرين	(٥٠٠) فلس
تونس	دينار واحد
السعودية	(٥) ريالات
السودان	(٥٠) قرشاً
عمان	(٥٠٠) بيسة
قطر	(٥) ريالات
الكويت	(٥٠٠) فلس
مصر	(٦) جنيهات
المغرب	(١٠) دراهم
الجزائر	(١٢٠) ديناراً
اليمن	(٤٠) ريالاً

* الأمريكتان وأوروبا وأستراليا وباقي دول آسيا وأفريقيا: دولار أمريكي ونصف، أو ما يعادله.



هاتف: ٤٤٤٧٣٠٠ - فاكس: ٤٤٤٧٠٢٢ - ص.ب: ٨٩٣ - الدوحة

صدر منها:

- مشكلات في طريق الحياة الإسلامية — الشيخ محمد الغزالي
- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف — د. يوسف القرضاوي
- العسكرية العربية الإسلامية — اللواء الركن محمود شيت خطاب
- حول إعادة تشكيل العقل المسلم — د. عماد الدين خليل
- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري — د. محمود حمدي زقزوق
- المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري — د. محسن عبد الحميد
- الحرمان والتخلف في ديار المسلمين — د. نبيل صبحي الطويل
- نظرات في مسيرة العمل الإسلامي — أ. عمر عبيد حسنه
- أدب الاختلاف في الإسلام — د. طه جابر فياض العلواني
- التراث والمعاصرة — د. أكرم ضياء العمري
- مشكلات الشباب: الحلول المطروحة والحل الإسلامي — د. عباس محجوب
- المسلمون في السنغال.. معالم الحاضر وآفاق — أ. عبد القادر محمد سيلا
- البنوك الإسلامية — د. جمال الدين عطية
- مدخل إلى الأدب الإسلامي — د. نجيب الكيلاني
- المخدرات من القلق إلى الاستعباد — د. محمد محمود الهواري
- الفكر المنهجي عند المحدثين — د. همام عبد الرحيم سعيد
- فقه الدعوة: ملامح وآفاق.. في حوار — أ. عمر عبيد حسنه
- قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر — د. زغلول راغب النجار

- دراسة في البناء الحضاري — د. محمود محمد سفر
- في فقه التدين فهمًا وتنزيلاً — د. عبد المجيد النجار
- في الاقتصاد الإسلامي — د. رفعت السيد العوضي
- النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية — د. محمد مفتي ود. سامي الوكيل
- أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في — د. أحمد محمد كنعان
- المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ — د. عبد العظيم محمود الديب
- مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي — نخبة من المفكرين والكتاب
- مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان — د. ماجد عرسان الكيلاني
- إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها — د. ماجد عرسان الكيلاني
- الصحوة الإسلامية في الأندلس — د. علي المنتصر الكتاني
- اليهود والتحالف مع الأقوياء — د. نعمان عبد الرزاق السامرائي
- الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع — أ. منصور زويد المطيري
- النظم التعليمية عند المحدثين — أ. المكي أقلاينة
- العقل العربي وإعادة التشكيل — د. عبد الرحمن الطريري
- إنفاق العفو في الإسلام بين النظرية والتطبيق — د. يوسف إبراهيم يوسف
- أسباب ورود الحديث — د. محمد رأفت سعيد
- في الغزو الفكري — د. أحمد عبد الرحيم السايح
- قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي — د. أكرم ضياء العمري
- فقه تغيير المنكر — د. محمد توفيق محمد سعد
- في شرف العربية — د. إبراهيم السامرائي

- نحو تقويم جديد للكتابة العربية — أ. د. طالب عبد الرحمن
- دور المرأة في رواية الحديث في القرون الثلاثة الأولى — أ. آمال قردلش بنت الحسين
- الإعلان من منظور إسلامي — د. أحمد عيساوي
- تكوين الملكة الفقهية — أ. د. محمد عثمان شبير
- الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري.. أنموذج مالك بن نبي — أ. بدران بن مسعود بن الحسن
- الترويح وعوامل الانحراف.. رؤية شرعية — أ. عبد الله بن ناصر السدحان
- فقه الواقع .. أصول وضوابط — أ. أحمد بوعود
- دعوة الجماهير.. مكونات الخطاب ووسائل التسديد — د. عبد الله الزبير عبد الرحمن
- استخدام الرسول ﷺ الوسائل التعليمية — أ. حسن بن علي البشاري
- المصطلح خيار لغوي وسمة حضارية — أ. سعيد شبار
- عالم إسلامي بلا فقر — د. رفعت السيد العوضي
- نحن والحضارة والشهود — د. نعمان عبد الرزاق السامرائي
- القواعد الشرعية ودورها في ترشيد العمل الإسلامي — د. محمد أبو الفتح البيانوني
- التفكك الأسري .. الأسباب والحلول المقترحة — مجموعة من الباحثين
- الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام — أ. نور الدين بليبل
- التفكك الأسري .. دعوة للمراجعة — مجموعة من الباحثين
- ظاهرة العولمة .. رؤية نقدية — د. بركات محمد مراد
- حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة — مجموعة من الباحثين
- حقوق الإنسان بين الشريعة والقانون — د.منير حميد البياتي
- البعد الحضاري لهجرة الكفاءات — مجموعة من الباحثين
- معالم تجديد المنهج الفقهي.. أنموذج الشوكاني — أ. حليمة بوكروشة
- الطفولة.. ومسؤولية بناء المستقبل — أ.د. نبيل سليم علي
- في الاجتهاد التنزيلي — د. بشير بن مولود جحيش

- لا إنكار في مسائل الخلاف — د. عبد السلام مقبل المجيدي
- من أساليب الإقناع في القرآن الكريم — د. معتصم بابكر مصطفى
- الغرب ودراسة الآخر.. أفريقيا أنموذجاً — د.علي القريشي
- قضية المرأة.. رؤية تأصيلية — د.سعاد عبد الله الناصر
- التعليم وإشكالية التنمية — د.حسن بن إبراهيم الهنداوي
- الحوار (الذات.. والآخر) — د.عبد الستار إبراهيم الهيتي
- الخطاب التربوي الإسلامي — أ.د. سعيد إسماعيل علي
- اللغة وبناء الذات — مجموعة من الباحثين
- عمر فروخ (رحمه الله).. في خدمة الإسلام — د. أحمد العلاونة
- مهارات الاتصال — راشد علي عيسى
- علوم حضارة الإسلام ودورها في الحضارة الإنسانية — د. خالد أحمد حربي
- إحياء الفروض الكفائية سبيل تنمية المجتمع — د. عبد الباقي عبد الكبير
- مهارات التربية الإسلامية — د. عبد الرحمن بن عبد الله المالكي
- عولمة الجريمة.. رؤية إسلامية في الوقاية — أ.د. أحمد شلال العاني
- ضوابط في فهم النص — د. عبد الكريم حامدي
- في أدب الأطفال — محمد بسام ملص
- وثيقة المدينة.. المضمون والدلالة — أحمد قائد الشعيبي
- منهج السياق في فهم النص — د. عبد الرحمن بو درع
- التقنيات الحديثة.. فوائد وأضرار — أ.د. شعاع هاشم اليوسف
- البعد المصدري لفقه النصوص — د. صالح قادر الزنكي
- حقوق الإنسان في ضوء الحديث النبوي — أ. يسري محمد أرشد
- الدعاء.. سبيل الحياة الطيبة — د. سعاد الناصر
- العربية تواجه التحديات — أ.د. طالب عبد الرحمن

- النص الشرعي وتأويله.. الشاطبي أنموذجاً — د. صالح بلقاسم سبوعي
- الحاكمية في الفكر الإسلامي — د. حسن موسى لحساسنة
- أوقاف الرعاية الصحية في المجتمع — د. أحمد عوف عبد الرحمن
- فقه الوسائل في الشريعة الإسلامية — د. أم نائل بركاني
- الحضارة الإسلامية جذور وامتدادات — د. سعاد رحائم
- حرية الرأي في الإسلام.. مقاربة في التصور — د. محمد عبد الفتاح الخطيب
- الإدارة التربوية.. مقدمات لمنظور إسلامي — د. عارف عطاري
- انتشار الإسلام في كوسوفا — أ. سامر بيروش أحمدي
- توطين العلوم في الجامعات العربية — د. علي القريشي
- استشراف المستقبل في الحديث النبوي — د. إلياس بلكا
- من وسائل القرآن في إصلاح المجتمع — أ. أمين نعمان الصلاحي
- تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال تربوياً — د. حصة بنت محمد بن فالح الصغير
- المشروع الحضاري لإنقاذ القدس — أ. أحمد عبد الفتاح حليقاوي
- إدارة الأزمة : مقاربة التراث.. والآخر — أ.د عبد الله إبراهيم الكيلاني
- نحو فقه للاستغراب.. مقاربة نظرية وتاريخية — د. محمد البنعيادي
- قيم السلوك مع الله عند ابن القيم الجوزية/ج١ — أ.د. مفرح بن سليمان القوسي
- قيم السلوك مع الله عند ابن القيم الجوزية/ج٢ — أ.د. مفرح بن سليمان القوسي
- إحياء دور الوقف لتحقيق مستلزمات التنمية — د. أسامة عبد المجيد العاني
- الآثار الاجتماعية للتوسع العمراني.. المدينة الخليجية أنموذجاً — د.عبد الله بن ناصر السدحان
- التفكير الموضوعي في الإسلام — د. فؤاد البنا
- الحرية وتطبيقاتها في الفقه الإسلامي — د. محمد محمود الجمال
- قيم الإسلام الحضارية.. نحو إنسانية جديدة — د. محمد عبد الفتاح الخطيب
- أصحاب الاحتياجات الخاصة.. رؤية تنموية — د. محمد بن عبد الكريم مراح